

كتاب

الظرف والظرفاء

(تأليف) أبي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيي الوشاء

أحد أئمة الادب فى القرن الثالث

الطبعة الأولى

سنة ١٣٢٤

على نفقة أحمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى الكتبى وأخيه

طبع بالمطبعة الحسينية المصريه الشهيره التى مركزها (بكفر الطماعين) بقرب المشاهد الحسينية الزاهرة المنيره

ادارة محمد عبد اللطيف الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

تباركت اللهم أحسن الخالقين * ونصلي ونسلم على نبيك سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

(وبعد) فاني عند ماصمدت للاتجار في الكتب صيب الله الىّ نشر النافع منها فكنت أرجع في اختيارى الى مصنفات الصدر الأول لموقع اختيارهم فيما يدونوه من العلم فى كل فن * وهذا كتاب عرف بالموشى تأليف أبي الطيب محمد بن اسحاق بن يحيي الوشاء أحد أئمة الادب فى القرن الثالث وممن أخذ عن أبي العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف بالمبرد وقعت الى نسخة منه فانتحلت له اسم (الظرف والظرفاء) ليطابق مسماه ويكون عنوانا على حليته وحلاه والله المستعان على كل حال كتبه

محمد أمين الخانجى الكتبي

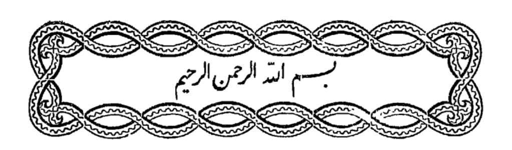
﴿ فهرست ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت



رب يسر وأعن باسم الله يكون الابتداء* وبعونه تم الاشياء* وبمشيئته تتصرف الدهور * وعلى ارادته تتقلب الامور * ومنه التوفيق والتأييد * وبيده الاعانة والتسديد * ولاحول ولا قوة الا بالله * وبتوفيقه ارشاده

قال أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيي الموشى (نقول) ونستعين بالله على السداد ونستهديه * ونستفتح له استفتاح اللاجى اليه ونستكفيه * يجب على المتأدب اللبيب* والمتظرف الاريب * المتخاق بأخلاق الادباء* والمتحلى بحلية الظرفاء *أن يعرف قبل هجومه على مالا يعلمه * وقبل تعاطيه مالا يفهمه * تبيين الظرف وشرائع المروءة وحدود الادب فانه لاأدب لمن لامروءة له ولامروءة لمن لاظرف له ولا ظرف لمن لاأدب له

وقد وصفنا في كتابنا هذا على قدر مابلغه علمنا* واحتوى عليه فكرنا * وجعلناه حدودا محدودة* ومعالم متصورة* وشرائع بينة* وأبوابا نيرة* وشريطتنا على قارئ كتابنا الاقصار عن طلب عيوب خطائنا * والصفح عن مايقف عليه من إغفالنا* والتجاوز عن ماينتهى اليه من اهمالنا *وان أداه التصفح الى صواب نشره * أوالى خطا ستره* لانه قد تقدمنا بالاقرار *ولا بد للانسان من زلل وعثار* وليس كل الادب عرفناه وعلينا في ذلك الاجتهاد *والى الله الارشاد * وقل مانجا مؤلف لكتاب من راصد بمكيدة *أو باحث عن خطيئة *وقد كان يقال من ألف كتابا فقد استشرف *واذا أصاب فقد استهدف *واذا ماأخطأ فقد استقذف * وكان يقال لايزال الرجل في فسحة من عقله مالم يقل شعرا أو يضع كتابا * وقال الشاعر في ذلك

لاتعرضن للشعر مالم يكن   علمك في أبحره جسرا
فلن يزال المرء في فسحة   من عقله مالم يقل شعرا

وأنشد في ذلك

الشعر عقل المرء يعرضه ... والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ... ونوافذ يذهبن بالخصل

* وكان يقال اختيار الرجل وافد عقله فقال لا بل مبلغ عقله * وقيل دل على عاقل اختياره * وقيل لبعض العلماء اختيار الرجل قطعة من عقله * وقال الخليل بن أحمد لا يحسن الاختيار الا من يعلم ما لا يحتاج اليه من الكلام * وقال الشعبي العلم كثير والعمر قصير فخذوا من العلم أرواحه ودعوا ظروفه * وقال ابن عباس العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه (ونحن) نستعين الله ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الادب والمروءة والظرف ونجعل ذلك أبوابا مختصرة* وفصولا محبرة* على غير نقص منالما في كل باب * لئلا يطول به تأليف الكتاب * ولأن غرضنا في الاختصار *لما عليه النفوس من ملل الاكثار* ولننجو من مقالة حاسد* أو اعتراض معاند* على أنه لا بد للحاسد وان لم يجد سبيلا الى وهن* ولا سببا الى طعن* أن يحتال لذلك بحسب ما ركب عليه طبعه* وتضمنه صدره* حتى يخلص الى غفلة* أو يصل الى زلة * فيتشبث بالمعنى الحقير* ويتسبب بالحرف الصغير* الى ذكر المثالب* وتغطية المناقب* ولأن من طبع أهل الحسد* وأرباب المعاندة والنكد* تغطية محاسن من حسدوه* واظهار مساوى من عاندوه * وقد أخبر أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح وبشر بن موسى ابن صالح الاسدى قالا حدثنا الاصمعى قال ثنى العلاء بن أسلم قال ثنا رؤبة بن العجاج قال قال لى فلان قصرت وعرفت ثم قال لى يا رؤبة عساك مثل أقوام ان سكت لم يسئلونى وان تكلمت لم يعوا عنى قلت أرجو أن أكون كذلك قال فما أعداء المروة قلت تخبرنى قال بنو عم السوء ان رأوا خيرا ستروه وان رأوا شرا أذاعوه* انشدنى أبو العباس محمد بن يزيد المبرد

عين الحسود عليك الدهر حارسة ... تبدى المساوى والاحسان تخفيه
يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة ... والقلب مضطغن فيه الذى فيه
إن الحسود بلا جرم عداوته ... فليس يقبل عذرا في تجنيه

وأنشدنى أبو جعفر في مثل ذلك

إن يعلموا الخير يخفوه وان علموا ... شرا أذيع وان لم يعلموا كذبوا

وأنشدنى محمد بن ابراهيم القاريء

وترى اللبيب محسدا لم يجترم شتم الرجال وعرضه مشتوم
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا أنه لذميم

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

ماضرني حسد اللئام ولم يزل ذوالفضل يحسده ذووالنقصان
يابؤس قوم ليس جرم عدوهم الا تظاهر نعمة الرحمان

*وخبرت أن المنصور قال لبعض ولد المهلب بن أبي صفرة ماأسرع الناس الى قومك. فقال ياأمير المؤمنين

إن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا
كم حاسد لهم قد رام سعيهم مانال مثل مساعيهم ولا كادا

ويروى أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه كان يتمثل بهذين البيتين

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ماولدوا
محسدون على ما كان من نعم لاينزع الله منهم ماله حسدوا

وأنشدنا أحمد بن عبيد قال أنشدنا العتبي عن أبيه

إني نشأت وحسادي ذووعدد ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
مازلت أقدم أفراسي مكلمة حتى اتخذت على حسادهن يدا

وأنشدت

كل العداوة قد ترجا إماتتها الا عداوة من عاداك من حسد

وبلغ محمد بن عبد الله بن طاهر أن قوما من الموالي يحسدونه فقال

إن يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم مابي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صعدا منها ولا أرد

*وقال أزدشير بن بابك كل خصلة رديئة فهي دون الحسد لان الحسود يبغي على من أحسن اليه ويبغي الغوائل لمن أنعم عليه * وقال الاصمعي سمعت أعرابيا ذكر بعض الحساد فقال مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد حزن لازم ونفس دائم وعقل هائم * وقال حاتم طيء

ياكعب ماأن ترى من بيت مكرمة الا له من بيوت الشر حسادا

والتحرز من الحساد مالا سبيل لنا اليه *والتحفظ من ألسنتهم مالا نقدر عليه* لكن أقول كما قال الشاعر

مايضر البحر أمسى زاخرا ... أن رمى فيه غلام بحجر

(وأصدر) كتابي هذا مستعينا بالله راغبا اليه بذكر الادب وصفته* ومايحتاج الادباء الى معرفته * وأشفعه بأشياء يستحسنها الاديب* ويرغب في دراستها الاريب* وبالله التوفيق

باب البيان عن حدود الادب

وما يجب على الادباء من الفحص والطلب

اعلم أن أول مايجب على العاقل المنفصل بصفته عن الجاهل أن يتبعه ويميل اليه* ويستعمله ويحرص عليه* مجالسة الرجال ذوى الالباب* والنظر في افانين الآداب* وقراءة الكتب والآثار* ورواية الاخبار والاشعار* وان يحسن في السؤال* ويتثبت في المقال* ولا يكثر الكلام والخطاب *ان سئل عما يعلمه أجاب* وان لم يسئل صمت للاستماع* ولم يتعرض لمكروه الانقطاع * فقد روى في الخبر المأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك * والصمت أحسن بالرجل من الهذر في منطقه والكلام فيما لايعنيه والتسرع الى مايكون على وجل منه * وقد قال بعض الشعراء

يموت الفتى من عثرة بلسانه ... وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه ... وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

وقال أبو العتاهية

اذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزا ... فانت عن الابلاغ في القول أعجز
يخوض أناس في المقال ليوجزوا ... وللصمت عن بعض المقالات أوجز

وقال أيضا

قد أفلح الساكت الصموت ... كلام راعى الكلام قوت
ما كل نطق له جواب ... جواب ماتكره السكوت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت * وقال من صمت نجا* وكان اعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت فقال له يوما

لم لا تتكلم فقال اسمع لاعلم وأسكت فاسلم * وقال أبو هريرة ثمرة القلب اللسان وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام مامبدى علم القلب وجهله قال اللسان قال فاين يلزم الصمت قال عند من هو أعلم منكم وعند الجاهل اذا جالسكم *وقال بعض الشعراء

تعاهد لسانك إن اللسا ... ن سريع الى المرء في قتله

وهذا اللسان بريد الفؤا ... د يدل الرجال على عقله

وقال آخر

أستر النفس مااستطعت بصمت ... إن في الصمت راحة للصموت

واجعل الصمت إن عييت جوابا ... ربّ قول جوابه في السكوت

وقال أبو العتاهية

لاخير في حشو الكلا ... م اذا اهتديت على عيونه

والصمت أجمل بالفتى ... من منطق في غير حينه

* وقال لقمان لابنه يابني ان غلبت على الكلام فلا تغلب على الصمت فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول إني ندمت على الكلام مرارا ولم أندم على الصمت مرة واحدة * وقال ابراهيم بن المهدى في هذا المعنى فاحسن

إن كان يعجبك السكوت فانه ... قد كان يعجب قبلك الاخيارا

ولئن ندمت على سكوتك مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

إن السكوت سلامة ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا

فحقيق على الاديب أن يخزن لسانه عن نطقه* ولا يرسله في غير حقه* وان ينطق بعلم* ويصمت بحلم* ولا يعجل في الجواب* ولا يهجم على الخطاب * وان رأى أحدا هو أعلم منه* نصت لاستماع الفائدة عنه* وتحذر من الزلل والسقط *وتحفظ من العيوب والغلط* ولم يتكلم فيما لا يعلم *ولم يناظر فيما لا يفهم * فانه ربما أخرجه ذلك الى الانقطاع والاضطراب* وكان فيه نقصه عند ذوى الالباب * وقد قال الاعور الشنى فاجاد

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه ... اذا هو ابدى مايقول من الفم

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته ونقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ومثله قول الاخطل أيضا

إن الكلام من الفؤاد وانما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

*وأخبرنى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المزنى يقل الكلام فقيل له في ذلك فقال لسانى سبع إن تركته أكلنى وأنشد

لسان الفتى سبع عليه شذاته　　فالا يرع من غربه فهو آكله

وما العىّ الا منطق متبرع　　سواء عليه حق أمر وباطله

قال أبو الطيب قوله — شذاته — أى حدة *وقال بعض الحكماء ألزم الصمت تعد حكيما كنت أم عليما * وقال الهيثم بن الاسود النخعى

من يستعن بالصمت يوما فانه　　يقال له لب نهاه أصيل

وان لسان المرء مالم تكن له　　حصاة على عوراته لدليل

وكان يقال الصمت صون اللسان وستر العى * أنشدنى أحمد بن يحيى ثعلب للخطفى ابن بدر

عجبت لازراء العيّ بنفسه　　وصمت الذى قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للعيّ وإنما　　صحيفة لب المرء أن يتكلما

*والعرب تقول عى صامت خير من عى ناطق * وكان ربيعة الرأى كثير الكلام فتكلم يوما وأكثر ثم قال لاعرابى عنده أتعرف ماالعى قال نعم ماأنت فيه منذ اليوم * وقال أكثم بن صيفى حتف الرجل بين لحييه *وأنشدنى أحمد بن عبيد لابى محمد اليزيدى

حتف امرئ لسانه　　في جده أو لعبه

بين اللها مقتله　　ركب في مركبه

ورب ذى مزح أميتت نفسه في سببه

ليس الفتى كل الفتى　　الا الفتى في أدبه

وبعض أخلاق الفتى　　أولى به من نسبه

*وكان يقال لسانك عبدك فاذا تكلمت صرت عبده *وقال بعض الحكماء أنا بالخيار مالم أتكلم فاذا تكلمت صار الكلام على بالخيار * وقال آخر لسانى في حبس بدنى مالم أطلقه على نفسى فاذا أطلقته صار بدنى في حبس لسانى * وقال آخر الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها *وقال الشعبى أنا على اتباع مالم أوقع أقدر منى على رد ما أوقعت* وتكلم أربعة من الملوك باربع كلمات خرجن كانهن بمعنى • فقال كسرى انا على قول مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت • وقال قيصر لاأندم على مالم أقل فانما أندم على ماقلت • وقال ملك الصين اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ولم أملكها • وقال ملك

الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة إن حكيت عنه ضرته وان لم تذكر لم تنفعه *وقال امرؤ القيس

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه   فليس على شئ سواه بخزان

*وقالت الفلاسفة اللسان خادم القلب *وقالت العلماء اللسان كاتب القلب اذا أملى عليه شيأ أتى به*وأنشدني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

رأيت لسان المرء راعى نفسه   وعاذره إن ليم أو زل سائره
فمن لزمته حجة من لسانه   فقد مات راعيه وأفحم عاذره

* ولئن كان السكوت جميلا* لقد جعل الكلام جليلا* مالم يتعد المتكلم في كلامه* ويتجاوز في الكلام حد نظامه * وقد أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب

مافي الكلام على الانام أثام   بل فيه عندى النقض والابرام
لولا الكلام لما تبينا الهدى   وتعطلت في ديننا الاحكام
فزن الكلام اذا أردت تكلما   ودع الفضول ففى الفضول ملام
إن انت لم ترشد أخاك اذا أتى   فعليك منه هجنة وأثام
والنطق افضل من صمات مبهم   جاء الكتاب بذاك والاسلام
هذا البيان فلا تكن متماريا   فالصمت عى والكلام نظام

وليس بعيب على الاديب وان كان مستقلا بما لديه • استحذاؤه للمتقدم في العلم عليه • ولا في سؤاله فيما غيبت معرفته عنه • من هو أعلى درجة في العلم منه*وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب

تمام العمى طول السكوت وإنما   شفاء العمى يوما سؤالك من يدرى

*وروى أن اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياابن عبد المطلب ماذا يزيد في العلم قال التعلم قال فما ذا يدل على العلم قال السؤال * أنشدني أحمد بن عبيد قال أنشدني ابن الاعرابى لبشامة بن عمرو المرى

اذا مايهتدى ابى هدانى   وأسئل ذا البيان اذا عميت
وأجتنب المقادح حيث كانت   وأترك ماهويت لما خشيت

* وكان يقال من رق وجهه عن السؤال دق علمه * ومن أحسن السؤال علم * وقال الشاعر

اذا كنت في بلدة جاهلا   وللعلم ملتمسا فاسئل

فان السؤال شفاء العمى   كما قيل في الزمن الاول

*وروينا عن يونس عن الاوزاعي عن يحيي بن أبي كثير قال لا يتعلم من استحيا وتكبر * وقال رجل من بنى العباس للمأمون أيحسن بمثلي طلب العلم اليوم فقال نعم والله لان تموت طالبا للعلم أزين بك من أن تموت قانعا بالجهل فقال الى متى يحسن بي وقد جاوزت الستين قال ماحسنت بك الحياة * وقال الخليل ذاكر بعلمك فتذكر ماعندك وتستفيد ماليس عندك * وقال الخليل أيضا كنت اذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته * وأخبرني أحمد بن عبيد قال أخبرني ابن الاعرابي قال أخبرنا أزهر السمان قال قال الزهري الاخبار ذكران لا يحبها الا ذكران الرجال ولا يكرهها الا مؤنثوهم * وقال الطرماح

ولا أدع السؤال اذا تعيت   عليّ من الامور المشكلات

وينفعني اذا استيقنت علمي   وأقوى الشك عندي البينات

فهذه جملة تحث الادباء على الطلب *وصدر يقنع به العقلاء من حدود الادب (ومنه أيضا) ترك ممازحة الاخوان* اذا كان مما يوغر صدور الخلان وقد اختصرت لك من ذلك جملة مقنعة* وألفاظها ممتعة * فيها لك كفاية *ولذوى الالباب نهاية*إن شاء الله تعالى

باب النهى عن ممازحة
الاخلاء والنهى عن مفاكهة الاوداء

اعلم أن من زيّ الادباء * وأهل المعرفة والعقلاء*وذوى المروءة والظرفاء) قلة الكلام في غير أرب *والتجالل عن المداعبة واللعب*وترك التبذل بالسخافة*والصياح بالفكاهة* والمزاح لان كثرة المزاح يذل المرء*ويضع القدر* ويزيل المروءة* ويفسد الاخوة • ويجترئ على الشريف الحر*أهل الدناءة والشر * وقد أخبرني أحمد بن عبيد قال أخبرني الاصمعي عن رجل من العرب قال خرجت في بعض ليالى الظلم فاذا أنا بجارية كانها صنم فراودتها عن نفسها فقالت ياهذا أما لك زاجر من عقل اذا لم يكن لك واعظ من دين قلت والله مايرانا الا الكواكب قالت ياهذا فاين مكوكبها فقلت إنما كنت أمزح فقالت

فاياك إياك المزاح فانه   يجري عليك الطفل والدنس النذلا

ويذهب ماء الوجه بعد وضاته   ويورث بعد العز صاحبه ذلا

* وقال سليمان بن داود عليهما السلام المزاح يستخف فؤاد الحليم ويذهب بهاء ذى القدرة *وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أكثر من شئ عرف به ومن مازح استخف به ومن كثر ضحكه ذهبت هيبته *وكان يقال لكل شئ بذر وبذر العداوة المزاح * وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب المروءة ويوغر الصدر * وقال بعض الشعراء

مازح أخاك اذا أردت مزاحا — وتوقّ منه في المزاح جماحا

فلربما مزح الصديق بمزحة — كانت لباب عداوة مفتاحا

* وقال عمر بن عبد العزيز امتنعوا من المزاح تسلم لكم الاعراض * قال خلف بن صفوان المزاح سباب النوكى * وقال محمود الوراق

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنه — في لحن منطقه بما لا يغفر

ويقول كنت ممازحا وملاعبا — هيهات نارك في الحشا تستسعر

ألهبتها وطفقت تضحك لاهيا — عما به وفؤاده يتفطر

أو ما علمت ومثل جهلك غالب — أن المزاح هو السباب الاصغر

* وقال بعض الحكماء الخصومة تمرض القلوب وتنبت فيها النفاق والمزاح يذهب ببهاء العز *وحدثني الباغندى قال حدثنا الحميدى عن سفيان عن ابن المنكدر قال قالت لى أمي يابني لاتمازح الصبيان فتهون عليهم وقد كانت أدركت النبي صلى الله عليه وسلم *وأوصى يعلى بن منبه بنيه فقال يابنى إياكم والمزاح فانه يذهب بالبهاء ويعقب الندامة ويزرى بالمروءة * وقال مسعر بن كدام الهلالى لابنه

ولقد منحتك يا كدام نصيحتى — فاسمع لقول أب عليك شفيق

أما المزاحة والمراء فدعهما — خلقان لا أرضاهما لصديق

إنى بلوتهما فلم أحمدهما — لمجاور جاورته ورفيق

* وكان سعيد بن العاص يقول لاتمازحن الشريف فيحقد عليك ولا الدنىء فيجترئ عليك * وقد تواترت بالنهى عن ذلك الاخبار * وتكاثفت فيه الاشعار * ولعمرى أن ترك مانهى عنه ذوو الادب *من المداعبة واللعب* أولى بذى النهية والارب* وقد يجب على العاقل الاديب أن ينتقي اخوانه *ويتخير أخدانه *ويفتش عن الاصحاب *ويجالس ذوى الالباب* ويستخلص أهل الفضل *وأهل المروآت *والعقل فانها محنة الادباء *وفراسة العلماء *وإنما يعرف الرجل باشكاله *ويقاس بامثاله *ويوسم بأخدانه *وينسب الى أقرانه*

وقد شرحت في ذلك جملة من الآثار* وما روي فيه من النتف والاخبار* فتقف عليه يبن لك مافيه إن شاء الله تعالى

باب الامر باختيار الاخوان

وانتخاب الاقران والاخدان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اختبروا الناس باخوانهم فان الرجل يخادن من يعجبه نحوه * وقال مجاهد انى لأنتقي الاخوان كما انتقي أطايب الثمر * وقال بعض الشعراء

امحض مودتك الكريم فانما ... يرعى ذوى الاحساب كل كريم
وإخاء أشراف الرجال مروءة ... والموت خير من إخاء لئيم

وقال يحيي بن أكثم

وقارن اذا قارنت حراً فانما ... يزين ويزرى بالفتى قرناؤه
اذا المرء لم يختر صديقا لنفسه ... فناد به في الناس هذا جزاؤه

* وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام قال لاتحكموا للرجل بشئ حتى تنظروا من يخادن * وقال عدى بن زيد العبادى

عن المرء لاتسئل وأبصر قرينه ... فان القرين بالمقارن مقتدى
اذا مارأيت الشر يبعث أهله ... وقام جناة الشر للشر فاقعدى

وقال عتبة بن هبيرة الاسدى

إن كنت تبغى العلم أو أهله ... أو شاهدا يخبر عن غائب
فاختبر الارض بأسمائها ... واختبر الصاحب بالصاحب

وقال أبو العتاهية

من ذا الذى يخفى عليـ ... ـك اذا نظرت الى قرينه
وعلى الفتى بطباعه ... سمة تلوح على جبينه

وأنشدنى أحمد بن عبيد لابى محمد اليزيدى

ومن يصاحب صاحبا ... ينسب إلى مستصحبه
بزائنات رشده ... أو شائنات ريبه
ورأس أمر لامرئ ... خبر له من ذنبه

وذو النهى ليست تبا عات الهوى من أربه

وقال آخر

ولا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليما حين آخاه
وللشئ من الشئ مقاييس وأشباه
يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه
وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وأنشدني أبو العباس الشيباني لابي آمنة جد النبي صلى الله عليه وسلم

واذا أتيت جماعة في مجلس فاحذر مجالسهم ولما تقعد
وذر الغواة الجاهلين وجهالهم والى الذين يذكرونك فاقعد

فليؤاخ الاديب أكفاءه* وليصحب نظراءه* ومن يأمن من غدره* وغب أمره* وبوائق شره* وأنى يكون ذلك ولن يجتمع الا في أهل الحياء* فهم كرم الوفاء* واذا اجتمع الحياء والوفاء *صح الاخاء* وقد أخبرني مخبر عن عبد الله بن طاهر أنه قال لادواء لمن لاحياء له ولا حياء لمن لاوفاء له ولا وفاء لمن لاأخاء له ولا أخاء لمن أراد أن يجمع بين هواء اخلاءه حتى يحبوا ماأحب ويكرهوا ماكره وحتى لايرى من أحد ختلا ولا زللا ولا تفريطا ثم أنشد

طلبت امرأ صحيحا مسلما نقيا من الآفات في كل موسم
لامنحه ودى فلم أدرك الذى طلبت ومن لى بالصحيح المسلم
صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ألذ وأشهى من جنى النحل في الفم
ومن لا يطب نفسا ويستبق صاحبا ويغفر لاهل الود يصرم ويصرم

وقال محمود الوراق

البس أخاك على تصنعه فلرب مفتضح على النص
ما كدت أفحص عن أخي ثقة الا ذممت عواقب الفحص

وليصحب نظراءه ومن يأمن غدره* وغب أمره وبوائق شره * وأنشدني محمد بن يزيد المبرد للمطيع بن إياس

ولئن كنت لاتصاحب إلا صاحبا لاتزل ماعاش نعله
لاتجده ولو حرصت وأني لك بالخل ليس يوجد مثله

*وقال يونس بن عبيد أعياني شيآن أخ في الله ودرهم حلال *وقيل لبعض الحكماء من أبعد الناس سفرا فقال من كان في طلب صديق يرضاه *وقال رجل للفضل بن عياض أبغى رجل أحدثه سرى وآمنه على أمرى فقال تلك ضالة لاتوجد *وأنشدني المهلبي لنفسه

ألبس أخاك على ما كان من خلق   واحفظ مودته بالغيب ماوصلا
فأطول الناس غما من يريد أخاً   ذا خلة لايرى في وده خللا

وأنشدني أيضا

أقسمت بالله لاينفك مغتفرا   ذنب الصديق وان عق وان صرما
والعمر يقصر عن هجر وعن صلة   وعن تجني وعتب يورث السقما

فترك مصارمة الخلان * والتجاوز عن هفوات الاخوان *والاستكثار من الاخلاء* ورفض معاندة الاعداء* أولى باهل الادب *وذوى المروة والارب * وأهل الفضل والحسب* وقد حكى الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لاخ له أى أخى ان الصديق يحول بالجفاء وانى أراك رطب اللسان من عيوب أصـدقائك فلا تزدهم في أعدائك * وقال عبد الله بن الحسن بن على لابنه رضى الله عنه إياك وعـداوة الرجال فانها لن تعدمك مكر حليم أومفاجأة لئيم*وروى أن سليمان بن داود قال لابنه يابنى لاتستكثر أن يكون لك ألف صديق ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد* وروى أن على بن أبي طالب عليه السلام قال

وأكثر من الاخوان مااسطعت انهم   عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب   وان عدوا واحدا لكثير

وليس شئ أسر الى ذى اللب* ولا أحسن موقعا في القلب*من محادثة العقلاء *ومجالسة الادباء *فان ذلك مما تفتق به الاذهان* وينفسح به الجنان * ويزيد في اللب *ويحيا به القلب * كما قال بعض الشعراء

وما بقيت من اللذات الا   محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلا   فقد صاروا أقل من القليل

* وقيل للحرقة ابنة النعمان ما كانت لذة أبيك فقالت إدمان الشراب ومجالسة الرجال
* وقال عمرو بن مرة الجهنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصحوت الا من لقاء محدث   حسن الحديث يزيدنى تعليما

* وقال معاوية بن أبى سفيان لعمرو بن العاص مابقى مما تستلذه فقال مجالسة الرجال * وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن عدة من الصحابة رضى الله عنهم من الاحاديث في الحث على صحبة الاخوان* والرغبة في الخلان*ماإن ذكرناه طال به الكتاب*وكثر بهالخطاب* وسنذكر بعض ذلك ونختصره ونأخذ من أحسنه مايكون فيه بلاغ إن شاء الله تعالى

باب الحث على صحبة الاخوان

والاغراء على مودة الخلان *والرغبة في أهل الصلاح والايمان

روى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل*وروى عن أبى عمرو العوفي قال كان يقال أصحب من ان صحبته زانك وان خدمته صانك وان أصابتك خصاصة مانك وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سقطة سترها ومن ان قلت صدّق قولك وان أصبت سدد صوابك ومن لا يأتيك بالبوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق *وقال الفضل بن غسان البصرى كان يقال أصحب من ينسى معروفه عندك *وروى عن معاوية بن قرة قال نظرت في المودة والاخاء فلم أجد أثبت مودة من ذى أصل*وأنشدونا لعمر بن عبد العزيز ولا يعرف له غير هذه الابيات

انى لأمنح من يواصلنى ... منى صفاء ليس بالمذق
واذا أخ لى حال عن خلق ... داويت منه ذاك بالرفق
والمرء يصنع نفسه ومتى ... ماتبله ينزع الى العرق

ومثله قول زهير بن أبى سلمى

وما يك من خير أتوه فانما ... توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطى الا وشيجه ... وتغرس الا في منابتها النخل

ومنه قول الآخر

والابن ينشو على ماكان والده ... إن العروق عليها تنبت الشجر

وقال المتوكل الكنانى

عندى لصالح قومى مابقيت لهم ... حمد وذم لاهل الذم معدود
أجرى على سنة من والدى سبقت ... وفي أرومته ماينبت العود

*وأوصى بعض الحكماء أخاله فقال أى أخى آخ الكريم الاخوة الكامل المروءة الذى إن غبت خلفك وان حضرت كنفك وان لقى صديقك استزاده وان لقى عدوك كفه وان رأيته ابتهجت وان نأتيه استرحت *وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فتشبث بها * وكان سفيان الثورى كثيرا مايتمثل بهذين البيتين

أبل الرجال اذا أردت إخاءهم ... وتوسمنّ إخاءهم وتفقد

فاذا وجدت أخا الامانة والتقى ... فبه اليدين قرير عين فاشدد

كم من صديق في الرخاء مساعد ... واذا أردت حقيقة لم توجد

ومثل ذلك قول الآخر

آخ من آخيت عن خبرته ... لا يغرنك من الناس الطرر

لاولا الاجسام مالم تبلهم ... إنما الناس كامثال الشجر

منه ماليست له منظرة ... وهو صلب عوده حلو الثمر

وترى منــه أنيقا نبتــه ... طعمه مر وفي العود خور

وقال آخر

من حمد الناس ولم يبلهم ... ثم بلاهــم ذم من يحمد

وصار بالوحدة مستأنسا ... يوحشه الاقرب والابعد

*وروى أن رجلا من عبد القيس قال لابنه أى بنى لاتؤاخ أحدا حتى تعرف موارد أموره ومصادرها فاذا استبطنت الخــبر ورضيت منه العشرة فآخه على إقالة العــثرة والمواساة عند العسرة * وأنشدنى محمد بن يزيد المبرد

وكنت إذا الصديق أرادغيظى ... عـلى حنق وأشرقنى بريقى

غفرت ذنوبه وكظمت غيظى ... مخافة أن أكون بلا صديق

وأنشدنى لبشار بن برد العقيلى

أخوك الذى لاينقض الدهر عهده ... ولا عند صرف الدهر يزور جانبه

فخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ... ولا تك في كل الامور تجانبــه

اذا كنت في كل الامور معاتبــا ... صــديقك لم تلق الذى لاتعاتبــه

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمأت وأى الناس تصفو مشاربه

وقال آخر

ومن لايغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهداً كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

وأنشدني أحمد بن يحي لسعيد المساحقي

فخذ عفو من أحببت لا تبرمنه ... فعند بلوغ العذر رنق المشارب

وقال أبو الاسود الدؤلي

ولست مستبقيا أخا لك لا ... تصفح عما يكون من زلله

من ذا الذي هذبت خلائقه ... في ريثة إن أتى وفي عجله

لا أصحب الخائن اللئيم ولا ... أقطع وصل الخليل من ملله

أجزيه بالعرف ماحييت ولا ... يعدم صفحي للشر من عمله

ومثله قول النابغة الذبياني

ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

وأجاد والله الذي يقول

اذا ماأذاني مفصل فقطعته ... بقيت ومالي للنهوض مفاصل

ولكن أداويه فان صح كان لي ... وان هو أدوى كان فيه تحامل

وأنشدت لرجل من طيئ

أرخ على الناس ثوب سترهم ... أو اجن حلو الثمار من شجره

واستبق مالم ترد قطيعته ... بستره ماastقر في ستره

فرب بادي الجميل منه اذا ... فتش أبدى التفتيش عن عوره

واستصلح الناس مااستطعت ولا ... تسرع الى ضر مبتغي ضرره

وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال أحب اخواني الى أخ إن غبت عنه عذرني وان جئته قبلني وقيل لخالد بن صفوان أي اخوانك أوجب عليك حقا فقال الذي يسد خلتي ويغفر زلتي ويقيل عثرتي * وقال مطيع بن إياس

إنما صاحبي الذي يغفر الذنـ ... ـب ويكفيه من أخيه أقله

ليس من يظهر الملالة إفكا ... واذا قال خالف القول فعله

وصله للصديق يوم ويوم ... يضمر الهجر ثم ينبت حبله

وأحق الرجال أن يغفر الذنـ ... ـب لاخوانه الموفر عقله

*وفي حديث سهل بن سعيد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء كثير بأخيه *وكتب الاحنف بن قيس الى صديق له أما بعد فاذا قدم عليك أخ موافق

لك فليكن منك مكان سمعك وبصرك فان الاخ الموافق أفضل من الولد المخالف * وقال خالد بن صفوان أعجز الناس من قصر في طلب الاخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم * وقال عمر بن الخطاب عليكم باخوان الصدق فاكتسبوهم فانهم زين في الرخاء وعدة عند البلاء * وسئل بعض الحكماء أي الكنوز خير فقال أما بعد تقوى الله فالاخ الصالح

(واعلم) ان خير الاخوان من كانت اخوته ومحبته في الله ولم تكن خلته ولا مؤاخاته لطمع قليل ولا لغرض عاجل وليس شئ بذوى العقول وأهل الديانات والفضل أفضل من إخلاص المودة في الله ولعمرى ان ذلك يحسن بجميع أهل الملل والاديان وهو من أوثق عرى الايمان وقد روى فيه أحاديث كثيرة اقتصرنا على بعضها واختصرنا من أحسنها وفي البعض كفاية إن شاء الله

باب صفة المتحابين في الله عز وجل

روى عن البراء بن عازب انه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون أى عرى الايمان أوثق قلنا الصلاة قال ان الصلاة لحسنة وما هى بها قلنا الزكاة قال وحسنة وما هى بها فذكروا شرائع الاسلام فلما رآهم لا يصيبون قال إن أوثق عرى الايمان أن تحب في الله وتبغض في الله * وأخبرنى أبى رحمه الله باسناد ذكره عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لعمود من ذهب عليه منائر من زبرجد تضىء لاهل الجنة كما يضىء الكوكب الدرى في أفق السماء قلنا لمن هذا يارسول الله قال للمتحابين في الله * وروى أبو الاحوص عن عبد الله بن مسعود انه قال الايمان أن تحب في الله وتبغض في الله * وقال عليه الصلاة والسلام الايمان ان يحب الرجل الرجل ليس بينهما نسب قريب ولا مال أعطاه اياه لا يحبه الا لله عز وجل * وروينا عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخى بين الرجلين من أصحابه فتطول الليلة على أحدهما حتى يرى أخاه * وروينا عن جرير بن عبد الله البجلى قال ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم في وجهى * وقال عمر بن الخطاب لقاء الاخوان جلاء الاحزان * وقال أكثم بن صيفى لقاء الاحبة مسلاة الهم * وكان عبد الله بن مسعود يقول لاصحابه أنتم جلاء حزنى * وروى عن أبى امامة قال من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد استكمل الايمان * وقد كانت الحكماء تقول إن ما يجب للاخ على أخيه مودته بقلبه

وتزيينه بلسانه ورفده بماله وتقويته بأدبه وحسن الذب والمدافعة عنه في غيبته* وأنشدني أبو بكر بن أبي الدنيا

اذا المرء لم ينصف أخاه ولم يكن ... له غائبا يوما كما هو شاهده
فلا خير فيه فالتمس غيره أخا ... كريما على وصل الكريم تعاهده
فان غبت يوما أو شهدت فوجهه ... على كل حال أينما كنت واجده

أنشدني أحمد بن يحيى لكثير عزة

وليس خليلي بالملول ولا الذي ... اذا غبت عنه باعني بخليل
ولكن خليلي من يديم وفاءه ... ويحفظ سري عند كل دخيل
ولست براض من خليلي بنائل ... قليل ولا أرضى له بقليل

وأنشدني بعض الادباء قال أنشدني اعرابي ببلاد نجد

وليس خليلي بالمرجى ولا الذي ... اذا غبت عنه كان عوزا مع الدهر
ولكن خليلي من يصون مودتي ... ويحفظني ان كان من دوني البحر

وأنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي

تود عدوي ثم تزعم إنني ... أودك ان الرأي عنك لعازب
وليس أخي من ودني رأي عينه ... ولكن أخي من ودني وهو غائب

وأنشدني يوسف الاعور قال أنشدني يعقوب بن السكيت لأوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي ... يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك النائي ما كنت آمنا ... وصاحبك الادنى اذا الامر أعضلا

وأنشدني أبو العيناء قال أنشدني الجاحظ

أخوك الذي ان سرك الامر سره ... وان غبت يوما ظل وهو حزين
يقرب من قربت من ذي مودة ... ويقصي الذي أقصيته ويهين

وأنشدني أحمد بن يحيى

اذا أنت رافقت الرجال فكن فتى ... كأنك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا ... على الكبد الحرى لكل صديق

واعلم ان أحسن ما تألف به الناس قلوب اخلاءهم* ونفوا به الضغن عن قلوب أعداءهم* البشر بهم عند حضورهم* والتفقد لامورهم* وحسن البشاشة فذلك يثبت المحبة والاخاء ومنه أحاديث قد ذكرنا بعضها وقصدنا فيما فيه قناعه

باب البشاشة بالاخوان
والصبر على تألف قلوب ذوى الاضغان

قال الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) وقال تعالى (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) وقال عزوجل (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وروى عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس *وسئل الحسن عن حسن الخلق فقال الكرم والبذلة والتودد الى الناس *وروينا عن جرير بن عبد الله البجلى فقال ماحجبنى رسول الله منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم في وجهى * وقال المنصور اذا أحببت المحمدة من الناس بلا مؤونة فالقهم ببشر حسن *وروى عن كعب الاحبار قال مكتوب في التوراة ليكن وجهك سبطا تكن أحب الى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة* وأنشدنى أبو على العنزى

إلق بالبشر من لقيت من النا س جميعا ولاقهم بالطلاقه
تجن منهم به جنى ثمار طيب طعمه لذيذ المذاقه
ودع التيه والعبوس عن النا س فان العبوس رأس الحماقه
كلما شئت أن تعادى عاديـ ـت صديقا وقد تعز الصداقه

أنشدنى لبعض بنى طيء

خالق الناس بخلق واسع لاتكن كلبا على الناس تهر
والقهم منك ببشر ثم كن للذى تسمع منهم مغتفر

وقال أبو العتاهية

وألن جناحك تعتقد في الناس محمدة بلينه
فلربما احتقر الفتى من ليس في شرف بدونه

* وكان يقال أول المروة طلاقة الوجه والثانية التودد الى الناس والثالثة قضاء حوائج الناس *وروى ان اعرابيا قال يارسول الله إنا من أهل البادية فنحب أن تعلمنا عملا لعلى الله أن ينفعنا به قال لاتحقرن من المعروف شيأ ولو ان تفرغ من دلوك في اناء المستقى وان تكلم أخاك ووجهك اليه منطلق* وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه والخلق الحسن* وقال النبي صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم المصافحة *وقال الحسن البصري المصافحة تزيد في المودة *وروى مجاهد عن معاذ قال ان المسلمين اذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر * واعلم انه اذا صلحت النيات* وخلصت السريرات * صلحت أصفية المودة* وثبت المحبة* واتفقت القلوب * واغتفرت الذنوب * واذا فسدت النيات* وخبثت السريرات * بطل خالص الاخاء * وانحلت عرى المودة والصفاء *وقد شرحت في ذلك بابا تقف عليه ان شاء الله تعالى

باب اتفاق القلوب

على مودة الصديق وقلة الخلاف على الرفيق

روينا عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود وعن الوليد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف * وقال بعض الشعراء

إن القلوب لاجناد مجندة ... لله في الارض بالاهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... وما تناكر منها فهو مختلف

وقال طرفة

وان امرأ لم يعف يوما فكاهة ... لمن لم يرد سوأ بها لجهول

تعارف أرواح الرجال اذا التقوا ... فمنهم عدو يتقي وخليل

وكان يقال المودة قرابة مستفادة وقيل لخالد بن صفوان أخوك أحب اليك أم صديقك فقال ان أخي اذا كان غير صديق لم أحبه * وروينا عن واصل مولى ابن عيينة قال كنت مع محمد بن واسع بمرو فاتى عطاء بن مسلم ومعه ابنه عثمان فقال عطاء لمحمد أى عمل في الدنيا أفضل قال صحبة الاصحاب ومحادثة الاخوان اذا اصطحبوا على الأمن والتقوى فحينئذ يذهب الله بالخلف من بينهم فواصلوا وتواصلوا* وروى عن بشر بن [illegible]ى قال ليس من البر أن تبغض ما أحبه حبيبك* وقال عبد الله بن صالح اجتمعت محمد بن نصر الحارثي وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض فصنعت لهم طعاما [illegible]ف محمد بن نصر علينا في شيء أصلا فقال له عبد الله ما أقل خلافك

واذا صاحبت فاصحب ماجدا ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشيء لاان قلت لا واذا قلت نعم قال نعم

وقال آخر

هموم رجال في أمور كثيرة وهمى من الدنيا خليل مساعد
اذا غبت عنه لم أغب عن ضميره كانى مقيم بين عينيه شاهد
نكون كروح بين جسمين فرقا فجسماهما جسمان والروح واحد

وأنشدنى آخر

والفين كالغصنين ضمهما الهوى فروحاهما روح وقلباهما قلب
اذا غاب هذا ساعة عن خليله تجلاه يوما عند فرقته كرب
فيامن رأى الفين صانا هواهما فهذا بذا صب وهذا بذا صب

وأنشدت للحكمى

روحها روحى وروحى روحها ولها قلب وقلبى قلبها
فلنا روح وقلب واحد حسبها حسبى وحسبى حسبها

ولعمرى ان ذلك لحسن جميل*والذى قيل في ذلك كثير طويل*وقد نهى قوم عن استعمال الميل في المودة واعلم أن ذلك مع دوام المحبة وصفاء المودة لحسن غير مدفوع غير انه قد نهى عن استعمال الميل في المودة وكثرة الافراط في المحبة وادمان الزيارة في كل يوم وساعة لموضع الملل والسلوان الذى هو طبع الانسان وأمرنا بالقصد في كل الامور بدوام المحبة والسرور وقد ذكرت بعض ذلك وفيه مقنع

باب النهى عن استعمال الافراط في حب الصديق

روى عن بعض الحكماء انه قال لايفرط الاديب في محبة الصديق ولا يتجاوز في عداوة العدو فانه لايدرى متى تنتقل صداقة الصديق عداوة ولامتى تنتقل عداوة العدو صداقة* وحكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انه قال أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما*وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا*ومن أمثال أكثم ابن صيفى الانقباض من الناس مكسبة للعداوة وافراط الانس مكسبة للملال*قال أبو عبيدة يريد ان الاقتصاد أدنى الى السلامة * قال أبو زيد من أمثالهم لاتكن حلوا

فتسترط ولا مرا فتعفى أى تلفظ من المرارة *ومثله قول مطرف بن الشخير الحسنة بين السيئتين وخير الامور أوساطها* وكان يقال لاتهذر في منطقك ولا تخبر بذات نفسك ولا تغتر بعدوك ولا تفرط في حب صديقك ولا تفزع الى من لا يرحمك ولا تألف من لا يرشدك ولا تبغض من ينصح لك فان شر الاخلاق ملالة الصاحب وتقريب المتباعد *وأنشدنى أحمد بن يحيى للمقنع الكندى

وكن معدنا للحلم واصفح عن الاذى ... فانك راء ماعلمت وسامع
واحبب اذا أحببت حبا مقاربا ... فانك لاتدرى متى أنت نازع
وأبغض اذا أبغضت غير مباعد ... فانك لاتدرى متى أنت راجع

وأنشدنى أحمد بن يحيى لسعيد المساحقى

فهونك في حب و بغض فربما ... يرى جانب من صاحب بعد جانب

* وسمعت عبد الله بن عبد الله بن طاهر ينشد هذين البيتين وأحسبهما له

اذا انا أكرمت اللئيم فعدنى ... مهينا له حققت باطل ماعدا
فان صلاح الامر يرجع كله ... فسادا اذا الانسان جزت به الحدا

وهذا طويل يقنعك منه القليل وأما طول الزيارة فقد يجب على أهل الصداقة ترك المداومة عليها وكثرة الجنوح اليها فان ذلك يخلق الحب ويذهل الصب ويضجر المزور ويعدم السرور ويوقع البدل ويبدى الملل وقد شرحنا في ذلك بابا فاعرفه وقف عليه ان شاء الله تعالى

باب الامر باغباب زيارة الاحباب

والنهى عن مداومة غشيان الاصحاب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زر غبا تزدد حبا* وقال بعض الحكماء من كثرت زيارته قلت بشاشته * وقال آخر من أدمن زيارة الاصدقاء عدم الاحتشاد عند اللقاء* وقال آخر

أقلل زيارتك الصديق ... تكون كالثوب استجده
ان الصديق يمله ... أن لايزال يراك عنده

آخر

عليك باقلال الزيارة انها ... تكون اذا دامت الى الهجر مسلكا

فانى رأيت القطر يسأم دائبا ويسئل بالايدى اذا هو أمسكا

وأنشدت لابى تمام حبيب بن أوس

وطول مقام المرء في الحى مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وأنشدنى لابراهيم بن المهدى

انى كثرت عليه في زيارته والشئ مستثقل جدا اذا كثرا

ورابنى منه أنى لاأزال أرى في طرفه قصرا عنى اذا نظرا

وقال عمر بن أبى ربيعة

لا تجعلن أحدا عليك اذا أحببته وهويته ربا

وصل الصديق اذا كلفت بحبه واطو الزيارة دونه غبا

فلذاك خير من مواصلة ليست تزيدك عنده قربا

لا بل يملك عند دعوته فيقول آه وطال مالبا

وقال آخر

أغب الزيارة لما بدا له الهجر أو بعض أسبابه

وما صد هجرا ولكنه طريد ملالة أحبابه

وكتب بعض الظرفاء رقعة وطرحها في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر حيث حرم القيان

عزمات الامير أصلحه الله بحسن الارشاد والتوفيق

باعدت بيننا وبين عجاب ومديل ومنصف وصديق

فوقع محمد في ظهر الرقعة

حسن رأى الامير في العشاق وفر الحظ في بعاد التلاقى

خاف أن يحدث الوصال ملالا فتلافى الهوى ببعض الفراق

وأنشدنى بعض الادباء

انى رأيتك لى محبا والىّ حين أغيب صبا

فهجرت لا لملالة حدثت ولا استحدثت ذنبا

الا لقول نبينا زوروا على الايام غبا

ولقوله من زار غبا منكم يزداد حبا

وهجرت حين هجرت كى ... أزداد بالهجران قربا
الله يعلم أننى ... لك أخلص الثقلين قلبا
أرعى لك الود القديـ ... ـم وان جنيت على حربا

ومن ذلك ماروى ان العتابى دخل على يحيى بن خالد البرمكى وكانت له جارية يقال لها خلوب تجالس الادباء وتناقض الشعراء فقال لها سليه لابطائه عنا جائزة فقالت له قل على هذه القافية

اذا شئت أن تقلى فزر متواترا ... وان شئت أن تزداد حبا فزر غبا

فأنشأ يقول

بقيت بلا قلب لانى هائم ... فهل من معير ياخلوب بكم قلبا
حلفت لها بالله أنك منيتى ... فكونى لعينى حيث مانظرت نصبا
عسى الله يوما أن يرينيك خاليا ... فأجنى بلحظى من محاسنكم عجبا
يقولون لاتكثر زيارة صاحب ... فانك إن أكثرته كره القربا
وكيف يطيق الصب سلوان حبه ... اذا كان مشغوفا قداستشعر الكربا
وقد قال بيتا ماسمعت بمثله ... خلى من الاحزان لم يذق الحبا
اذا شئت ان تقلى فزر متواترا ... وان شئت أن تزداد حبا فزر غبا

فقال له لله أبوك أحسنت خذ بيدها فهى لك وأمر له بالف درهم * واعلم ان كل مارسمناه في هذه الابواب وذكرناه وشرطناه على الادباء ووجدناه داخلا في باب حدود الادب على ماأصبناه غير خارج منه ولا منفصل عنه وأن يكون الاديب عاقلا واللبيب كاملا حتى تكون له مودة قد قرنها بأدبه وثابر عليها في طلبه فاذا جمع ذلك رهب منه الاعداء ورغب فيه الاولياء وسنذكر من أنشأته المروة فيكون فيه بلاغ وهداية ان شاء الله تعالى

باب شرائع المروة وصنمها

اعلم ان المروة هى عماد الادباء وعتاد العقلاء يرأس بها صاحبها ويشرف بها كاسبها ولا شيء أزين بالمرء من المروة فهى رأس الظارف والفتوة * وقد قال بعض الحكماء الادب يحتاج معه الى المروة والمروة لا يحتاج معها الى الادب وربما رأيت ذا المروة الخامل وذا السخاء الجاهل قد غطت مروته على عيوبه وستره سخاؤه من معيبه

وأهل المروات محسودة أفعالهم متبعة أحوالهم وقل مارأيت حاسدا على أدب وراغبا في أرب من ذلك* ماحكي عن محمد بن حرب انه قال كنت على شرطة جعفر بالمدينة فأتيت باعرابى من بنى أسد يستعدى عليه فرأيت رجلا له بيان يحتمل الصنيعة فرغبت في اتخاذها عنده فتخلصته ثم لم يلبث ان رد الى فقلت حماس فقال لى حماس والله قلت ماأرجعك قال الشر وما قاله رجل منا يقال له خالد فانشدنى

عادوا مروتنا فضلل سعيهم ولكل بيت مروة أعداء

لسنا اذا عد الفخار كمعشر أزرى بفعل أبيهم الابناء

قال فتخلصته ثانية* وقيل لبعض حكماء الفرس أى شيء للمروة أشد تهجينا فقال للملوك صغر في الهمة وللعامة الصلف وللفقهاء الهوى وللنساء قلة الحياء وللعامة الكذب والصبر على المروة صعب وتحملها عبء *وقد قال خالد بن صفوان لولا ان المروة اشتدت مؤونتها وثقل حملها ماترك اللئام للكرام منها شيأ ولكنه لما ثقل محملها واشتدت مؤونتها حاد عنها اللئام فاحتملها الكرام* وقال بعضهم المكارم لاتكون الا بالمكاره ولو كانت خفيفة لتناولها السفلة بالغلبة * وقال ابن عمر ماحمل رجل حملا أثقل من المروة فقال له أصحابه صف لنا ذلك فقال ماله عندى حد أعرفه الا أنى مااستحييت من شيء قط علانية الا استحييت منه سراً* وقام رجل من بنى مجاشع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ألست أفضل قومى فقال ان كان لك عقل فلك فضل وان كان لك خلق فلك مروة وان كان لك مال فلك حسب وان كان لك دين فلك تقى وان كان لك تقى فلك دين* وروى الهلالى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من ثقيف ماالمروة فيكم قال الصلاح في الدين واصلاح المعيشة وسخاء النفس وصلة الرحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هى فينا * وقال عمر بن الخطاب المروة الظاهرة الثياب الطاهرة يعنى النقية من الذنوب *وقيل للاحنف ماالمروة قال اصلاح المعيشة واحتمال الجريرة* وقال معاوية لصعصعة بن صفوان ماالمروة قال الصبر على ماينوبك والصمت حتى تحتاج الى الكلام *وقال محمد بن على بن الحسين كمال المروة الفقه في الدين والصبر على النوائب وحسن تقدير المعيشة *وقال معاوية لرجل من عبد القيس ماتعدون المروة فيكم قال العفة والحرفة *وقيل لابى زهرة ماالمروة قال اصلاح الحال والرزانة في المجالس والغداء والعشاء بالافنية* وقال عمر بن الخطاب حسب المرء ماله وكرمه دينه وأصله عقله ومروته خلقه *وقال على بن أبي طالب

مروة الرجل حيث يضع نفسه * وقال عبد الله بن ميط بن عجلان سمعت أيوب السجستاني يقول لاينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان العفة عن الناس والتجاوز عنهم * وقال مسلمة بن عبد الملك مروتان ظاهرتان الرياسة والفصاحة * وكان يقال ثلاث يفسدون المروة الالتفات في الطريق والشح والحرص * وقال عمر بن هبيرة عليكم بمباكرة الغداء فان في مباكرة الغداء ثلاث خلال يطيب النكهة ويطفئ المرة ويعين على المروة قيل وما إعانته على المروة قال لاتتوق النفس الى طعام غيره * وقال سلم بن قتيبة لاتتم مروة الرجل حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدرد * وسأل ابن زياد رجلا من الدهاقين ماالمروة فيكم قال أربع خصال أن يعتزل الرجل الريبة فلا يكون في شئ منها فانه اذا كان مريبا كان ذليلا وأن يصلح ماله فان من أفسد ماله لم تكن له مروة وأن يقوم لاهله بما يحتاجون اليه حتى يستغنوا به عن غيره فان من احتاج أهله الى الناس لم تكن له مروة وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه فان المروة ألا يخلط على نفسه في مطعمه ولا مشربه * وكان يقال ثلاث من المروة تعاهد الرجل اخوانه واصلاح معيشته واقالته في منزله * وسئل العتابى عن المروة فقال اخفاء مالا يستحي من اظهاره ومواطأة القلب اللسان * ويروى عن عبد الله بن بكر السهمى ان عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فجلس مليا ثم انصرف فقال معاوية ماأكمل مروة هذا الفتى وأخلقه أن يبلغ فقال عمرو ياأمير المؤمنين ان هذا أخذ بخلائق أربع وترك ثلاثا أخذ بأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤونة اذا خولف وبأحسن البشر اذا لقي وترك مزاح من لايوثق بعقله ولا دينه وترك مخالفة لئام الناس وترك من الكلام مايعتذر منه (فهذه) جملة شرائع المروة لايقدر على القيام بأدنى المفترض فيها الا ذوو العقول الفاضلة والآداب الكاملة (واعلم) ان من المروة أيضا عشرة خصال لامروة لمن لم يكن فيه الحلم والحياء وصدق اللهجة وترك الغيبة وحسن الخلق والعفو عند المقدرة وبذل المعروف وإنجاز الوعد وفي تبيينهن أخبار تحث على استعمالهن وآثار تدعو الى المثابرة عليهن وانا ذاكر بعض ذلك ان شاء الله وبه القوة

باب ماجاءمن فضل الصدق
لذوي الآداب وماكرهمن الكذب لذوي الالباب

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لايصلح الكذب في جد ولا هزل *وقال أبو بكر الصديق رضي اللهعنه اذا كذب العبد تباعد الملك منه ميلا لنتن ماجاء منه* وقيل لسان الصدق خير للمرء من المال يأكله ويورثه*وقال المهلب بن أبي صفرة ماالسيف الصارم في يد الرجل الشجاع بأعزله من الصدق* وكان يقال الصدق قوة والكذب عجز*أنشدني بعض الادباء

لايكذب المرء الا من مهانته — أوعادة السوءأومن قلة الادب

لجيفةالكلبعندي خير رائحة — من كذبة المرء فيجدوفيلعب

*وكان يقال لارأي لكذوب ولا مروة لكذاب*ويقال لاتستعن بكذاب فانه يقرب لك البعيد ويباعد لك القريب* وأنشدني آخر

وكن صادقا في كل شيء تقوله — ولا تك كذابا فتدعى منافقا

وقال آخر

الكذبعار وخير القول أصدقه — والحق مامسه من باطل زهقا

وأنشدني غيره

الصدق منجاة لمن هو صادق — وترى الكذوب بما يقول يوبخ

وقال أبو العتاهية

كن في أمورك ساكنا — فالمرء يدرك في سكونه

وأعمد الى صدق الحديث — فانه أزكى فنونه

رب امرىء متيقن — غلب الشقاء على يقينه

وحدثني بعض شيوخ الكتاب قال حدثني علي بن هشام قال قال لي محمد بن الجهم ذات يوم ياأبا الحسن الكذاب والموات بمنزلة واحدة قلت وكيف ذاك قال لان علامة الحي النطق ومن لم يوثق بنطقه فقد بطلت حياته(والذي جاء فيذلك) يطول شرحه ويكثر وصفه والكلام فيه يتسع وانا أفرد لهذا الباب كتابا وأرصفه أبوابا أبين فيه فضل الصدق على الكذب ليرغب فيه ذوو المروة والادب ان شاء الله تعالى

واما ماجاء في انجاز العدات عن ذوي الاخطار والمروات فكثير يكثر عدده

ويطول امده وقد شرحت لك بعض ذلك لتقف عليه ان شاء الله تعالى

باب ما جاء في قبح خلف المواعيد

ومايلحق صاحبه من اللوم والتفنيد

اعلم أن قبح مااستعمله أهل الادب مطل العدات*وقال المثنى بن خارجة لان أموت عطشا أحب الى من أن اخلف موعدا *وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث علامات في المنافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا أتمن خان واذا وعد أخلف *وروى عنه انه قال عدة المؤمن أخذ بالكف *وقال بعض الاعراب وعد الكريم تعجيل ووعد اللئيم مطل وتسويف*وكان يقال اليأس أحد الراحتين* وأنشدنى يعقوب بن يزيد التمار

متى ما أقل يوما لطالب حاجة نعم يافتى أفعل وذلك من شكلى
وان قلت لابينتها من مكانها ولم أوذه فيها بجر ولا مطل

وأنشدنى آخر

اذا قلت في شئ نعم فاتمه فان نعم دين على الحر واجب
والافقل لاواسترح وأرح بها لكى لايقول الناس انك كاذب

وأنشدنى آخر

لاتقولن اذا ما لم ترد ان يتم الوعد في شئ نعم
واذا قلت نعم فامض بها بنجاح الوعد ان الخلف ذم

وأنشدنى ابراهيم بن محمد النحوى

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تفعل ماتقول
لاخير في كذب الجوا د وحبذا صدق البخيل

وكان يقال اعتذار من منع أجمل من وعد ممطول*وقال على بن هشام أمرنى المأمون بحاجة فاخرتها فكتب الى

تعجيل جود المرء أكرومة تنشر عنه أحسن الذكر
والحر لا يمطل معروفه ولا يليق المطل بالحر

وكان يقال المعروف يحتاج الى ثلاث تعجيله وكتمانه واتمامه * وانشدنا ليزيد بن جبل

ياصانع المعروف كن تاركا ترداد ذى الحاجة في حاجته

فشر معروفك ممطوله ... وخيره ما كان من ساعته
لكل شئ يرتجى آفة ... وحسبك المعروف من آفته

وقال آخر

صل من أردت وصاله وإخاءه ... ان الاخوة خيرها موصولها
واذا ضمنت لصاحب لك حاجة ... فاعلم بأن تمامها تعجيلها

وقال آخر

لاتنشرن مواعيدا وتسندها ... الى المطال فما يرضى به الادب
لاتطلبن بمنع المال محمدة ... ان المحامد بالاموال تكتسب

*وكان يقال لكل شئ آفة وآفة المعروف المطل*وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكل شئ رأس ورأس المعروف تعجيله*وفي وصية عبد الملك بن مروان لبنيه يابنى لاتعدوا الناس بما لاتناله ايديكم*ويقال اذا وعدت الرجل نائلا ثم مطلته به فقدأوفاك ثمن معروفك عنده * وانشدونا لدعبل بن على الخزاعى

إياك والمطل أن تفارقه ... فانه آفة لكل يد
اذا مطلت امرءا بحاجته ... فامض على مطله ولاتجد
فلست تلقاه شاكراً ليد ... قد كدها المطل آخر الابد

وللفقيمى أيضا في مثله

ماكلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولاتجود يد الابما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها ... ولاتكونن مخلافا لما تعد

ولدعبل أيضا في مثله

وارى النوال يزينه تعجيله ... والمطل آفة نائل الوهاب

*وكان يقال بذل جاه السائل ثمن معروف المسائل *وقال أكثم بن صيفى السؤال وان قل ثمن لكل معروف وان جل * انشدنى محمد بن ابراهيم الهمدانى لعلى بن ثابت الكاتب

مااعتاض باذل وجهه بسؤاله ... بذلا ولو نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته ... رجح السؤال وخف كل نوال

* وقال بعض الحكماء أحى معروفك باماتة ذكره وعظمه بتصغيرك له * أنشدنى أبوالعباس ثعلب لابى يعقوب الخريمى

زاد معروفك عندى عظما انه عندك مستور حقير
وتناساه كأن لم تأته وهو عند الناس مشهور كبير

وقال عدى بن حاتم لا يصلح المعروف الا بثلاث تعجيله وكتمانه وتصغيره لانك اذا عجلته هنيته واذا كتمته استهنته واذا صغرته عظمته (وشرح) كل ما جاء في ذلك يطول والاختصار أحسن من الاكثار وقد ذكرت معنى هذا الباب مع مايلائمه من الاخبار فى كتاب لطيف التأليف والاختصار هو كتاب البث والحث غنينا بما فيه عن الزيادة وعن التطويل والاعادة ونحن نتبع هذا الباب بما ضمناه على الحث على كتمان السر ليرغب فيه ذوو الادب والقدرة ان شاء الله تعالى

باب الحث على كتمان السر

والترغيب في حفظ ما حنت عليه ضلوع الصدر

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على حوائجكم بكتمان السر *وكان يقال سرك من دمك فانظر أين تجعله *وكان يقال ما كتمته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك * وقال المهلب بن أبى صفرة من ضاق قلبه اتسع لسانه * وأنشدنى أحمد بن يحي لقيس بن الحدادية الخزاعى

بكت من حديث نمه وأشاعه ولصقه واش من القوم واضع
بكت عين من أبكاك لا يشجك البكا ولا تتخالجك الامور النوازع
ولا تسمعى سرى وسرك ثالثا ألا كل سر جاوز اثنين ضائع

وأنشدنى لبعض الطالبين

أكافي خليلى ما استقام بوده وأمنحه ودى اذا يتعتب
ولست ببادى صاحبى بقطيعة ولا أنا مفشى سره حين أغضب
عليك باخوان الثقات فانهم قليل فصاهم دون من كنت تصحب
وما الخدن الامن صفا لك وده ومن هو ذو نصح وأنت مغيب
اذا ما وضعت السر عند مضيع فذو السر ممن ضيع السر أذنب

وقال معاوية بن أبى سفيان الحازم من كتم سره من صديقه مخافة أن تبدل صداقته هداوة فيذيع سره * وقال بعض الشعراء

تواقف معشوقين من غير موعد وغيب عن نجواهما كل كاشح

وكلت جفون الماء عن حمل مائها ... فما ملكت فيض الدموع السوافح

وانى لاطوى السر عن كل صاحب ... وان كان للاسرار عدل الجوانح

وكتب عبد الملك بن مروان ببعض سره الى الحجاج بن يوسف ففشا حتى بلغه ذلك فكتب اليه عبد الملك يعاتبه فكتب اليه والله ياأمير المؤمنين ما أخبرت به الا انسانا واحدا فكتب اليه عبد الملك ان لكل انسان نصيحا يفشى اليه سره * وقال بعض الشعراء في ذلك

ألم تر أن وشاة الرجا ... ل لايتركون أديما صحيحا

فلاتفش سرك الااليك ... فان لكل نصيح نصيحا

وقال آخر

اذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها ... فسرك عند الناس أفشى وأضيع

وقال آخر

أمت السر بكتمان ولا ... يبدون منك اذا استودعت سر

فاذا ضقت به ذرعا فلا ... تجعلن سرك الا عند حر

وقيل لاعرابى استودع سرا فكتمه أفهمت قال لا بل نسيت * وأخبرنى أحمد بن عبيد قال أخبرنى ابن الاعرابى قال قيل لاعرابى كيف كتمانك السر فقال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر *وقيل لاعرابى كيف حفظك للسر فقال انا لحده * ومما استحسنته في كتمان السر قول كثير

أبى دون ما تخشون من بث سركم ... أخو ثقة سهل الخلائق أروع

ضنين ببذل السر سمح بغيره ... اخو ثقة عف الوصال سميدع

أبى أن يبث الدهر ماعاش سركم ... سليما وما دامت له الشمس تطلع

وله أيضا

كريم يميت السر حتى كأنه ... اذا استنطقوه عن حديثك جاهله

وعى سركم في مضمر القلب والحشا ... شفيق عليكم لا تخاف غوائله

وأكتم نفسى بعض سرى تكرما ... اذا ما أضاع السر في الناس حامله

وقول صاحبه أيضا

لعمرى ما استودعت سرى وسرها ... سوانا حذارا أن تشيع السرائر

ولا خاطبتها مقلتاى بنظرة ... فتعلم نجوانا العيون النواظر

ولكن جعلت اللحظ بيني وبينها رسولا فأدى ما تجن الضمائر

ومنه قول الآخر

ليهنك مني أنني غير مظهر هواك ولو أشرفت منه على نحبي

ولو أن خلقا كاتم الحب قلبه لمت ولم يعلم بحبكم قلبي

وقال آخر

لو ان امرءا أخفى الهوى عن ضميره لمت ولم يعلم بذاك ضمير

ولكن سألقى الله والقلب لم يبح بسرك والواشون عنك كثير

وقال العباس بن الاحنف

ايا من سروري به شقوة ومن صفو عيشي به أكدر

تجنيت تطلب ما أستحق به الهجر هيهات لا يقدر

وما ذا يضرك من شهرتي اذا كان سرك لا يشهر

أمني يخاف انتشار الحديث وحظي في صونه أكثر

ولو لم يكن فيه بقيا عليك نظرت لنفسي كما تنظر

وانشدني لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

ومؤتمن بالحزن في كل أمره وأسراره منه بحيث المقاتل

فلا سره عن ساحة الصدر نازح ولا هو عن سر تعداه سائل

ولغيره في مثله

فلنقل الجبال أهون من بث حديث حنت عليه الضلوع

فلك الله أنني لك راع ما بدا كوكب وبرق لموع

وانشدني أحمد بن عبد الله قال أنشدني ابن الكلبي لابن امينة

واني على السر الذي هو داخل اذا باح أصحاب الهوى لضموم

واني ما استودعت يا أم مالك على قدم من عهدنا لكتوم

وقال ابو الطيب — الضموم — الممسك وكذلك الزميت ايضا * وقال آخر

وحاجة دون أخرى قد شجيت بها خلفتها للذي اخفيت عنوانا

اني كأني ارى من لا حياء له ولا امانة وسط الناس عريانا

وانشدني احمد بن يحيى بن الحطيم

وان ضيع الاحرار سرا فانني كتوم لاسرار العشير امين

يكون له عندى اذا ما ضمنته   مكانا بسوداء الفؤاد مكين

وقال بشار بن برد المرعث

أبكى الذين اذاقونى مودتهم   حتى اذا أيقظونى في الهوى رقدوا
لا خرجن من الدنيا وسرهم   بين الجوانح لم يعلم به أحد

وأحسن والله الذى يقول

يأبى لى الذم أخلاق ومكرمة   منى وأذن عن الفحشاء صماء
والنجم أقرب من سرى اذا اشتملت   منى على السر أضلاع وأحشاء

والذى قيل في ذلك كثير جدا يطول به الخطب ويتسع فيه القول وليس قصدنا في كتابنا هذا المعنى وانما تقدمنا بذكر ماشرحناه ونعت ماوصفناه لانه لابد للظريف من استعمال كلما ذكرناه من حدود الادب وشرائع المروءة واعلم ان مذهبنا في هذا الكتاب الى معنى صفة الظرف وما يجب على الظريف استعماله وذكر مايجب عليه تركه وما اخترعنا في كتابنا هذا علما من عند انفسنا يجب لنا به الامتحان ولا يلحقنا فيه عيب من عاب ان عاب ولا على انه لا يطلب لفظه ولا يمتنع عند معايبهم الا معيب* وانشدنا احمد بن يحيي قال انشدنى ابن السكيت

رب غريب ناصح الجيب   وابن اب متهم الغيب
ورب عياب له منظر   مشتمل منه على العيب

ولكنا الفناه وجمعناه من اقاويل جماعة من الظرفاء والمتظرفات واهل الادب والمروات سمعناهم ورأيناهم يتكلمون به ويستعملونه فاحببنا أن نجمع ذلك ونجعله لهوا لمن أراد سماعه وعلما لمن أراد اتباعه وهديا لمن أراد رشده ومناراً لمن أراد قصده وطيبا لمن أراد شمه وأدبا لمن أراد فهمه وكتابنا هذا روضة تنتزه فيها العقول وعقود جوهر زينتها الفصول اذلم نخله من اخبار طريفة واشعار ظريفة واشياء نمت الينا من زى ظرفاء الناس في الطعام والشراب والعطر واللباس ومذهبهم فيما اجتنبوه من ذميم الافعال واستحسنوه من جميل الشيم والاخلاق وسأشرح ذلك وأبينه باباً باباً لتقف عليه ان شاء الله

باب سنن الظرف

اعلم أن عماد الظرف عند الظرفاء وأهل المعرفة والادباء حفظ الجوار والوفاء

بالذمار والأنفة من العار وطلب السلامة من الاوزار ولن يكون الظريف ظريفا حتى تجتمع فيه خصال أربع الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة* وسألت بعض الظرفاء عن الظرف فقال التودد الى الاخوان وكف الاذى عن الجيران *وقال آخر الظرف ظلف النفس وسخاء الكف وعفة الفرج *وأخبرني أحمد بن عبيد قال قال الاصمعي وابن الاعرابي لايكون الظرف الافي اللسان يقال فلان ظريف أي هو بليغ جيد المنطق ومنه حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا كان اللص ظريفا لم يقطع أى لانه يكون له لسان فيحتج به فيدفع عن نفسه * قال وروى عن محمد بن سيرين أنه قال الظرف مشتق من الفطنة *وقال غيره الظرف حسن الوجه والهيئة* وقال بعض المشيخة الظريف الذى قد تأدب وأخذ من كل العلوم فصار وعاء لها فهو ظرف * وقال أحمد بن عبيد معناه أنه يعى أدبا وعلما كما يعى ظرف الشيء مايكون فيـه ولذلك معنى اذا كان اللص ظريفا لم يقطع اذا كان واعيا للعلم لم يسرق الا بتأول* كما فعل الشعبي وقد دخل بيت المال فاخذ منه دراهم وانما أراد به التأول لماله فيه من الحق* وسألت بعض متظرفات القصور عن الظرف فقالت من كان فصيحا عفيفا كان عندنا متكاملا ظريفا ومن كان غنيا عاهرا كان ناقصا فاجرا* وقال بعض الادباء الظرف ظلف النفس ورقة الطبع وصدق اللهجة وكتمان السر وسألت بعض الظرفاء فقال الظرف في أربع خصال الحياء والكرم والعفة والورع *وأنشدنى أبو عبد الله الواسطى لنفسه في هذا المعنى

ليس الظريف بكامل في ظرفه   حتى يكون عن الحرام عفيفا
فاذا تورع عن محـارم ربه   فهنـاك يدعوه الانام ظريفـا

ومثله لبعض المتأدبين

إن أكن طامح اللحاظ فانى   والذى يملك العباد عفيف
ليس طرف الظريف بالنفس لكن   كل ذى عفة فذاك ظريف

وخبرت أن عبد الملك بن مروان وجد على بعض عماله فقيده وحبسه في داره فاشرفت عليه ابنة لعبد الملك فنظر اليها فانشأت تقول

أيها الرامى بالطر   ف وفي الطرف الحتوف
إن ترد وصلا فقد أم   كنك الظبي الألوف

فأجابها الفتى فقال

ان تريني زانى العيـ   نين فالفرج عفيف

ليس الا النظر الفا   تن والشعر الظريف

فاجابته الجارية

قد أردناك على أن   تعتنق ظبيا ألوفا
فتأبيت فلا زا   ت لقيديك حليفا

فذاع الشعر وبلغ عبد الملك فدعا به فزوجه اياها ودفعها اليه*واجتاز عبد الله بن عبد الرحمن الذى كان يعرف بالقس لعبادته بسلامة المغنية التى صارت الى يزيد بن عبد الملك فسمعها وهى تغنى فوقف يستمع غناءها فادخله مولاها عليها فوقعت في قلبه ووقع بقلبها فقالت له يوما وقد خلا مجلسهما أنا والله أحبك فقال وأنا والله أحبك قالت فانا والله أشتهى أن أضع فمى على فمك والصق صدرى بصدرك وأضمك الىّ وتضمنى اليك قال وأنا والله أشتهى ذلك قالت فما يمنعك من ذلك فوالله ان الموضع لخال وما بقربنا أحد فقال ويحك انى سمعت الله يقول (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) فانا أكره أن تكون خلتى لك في الدنيا منقطعة في الآخرة ثم وثب فانصرف*وكان لعلى بن أبى طالب عليه السلام جارية تدخل وتخرج وكان له مؤذن شاب فكان اذا نظر اليها قال لها انا والله احبك فلما طال ذلك عليها أتت عليا عليه السلام فاخبرته فقال لها اذا قال لك ذلك فقولى انا والله أحبك فمه فاعاد عليها الفتى قوله فقالت له وأنا والله أحبك فمه فقال تصبرين ونصبر حتى يوفينا من يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب فاعلمت عليا عليه السلام فدعا به فزوجه منها ودفعها اليه*وأنشدنى أبو عبد الله الواسطى لنفسه في هذا المعنى

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى   منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى   منه الفكاهة والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم   وليس لى في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا إتيان معصية   لاخير في لذة من بعدها سقر

ومثل ذلك قول الآخر

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها   من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها   لاخير في لذة من بعدها النار

ومما أستحسنه في العفة أيضا ما أنشدنيه أحمد بن يحيى ثعلب لبعض نساء العرب

وبتنا خلاف الحي لانحن منهم   ولانحن بالاعداء مختلطان

وبتنايقينا ساقط الطل والندى … من الليل بردا يمنة عطران
نذود بذكر الله عنا من الصبى … اذا كاد قلبانا بنا يردان
ونصدر عن رى العفاف وربما … نقينا غليل النفس بالرشفان

وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب

أحبك لامن ريبه كان بيننا … ولانسب بيني وبينك شابك
أحبك إن خبرت أنك فارك … لعمرى انى مولع بالفوارك
أحب فتاة أن تشاغب زوجها … وان لم أنل من وصلها غير ذلك

قال أبو الطيب ـ الفارك ـ المبغضة لزوجها يقال قد فركت المرأة زوجها تفركه اذا أبغضته وهى فارك والرجل مفروك * ومثله قول الحسين بن مطير

أحبك ياسلمى على غير ريبة … وماخير حب لاتعف سرائره

ومثله أيضا قول الآخر

أتأذنون لصب في زيارتكم … فعندكم شهوات السمع والبصر
لايفعل السوء إن طال الجلوس به … عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقال محمود الوراق

انى أحبك حبا لالفاحشة … والحب ليس به فى الله من بأس

وانشدنى بعض الادباء قال انشدنى اعرابى ببلاد نجد

ويوم كابهام الحبارى قطعته … بقمعة والقوم فيهم تحرف
اذا ما هممنا صد زى نفوسنا … كما صد من بعد التهمم يوسف

قال أبو الطيب قوله ـ كابهام الحبارى ـ يريد نهاية مايكون من القصر وأنشدنى آخر

ما الحب الاقبل … وغمز كف وعضد
أوكتب فيها رقى … أنفذ من نفث العقد
ما الحب الاهكذا … ان نكح الحب فسد
من لم يكن ذا عفة … فانما يبغى الولد

ومن ذلك قول بثينة لجميل وقد قال لها هل لك يابثينة أن نحقق قول الناس فينا فقالت له مه دع حبنا مكانه إن الحب اذا نكح فسد * ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها والله يابثينة ما أرى فيك شيأ مما كان يقول جميل قالت ياأمير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في رأسك قال وكيف صادفتيه في عفته قالت كما وصف

نفسه حيث يقول

لاوالذى تسجد الجباه له　　مالى بما دون ثوبها خبر
ولابفيها ولاهممت به　　ماكان الا الحديث والنظر

*وقيل الاعرابى هل زنيت قط قال معاذ الله انما هما اثنتان اماحرة آنف لها من فسادها واماأمة آنف لنفسى من فسادى اياها *وروى عن ابن سهل بن سعد الشاعر قال دخلت على جميل بن معمر العذرى وهو عليل وانى لارى آثار الموت على وجهه فقال ياابن سهل أتقول ان رجلا يلقى الله لم يسفك دما حراما ولم يشرب خمرا ولم يأت بفاحشة أترجو له الجنة قلت أى والله فمن هو قال انى لارجو أن أكون أنا ذلك الرجل قلت بعد زيارتك بثينة وما تحدث به عنكما فقال والله انى لفى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ولا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان كنت حدثت نفسى فيها بريبة قط قال فما انقضى يومه حتى مات *وقال الاصمعى كان عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق جالسين بفناء الكعبة فمرت بهما امرأة من ربيعة وقيل من آل أبى سفيان فدعا عمر بكتف فكتب فيها

ألما بذات الخال فاستطلعا لنا　　على العهد باق ودها أم تصرما
وقولا لها أن النوى أجنبية　　بنا وبكم قد خفت أن تتيمما

فقال له ابن أبى عتيق ماتريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا فقال أترى ما سيرت في الناس من الشعر ورب هذه البنية ما قبل منها وما دبر ما قولت امرأة قط مالم تقله ولاطالعت فرج حرام قط *وقيل لكثير عزة هل نلت من عزة شيأ طول مدتك فقال لاوالله الا أنه رب ما كان يشتد بى الامر فاخذ يدها فاضعها على جبينى فاجد لذلك راحة *وقال اعرابى وخلا بامرأة كان يتعشقها ما زال القمر يرينيها فلما غاب أرتنيه قيل فما كان بينكما قال أقصى ما أحل الله وأدنى ما حرم الله عز وجل اشارة في غير باس ودنو في غير مساس وأنشأ يقول

ولرب لذة ليلة قد نلتها　　وحرامها بحلالها مدفوع

قال اعرابى من فزارة عشقت جارية من الحى فحادثتها سنين كثيرة والله ما حدثت نفسى بريبة قط سوى ان خلوت بها فرأيت بياض كفها في سواد الليل فوضعت كفى على كفها فقالت مه لاتفسد ماصلح فارفض جبينى عرقا ولم اعد (واعلم) ان الظرف ليس بمستغني عنه ولاهو مما يخل منه ولايعنف فيه صاحبه ولايفند عليه طالبه بل هو أنبل

مااستعمله العلماء وصبا اليه الادباء وتزينوا به عند اودائهم وتحلوا به عند اخلائهم وربما تكلفه قوم ليس من أهله فظرف وعاناه فلطف وأنه من المطبوعين أحسن منه من المتكلفين وللمتكلف علامات تظهر في حركاته وتبين في لحظاته لايسترها بتصنعه ولا تتغيب بتستره وان المطبوع على الظرف ليشهد له القلب عند معاينتــه بحلاوته وتسكن النفس عند لقائه الى مجالسته وتصبو الى محادثته وترتاح الى مشاهدته وهو بين في شمائله ظاهر في خلائقه بين في منطقه غير مستتر عند صمته دلائله واضحة في مشيته وزيه ولفظه يستدل عليه بظاهر حركة الملاحة دون اختبار باطن الحلاوة ألا ترى ان من زيهم التقزز والنظافة والملاحة واللطافة واظهار البزة وطيب الرائحة فالنفوس اليهم تائقة والقلوب وامقة والعيون رامقــة والارواح عاشقة وان من زيهــم الوقار والخشوع والسكون والخضوع والتصــنع بالاخلاق الوضية والشيم السنية والمذاهب الجميلة والهمم الجليلة ومما يستدل به على كمال أدبهم ويعرف به رجحان هممهم كثرة استعمالهم الهوى وطول معاناتهم الجوى وهو من أحسن مذاهبهم وأجــل مناقبهم ولسنا نقول ان الهوى ليس بفرض على ذوى العقل كما قال ذو التقصير والجهل بل هو من أوكد الفرض عليهم وأثبت الحجة للمتفرس الناظر اليهم على حسن تركيب الطباع والغرائز وصفاء جواهر الهمم والنحائز ان هو عند ذوى العلوم والاحكام من أجمل مذاهب الادباء والكرام وقال محمود الوراق في ذلك اذ كان الحب عنده كذلك

ألم تعلم فداك أبى وأمى   بان الحب من شيم الكرام

وليس يخلو أديب من هوى ولا يعرى من ضنى لان الهوى كما وصفته العلماء وكما قال فيه الحكماء انه هو أول باب تفتق به الاذهان وينفسح به الجنان وله سورة في القلب يحيا بها اللب وقــد يشجع الجبان ويسخى البخيل ويطلق لسان العى ويقوى حزم العاجز ليأنس به الجليس ويمتنع به الانيس ويذل له العزيز ويخضع له المتجبر ويبرز له كل محتجب وينقاد له كل ممتنع وهو أمير مطاع وقائد متبع وليس باديب عندهم من خرج من حد الهوى * وقد قال الاحوص بن محمد الانصارى

اذا أنت لم تعشق ولم تدر ماالهوى   فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
هــل العيش الا ماتلــذ وتشتهى   وان لام فيــه ذو الشنان وفنــدا

واجتاز رجل بمجنون بنى عامر وهو يخوض سور الحوض فقال له مابك يافتى ولم يعرفه فانشأ يقول

بى اليأس أو داء الهيام أصابنى فاياك عنى لايكن بك مابيا

قال أبو الطيب الهيام داء يأخذ الابل وتشرب الماء ولا تروى ويقال للابل التى يصيبها ذلك الهيم قال الله جل ثناؤه فشاربون شرب الهيم * فعرفه فقال أعاشق أنت قال نعم وأنشأ يقول

اذا أنت لم تعشق فتصبح هائما ولم تك معشوقا فأنت حمار

وقال

الحب أول مايكون لجاجة تأتى به وتسوقه الاقدار

وروينا عن الهزنادى عن هشام عن ابن سيرين قال كانوا لايرون بالعشق بأسا فى غير ريبة * وقيل لبعض البصريين ان ابنك قد عشق فقال وما بأس به انه اذا عشق نظف وظرف ولطف * وقيل لبعض العرب متى يكون الفتى بليغا قال اذا وصف هوى حيا وأنشدنى بعض الادباء

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى وما خير فيمن لايحب ويعشق

وقال آخر

وما تلفت الا من العشق مهجتى وهل طاب عيش لامرىء غير عاشق

وقال آخر

وما خير فى الدنيا اذا أنت لم تزر حبيبا ولم يطرب اليك حبيب

وقال آخر

وما سرنى انى خلى من الهوى ولا ان لى مابين شرق الى غرب

واعلم ان أول علامات الهوى على ذى الادب نحول الجسم وطول السقم واصفرار اللون وقلة النوم وخشوع النظر وادمان الفكر وسرعة الدموع واظهار الخشوع وكثرة الانين واعلان الحنين وانسكاب العبرات وتتابع الزفرات ولن يخفى المحب وان تستر ولا يتكتم هواه وان تصبر ولن يغنى ادعاء انه قد قارن العشق والهوى لان علامات الهوى نائرة وآيات الادعاء ظاهرة * وقد قال الاحوص الانصارى

ماعالج الناس مثل الحب من سقم ولا برى مثله عظما ولا جسدا
مايلبث الحب أن تبدو شواهده من المحب وان لم يبده أبدا

وقال آخر

مايعرف الحزن الا كل من عشقا وليس من قال انى عاشق صدقا

للعاشقين نحول يعرفون به   من طول ما حالفوا الاحزان والارقا

وحدثت عن الزبير بن بكار قال رأيت رجلا بناحية الثغر عليه أثر ذلة وخضوع واستكانة وخشوع كان يكثر التنفس ويخفى السكوت ويبدى الانين وحركات المحب لاتخفى في شمائله ولا يسترها بتصاونه فسألته في بعض أيامه وقد خلوت به عن حاله فكان جوابه وقد تحدرت الدموع من عينيه

انا في أمرى رشاد   بين غزو وجهاد

بدنى يغزو عدوى   والهوى يغزو فؤادى

وركبت سكينة ابنة الحسين بن على ذات ليلة في جواريها فمرت بعروة بن أذينة الليثى وهو في فناء قصر ابن عيينة فقالت لجواريها من الشيخ فقالوا عروة فعدلت اليه فقالت ياأبا عامر أنت تزعم أنك لم تعشق قط وأنت تقول

قالت وأبثثتها وجدى فبحت به   قد كنت عندى تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولى فقلت لها   غطى هواك وما ألقى على بصرى

كل من ترى حولى من جوارى احرار ان كان خرج هذا الكلام من قلب سليم قط * فهذان قد كتما هواهما فنمت شواهد نجواهما لان من اغتمس في بحر الهوى نمت عليه شواهد الضنى * فأما أهل الدعاوى الباطلة الذين ليست أجسامهم بناحلة ولا ألوانهم بحائلة ولا عقولهم بذاهلة فهم عند ذوى الفراسة يكذبون وعند ذوى الظرف لصحتهم يوبخون * وقد روى ان العباس بن الاحنف قال بينا أنا بالطواف اذا بثلاث جوار أتراب فلما أبصرننى قلن هذا العباس ودنت الى احداهن فقالت ياعباس أنت القائل

ماذا لقيت من الهوى وعذابه   طلعت على بلية من بابه

قلت نعم قالت كذبت ياابن الفاعلة لو كنت كذاك كنت كأنا ثم كشفت عن أشاجع معراة من اللحم وأنشأت تقول

ولما شكوت الحب قالت كذبتنى   فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا   وتخرس حتى لاتجيب المناديا

ودخل ابراهيم بن المهدى على أمير المؤمنين وكان ابراهيم انجل البطن كثير اللحم والشحم فقال له المأمون بالله ياعم عشقت قط قال نعم ياأمير المؤمنين وأنا الساعة عاشق قال وأنت على هذه الجثة والشحم الكثير ثم أنشأ المأمون يقول

وجه الذى يعشق معروف　　لانه اصفر منحوف
ليس كمن أمسى له جثة　　كانه للذبح معلوف

فاجابه ابراهيم بن المهدى

وقائل لست بالمحب ولو　　كنت محبا لذبت من زمن
فقلت قلبي مكاتم بدنى　　حبي فالحب فيه مختزن
أحب قلبي وما درى بدنى　　ولودرى ماأقام في السمن

هذان أيضا قد ادعيا المحبة ففضحهما شاهد النظر ولم يجز ادعاؤهما على ذى المعرفة والبصر * وقول ابراهيم أحب قلبي وما درى بدنى محال لايعلق القلب فيسلم الجسم ولكنه لاستحيائه قد احتج بحجة ضعيفة * وأنشدنى بعض المشيخة في مثل ذلك

وقائلة مابال جسمك سالما　　وعهدى باجسام المحبين تسقم
فقلت لها قلبي لجسمى لم يبح　　بحبي فجسمى بالهوى ليس يعلم

فالعرب تمدح بالضمر وتذم بالسمن وتنسب أهل النحول الى الادب والمعرفة وأهل السمن الى الفدامة وقلة الفهم وللفلاسفة والاطباء في ذلك قول يثبت ماادعت العرب وزعموا ان من غلب عليه البلغم عظم جسمه وكثر شحمه ولحمه وقل فهمه وطال سباته وانعقد لسانه لغلبة البلغم على قلبه واحتواء الرطوبة على لبه ومن كان أغلب مزاجاته المرة خف جسمه وقل لحمه وذاب شحمه وحسن ذهنه وصح فهمه لان النحول علامة المتفرسين ودلالة المتوسمين لايكاد ان تخطئ فيه الفراسة ولاتكذب فيه العيافة لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على صاحبه وابتناء قراره في مركبه وربما أنجب السمن وخاب الهزال ولا يكون ذلك الا في الفرد الشاذ من الرجال * ومن أمثال العرب في ذلك البطنة تذهب الفطنة * وروى ان جميل بن معمر العذرى صحبه رجل من عذرة وكان بطينا أكولا فجعل يشكو اليه هوى ابنة عم له فأنشأ جميل يقول

وقد رابنى من جعفر أن جعفرا　　ملح على قرص ويشكو هوى جمل
فلو كنت عذرى الهوى لم تكن كذا　　بطينا وأنساك الهوى كثرة الاكل

ومن عشق عندهم فلم ينحل جسمه ولم يطل سقمه ويتبين الخشوع في حركته والذل في نغمته نسبوه الى فساد الطبع ونقصان اللب وبعد الفهم وموت القلب ومن ادعى المحبة فلم ينحل ولم يسهر ولم يخشع ولم يذل ولم يخضع ولم يحمل نفسه على الامور

المتعبة والشدائد الفظيعة ويركب فيها المراكب الوعرة ويتقدم على الاشياء المهولة والاهوال المخوفة التى يلاقى فيها الموت ويعاين فيها الفوت ويباشر فيها الهلكة ويغرر فيها بالمهجة ويصبر منها على حتفه ويخاطر بنفسه ويرد الموارد التى يلاقى فيها الموت ويشرف منها على مهول الامر الذى فيه تلفه وحينه وحتى يعصى في هواه الاقارب ويعالج فيه العجائب فيكون كما قال العرجى

كم قد عصيت اليك من متنصح دانى القرابة أو وعيد أعادى
وتنوفة أرمى بنفسى عرضها شوقا اليك بلا هداية هادى

وكما قال سويد بن أبى كاهل

كم جشمنا دون سلمى مهمها نازح الغور اذا الآل لمع
وكذاك الشوق ما أشجعه يركب الهول ويعصى من وزع

فليس بعاشق عندهم ولا يثبت له اسم الهوى ولا يلحق بالظرفاء ولا يعد في الادباء لان الهوى عندهم في النحول والذهول والضنى والعناء والارق والقلق والسهر والفكر والذل والخضوع والانكسار والخشوع وادمان البكاء وقلة العزاء وكثرة الانين وطول الحنين وليس بعاشق من خرج عن هذه الصفات وانتقل من هذه الحالات أو وسم بغير هذه العلامات وعرف بغير هذه الدلالات * أنشدنى بعض الادباء

علامة من كان الهوى في فؤاده اذا مالقى أحبابه يتحيرا
ويصفر لون الوجه بعد احمراره فان حركوه للكلام تشورا

أنشدنى أبو الحسن بن الرومى

أرى ماء وبى عطش شديد ولكن لاسبيل الى الورود
أما يكفيك أنك تملكينى وأن الخلق كلهم عبيدى
وأنك لو قطعت يدى ورجلى لقلت من الهوى أحسنت زيدى

وحدثت عن ابن مخارق عن أبيه قال كنا عند المأمون يوما فقام فدخل الى حرمه وخرج وعيناه تذرفان فقال لى يامخارق تغن لى بهذين البيتين

سلام على من لم يطق عند بينه سلاما فاومى بالبنان المخضب
فما اسطعت الا بالبكاء جوابه وذلك جهد المستهام المعذب

فحفظتهما وتغنيت بهما فجعل يبكى وينتحب في بكائه ويزفر ثم قال لنا أتدرون ماقصتى قلت أمير المؤمنين اعلم وان شاء أعلمنا قال أنى دخلت الى بعض المقاصير فرأيت

جارية لى كنت أجد بها وجدا شديدا وهى للموت فسلمت عليها فلم تطق رد السلام فاشارت باصبعها فغلبتنى العبرة وأرهقتنى الزفرة فخرجت من عندها فحضرنى هذان البيتان من باب قصرها الى باب مجلسى ثم أمر برفع الشراب فما رأيت يوما أكدر منه

* وأنشدت للمعتصم في بعض جواريه :

أيامنقذ الغرقى أجرنى من التى بها نهلت روحى سقاما وعلت
لقد بخلت حتى لو انى سألتها قذى العين من سافي التراب لضنت

وأنشدت للمتوكل في جارية له

أمازحها فتغضب ثم ترضى وكل فعالها حسن جميل
فان تغضب فاحسن ذات دل وان ترضى فليس لها عديل

حدثنى أبو العباس بن الفضل الربعى قال حدثنى على بن الجهم قال حم المتوكل يوما وكان ذلك بعقب شر وقع بينه وبين قبيحة فرماها بمخدة فغضبت واحتجبت فحم بعقب ذلك ودخلنا عليه واذا الفتح قائم في يده قارورة فيها الماء ويحي بن ماسويه ينظر اليها فقال ليس أرى الا ماأحب فقلت ياأمير المؤمنين أنشدك أبياتا فقال لى أنشد فانشدته

تنكر حال علتى الطبيب فقال أرى بجسمك مايريب
جسست العرق منك فدل عندى على داء له شأن عجيب
فما هذا الذى بك هات قل لى فكان جوابه منى النحيب
فجسمى بالحبيب بلى سقاما وقلبي ياطبيب هو الكئيب
فحرك رأسه ودنا الى وقال الحب ليس له طبيب
فاعجبنى تظرفه على فقلت بلى اذا رضى الحبيب
فقال هو الشفاء فلا توان فقلت أجل ولكن لاتجيب
ألا هل مسعد يبكى لشجوى فانى هاهنا أبدا غريب

فضحك ودعا بالشراب وشرب وشربنا معه ووجه الى قبيحة فوقع الصلح بينهما وخرجت عندها رقعة بخط فضل الشاعرة

لأصبرن على مابى من المضض حتى أموت ولا يشعر بى الناس
ولا يقال شكا من كان يعشقه ان الشكاة لمن يهوى هو الياس
ولا أبوح بسر كنت أكتمه عند الجليس إذا مادارت الكاس

وأما من عشق من الشعراء فما يحصرهم عدد ولا يحصيهم أحـد * وقد عشق أكثر العرب بل كلهم قد عشق فمن المذكورين منهم المشتهرين بالصبوة والغزل فقيس مجنون بني عامر عاشق ليلى وقيس بن ذريح عشق لبنى وتوبة بن الحمير عشق ليلى الاخيلية وكثير عشق عزة وجميـل بن معمر عشق بثينة والمؤمل عشق الذلفاء ومرقش عشق أسماء ومرقش الاصغر عشق فاطمة بنت المنذر وعروة بن حزام عشق عفراء وعمرو بن عجلان عشق هند وعلى بن أديم عشق منهلة والمهذب عشق لذة وذوالرمة عشق مية وقابوس عشق منية والمخبل السعدى عشق الميلاء وحاتم طيء عشق ماوية ووضاح اليمن عشق أم البنـين والغمر بن ضرار عشق جمل والنمر بن تولب عشق حمزة وبدر عشق نعم وشبيل عشق فالون وبشر عشق هنـد وعمرو عشق دعد وعمر بن أبي ربيعة عشق الثريا والاحوص عشق سلامة وأسعد بن عمرو عشق ليلى بنت صيفي ونصيب عشق زينب وسحيم عبد بني الحسحاس عشق عميرة وعبيد الله ابن قيس عشق كثيرة وأبو العتاهية عشق عتبـة والعباس بن الاحنف عشق فوز وأبو الشيص عشق أمامـة فهؤلاء قليل من كثير ممن عشق وانما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ليقل به الخطاب ويحسن به الكتاب ولكل واحـد منهم سبب في حبه وحـديث في عشقه يطول شرحه ويكثر وصفه ونحن مفردون لاهـل العشق كتابا نذكر فيه أخبار المتيمين وملح المتعشقين وأشعار المتغزلين مع جملة من صفات الهوى في كتاب المقتنى ان شاء الله تعالى * وقد شهر أيضا بالصبوة والغزل جماعة من شعراء العرب منهم أبو كثير الهذلى وأبو صخر الهذلى وأبو دهبل الجمحى وريسان العذرى والصمة بن عبـد الله القشيرى وابن أذينة وابن الدمينة وابن الطثرية وابن ميادة والحسين بن مطير الى آخرين لايحصيهم العدد ولا يبلغهم الامد وقد ضرب في عروة بعشقه المثل لانه كان أطولهم صبوة وأكثرهم في العشق كثرة *أنشدني أحمد ابن يحيي لابي وجزة السعدى

وفي عروة العذرى ان مت أسوة	وعمرو بن عجلان الذى قتلت هند
وبي مثـــل ماماتا به غـير أنني	الى أجـل لم يأتني وقته بعـد
هل الحب الا عبرة بعـد زفرة	وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين بالليل كلما	بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال كثير

وأصبحت مماأحدث الدهر خاشعا ... وكنت لريب الدهر لاأتخشع
وعروة لم يلق الذى قد لقيته ... بعفراء والنهدى ماأتفجع

وقال جرير

هل أنت شاقية قلبا يهيم بكم ... لم يلق عروة من عفراء ماوجدا

وقال أيضا

بالعنبرية والنحيت أوانس ... قدن الهوى بتخلب وعذام
هل لانهيتك اذ قتلن مرقشا ... اما صنعن بعروة بن حزام

وقال الاحوص الانصارى

لاشك إن الذى بى سوف يقتلنى ... ان كان أهلك حب قبله أحدا
أحببتها فوتغت الناس كلهم ... يارب لاتشفنى من حبها أبدا
لو قاس عروة والنهدى وجدهما ... لكان وجدى بسعدى فوق ماوجدا

وقال أيضا

اذا جئت قالوا قد أتى وتهامسوا ... كأن لم يجد فيما مضى أحد وجدى
فعروة سن الحب قبلى ان شقى ... بعفراء والنهدى مات على هند

وقال جميل بن معمر

وما وجدت وجدى بهاأم واحد ... ولا وجد النهدى وجدى على هند
ولا وجد العذرى عروة اذ قضى ... كوجدى ولا من كان قبلى ولا بعدى
على ان من قدمات صادف راحة ... وما لفؤادى من رواح ولا رشد

وقال مروان بن أبى حفصة

أردين عروة والمرقش قبله ... وأخا بنى نهد تركن قتيلا
ولقد تركن أبى ذؤيب هائما ... ولقد قتلن كثيرا وجميلا
وتركن لابن أبى ربيعة منطقا ... فيهن أصبح سائرا محمولا

وأنشدنى عمرو بن قنان لنفسه

ان الاولى ماتوا على دين الهوى ... وجدوا المنية منهلا معسولا
قيس وعمرو والمرقش قبلهم ... كانوا لتنزيل الهوى تأويلا
ندبوا الطلول لاهلها لانهم ... عشقوا معانى أربع وطلولا

ولبعض المتأدبين

ياعذولي قد هويت فكفا　　انني بالهوى المميت رضيت
مات قيس وعروة وجميل　　وأراني بموتهم سأموت

وقال جميل بن معمر

قد مات قبلي أخو نهد وصاحبه　　مرقش واشتفى من عروة الكمد
وكلهم كان في عشق منيته　　وقد وجدت بهافوق الذى وجدوا
ان لم تنلني بمعروف تجود به　　أو يدفع الله عنى الواحد الصمد

وقد أحسنت والله امرأة من خثعم اذ تقول

فاقسم أني قدوجدت بجحوش　　كما وجدت عفراء بابن حزام
فماأنا الا مثلها غير انني　　معلقة نفسى ليوم حمام

وأحسن الذى يقول

عجبت لعروة العذرى أضحى　　أحاديثا لقوم بعد قوم
وعروة مات موتا مستريحا　　وكيف بميت في كل يوم

وبلغنا ان منهم من عشق صورة في حمام وخيالا في منام وكفا في حائط ومثالا في ثوب والعشق ألوان وأنواع وضروب وفنون وأمره عجيب *وقال بعض الشعراء

أبيت كانى للكواكب عاشق　　فاكثرهمى ان تزول الكواكب
عجبت لما يلقى من العشق أهله　　وفيما يلاقى العاشقون عجائب

وبلغ العشق من عروة بن حزام ان افرده ببلائه وعذبه بدائه وآنسه بانفراده وشرده عن بلاده * وحكى عن ابن أبى هتيف قال بينا أنا أسير في أرض بنى عذرة اذا أنا ببيت حرير فدنوت منه فاذا عجوز تمرض شابا وقد نهكته العلة وبانت عليه الذلة فسألتها عن خبره فقالت هذا عروة بن حزام فدنوت منه فسمعته يقول

من كان من أمهاتى باكيا الغد　　فاليوم انى أرانى اليوم مقبوضا
تسمعيه فانى غير سامعه　　اذا علوت رقاب القوم معروضا

فقلت أنت عروة بن حزام قال نعم أنا الذى أقول

جعلت لعراف اليمامة حكمه　　وعراف نجد ان هما شفيانى
فقالا نعم تشفى من الداء كله　　وقاما مع العواد يبتدران
فما تركا من سلوة يعلمانها　　ولا شربة الا بها سقيانى
فقالا شفاك الله والله مالنا　　بما حملت منك الضلوع يدان

فلهفى عـلى عفـراء لهفا كانه على النحر والاحشاء حد سنان

فعفراء أحظى الناس عندى مودة وعفراء عنى المعرض المتوانى

ثم خفق خفقة فتوهمت انها غشـية فتنحيت عنه ودنت العجوز منه فما برحت حتى سمعت الصيحة فاذا هو قد فارق الدنيا * وبلغ العشق أيضا من مجنون بنى عامر ان أخرجه الى الوسواس والهيمان وذهاب العقل وكثرة الهذيان وهبوط الاودية وصعود الجبال والوطء على العوسج وحرارة الرمال وتمـزيق الثياب واللعب بالتراب والرمى بالاحجار والتفرد بالصحارى والاستيحاش من الناس والاستئناس بالوحش حتى كان لا يعقل عقلا فاذا ذكرت ليـلى ثاب اليه عقله وأفاق من غشيته وتجلت عنـه غمرته وحدثهم عنها أصح الرجال عقلا وأخلصهم ذهنا لا ينكرون من حديثه شيأ فاذا قطع ذكرها رجع الى وسواسه وهذيانه وتماديه في ذهاب عقله * وقد حكى عنه في أول ابتداء وسواسه انه قيل لابيـه لو أخرجت قيسا أيام الموسم وأمرته بان يتعلق باستار الكعبة ويقول اللهم أرحنى من حب ليلى لعل الله كان يريحه من ذلك ففعل فلما طاف بالبيت أمره فتعلق باستار الكعبة وقال قل اللهم أرحنى من حب ليلى فقال اللهم زدنى لليلى حبا الى حبها وأرنى وجهها في خير وعافية فضربه أبوه فانشأ يقول

ذكرتك والحجيج له ضجيج بمكة والقـلوب لها وجيب

فقلت ونحن في بلد حرام به لله أخلصت القـلوب

أتوب اليك يارحمن ممـا عملت فقد تظاهرت الذنوب

واما من هوى ليلى وتركى زيارتهـا فانى لا أتوب

وكيف وعندها قلبي رهين أتوب اليـك منها أو أنيب

وقال أيضا

دعا المحرمون الله يستغفرونه بمكة شعثا كى تمحى ذنوبها

وقلت لرب الناس أول سألتى لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها

فان أعط ليلى في حياتى لا يتب الى الله عبـد توبة لا أتوبها

وقال أيضا

فلو أن مابى بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ولو اننى أستغفر الله كلما ذكرتك لم يكتب على ذنوب

وبات في بعض ليالى حجه تحت شجرة فانتبه بنوح حمامة فانشأ يقول

لقد هتفت في جنح ليل حمامة   على فنن تدعو وانى لنائم
فقلت اعتذارا عندذاك وانني   لقلبي فما قد رأيت للائم
أأزعم أنى عاشق ذو صبابة   بليلى ولا أبكى ويبكى الحمائم
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقا   لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

وسمع هاتفا من الليل وهو ينادى ياليلى نخر مغشيا عليه ثم أفاق وهو يقول

وداع دعا اذنحن بالخيف من منى   فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه   وليلى بأرض عنه نازحة قفر
عرضت على قلبي العزاء فقال لى   من الآن فاجزع لا أعزك من صبر
اذا بان من تهوى واسلمك النوى   ففرقة من تهوى أحر من الجمر

وقال أيضا

فليك من داع دعا ولو انه   صدى بين أحجار لظل يجيبها

وقد أحسن اذ حكم على صدى في رمسه باجابة لدعوتها والمبادرة الى تلبيتها وهكذا فلتكن غلبة العشق وصدق الهوى * ومثل ذلك قوله أيضا

لمست ثيابى ان قدرت ثيابها   ولم ينهنى عن مسهن حرامها
ولو شهدتنى حين تحضر ميتتى   جلا سكرات الموت عنى كلامها

ومثل ذلك قول الآخر

ولو كلمتنا بين زمزم والصفا   وبين حطيم البيت أصبى كلامها
ولو مكثت بعد التطوع ساعة   بمكة ولاها الصلاة امامها
ولو نطقت والموت يجرى ظلامه   لجلى ظلام الموت عنى ابتسامها

ومثله قول جميل بن معمر

حلفت يمينا يابثينة صادقا   فان كنت فيها كاذبا لعميت
حلفت لها بالبدن تدمى نحورها   لقد شقيت نفسى بكم وعنيت
فلو ان جلدا غير جلدك مسنى   وباشرنى دون الشعار شريت
ولو ان داع منك يدعو جنازتى   وكنت على أيدى الرجال حييت

ومثله قول الاعشى

عهدى بها في الحى قد سربلت   صفراء مثل المهرة الضامر
لو أسندت ميتا الى نحرها   عاش ولم ينقل الى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا　　ياعجبا للميت الناشر

قد حنجم الثدى على نحرها　　في مشرق ذى بهجة زاهر

ومثله قول المجنون أيضا

ولو كنت أعمى أخبط الارض بالعصا　　أصم فنادتنى أجبت المناديا

واشهد عند الله أنى أحبها　　فهذا لها عندى فما عندها ليا

قال وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر فقال

الا ليتنى أعمى أصم تقودنى　　بثينة لايخفى على كلامها

فهؤلاء قد زعموا ان كلام النساء يجلو العمى ويسمع الصم ويحيي الميت ويدفع الموات وينشر القبور من قبل أوان النشور * وقد قال بعض الاعراب ان من كلام النساء مايقوم مقام الماء فيروى من الظماء * وقال آخر حلاوة نغم النساء في الآذان ألذ من موقع الماء العذب من العطشان * وقال القطامى في مثل ذلك

وفي الجدور غمامات برقن لنا　　حتى تصيدننا من كل مصطاد

قتلننا بحديث ليس يعلمه　　من يتقين ولا مكروهه بادى

وهن ينبذن من قول يصبن به　　مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

وعمر بن أبى ربيعة يقول في سكينة ابنة الحسين بن على رضى الله عنهما

أسكين ماماء الفرات وبرده　　منى على ظمأ وحب شراب

باحب منك وان نأيت وقل ما　　ترعى النساء امانة الغياب

ولبعض المتادبين في مثله

والله ماشربة من ماء غادية　　اذا ظمئت وكرب الموت يغشانى

ألذ من شربة من فيك أسمعها　　تلك الشفاء لقلب الهائم العانى

وروى ان عمر بن أبى ربيعة قال أتتنى امرأتان في أيام غزلى فجعلت احداهما تسر الى سرا والاخرى تعضنى فما شعرت بعضة هذه من لذة سرار هذه * ودخل كثير على عبد الملك بن مروان فقال يا كثير حدثنى ببعض أخبار جميل فقال نعم ياأمير المؤمنين لقيت جميلا ذات يوم فقال هل لك في المسير معى نحو بثينة قلت نعم فسايرته حتى دنا من موضعها فقال تصير اليها فتعلمها بمكانى فمضيت فاعلمتها فاقبلت في نسوة من الحى فلما رأينه انصرفن عنها وتنحيت عنهما فلم يزالا من أول الليل الى ان رهقهما الصبح قائمين في اقدامهما فلما عزما على الافتراق قالت ادن منى ياجميل فدنا منها

فاسرت اليه سرا فخر مغشيا عليه فما أيقظه الا حر الشمس فافاق وأنشأ يقول

فما ماء مزن من جبال منيفة ولا ماأكنت في معادنها النحل
باشهى من القول الذى قلت بعدما تمكن في حيزوم ناقتى الرحل

وقال جرير أيضا

ولقد رمينك يوم رحن باعين يقتلن من خلل الستور سواجى
ويمنطق شغف الفؤاد كانه عسل يجدن به بغير مزاج

وقال الفرزدق

اذا هن ساقطن الحديث كانه جنى النحل أو أبكار كرم تقطف
تراهن من فرط الحياء كانها مراض سلال أو هوى لك نزف

وليس يمكن أن يكون ذلك عندهم كذلك * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه شتى بأحاديث صحت عن الثقات ونقلت عن الرواة ان حبك للشئ يعمى ويصم * وليس بعجب ماقال المجنون واشباهه من غلبة العشق عليهم وقد قال غيره أعظم مما قاله وأقطع وأجل ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا ان منهم من قتل نفسه غرقا وذبحا وخنقا كل ذلك أسفا وحسرة وتلهفا * فمن ذلك ماحكى عن شيخ حضر مجلس العتبى فاخبرهم انه حضر مجلسا فيه قينة وفتى وكان الفتى يهوى القينة وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ وابنة الشيخ تهوى الفتى فغنت القينة

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا
ولا سيما عاشق اذا لم يجد مشتكى

فقال لها الفتى أحسنت والله ياستى أتأذنين لى ان أموت قالت مت راشدا فوضع رأسه على الوسادة وغمض عينيه فحركناه فوجدناه ميتا قال الشيخ فخرجنا متعجبين من ذلك وصرت الى منزلى فاعلمتهم ما كان من قصة الفتى ونظرت الى ابنتى وقد حاضرت فدخلت مجلسا لى فدخلت وراءها فاذا هى متوسدة على مثال ما كان عليه الفتى فحركتها فاذا هى ميتة فغدونا بجنازتها وغدوا بجنازة الفتى فاذا بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هى جنازة القينة وبلغها موت ابنتى فصنعت مثل ذلك فماتت فدفنا ثلاثة بموت واحد في موضع واحد وهذا من عجيب ماسمع به في هذا الامر * ومن ذلك ماأخبرنى أبو العيناء قال حدثنى عمرو بن بحر الجاحظ قال ذكرت لأمير المؤمنين المتوكل لتاديب ولده فلما نظر الى استبشع منظرى وأمر لى بعشرة آلاف درهم وصرفنى

فخرجت فلقيت محمد بن ابراهيم وهو يريد الانحدار الى مدينة السلام فعرض على الانحدار معه وقربت حراقته ودعا بطعامه وشرابه ونصب ستارته وأمر بالغناء فاندفعت عوادة له تتغنى

كل يوم قطيعة وعتاب ينقضى دهرنا ونحن غضاب
ليت شعرى انا خصصت بهذا دون ذا الخلق أم كذا الاحباب

ثم سكتت وأمر طنبورية فغنت

وارحمتى للعاشقينا ماان أرى لهم معينا
كم يهجرون ويظلمو ن ويقطعون فيصبرونا
وتراهم مما بهم بين البرية خاشعينا
يتجلدون ويظهرو ن تجلدا للشامتينا

قالت لها العوادة فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وضربت بيدها على الستارة فهتكتها وبرزت كانها فلقة قمر فزجت بنفسها الى الماء قال وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال وبيده مدية فلما رآها وما صنعت ألقاها من يده وأتى الى حيث رمت بنفسها فنظر اليها وهى تمور بين الماء فانشأ يقول

أنت التى غرقتنى بعد القضا لو تعلمينا

وزج نفسه في أثرها فادار الملاح الحراقة فاذا بهما معتنقين ثم غاصا ولم يريا فهال ذلك محمدا واستفظعه وقال للجاحظ ياعمرو لتحدثنى بحديث يسكن عنى فعل هذين والا ألحقتك بهما قال الجاحظ فحضرنى خبر سليمان بن عبد الملك وقد قعد للمظالم وعرضت عليه القصص فمرت به قصة فيها ان رأى أمير المؤمنين أطال الله بقاءه أن يخرج الى فلانة يعنى جارية من جواريه حتى تغنينى ثلاثة أصوات فعل فاغتاظ من ذلك سليمان وأمر من يخرج اليه فيأتيه برأسه ثم اتبع الرسول برسول آخر فامر أن يدخل الرجل اليه فادخل فلما مثل الرجل بين يديه قال له ماالذى حملك على ماصنعت قال الثقة بحلمك والاتكال على عفوك فامره بالقعود حتى لم يبق أحد من بنى أمية ثم أمر فاخرجت الجارية ومعها عودها ثم قال له اختر قال له قل لها تغنى بقول قيس بن الملوح

تعلق روحى روحها قبل خلقها ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد
فعاش كما عشنا فاصبح ناميا وليس وان متنا بمنقضب العهد

ولكنه باق على كل حالة ... وسائرنا في ظلمة القبر واللحد
يكاد فضيض الماء يخدش جلدها ... اذا اغتسلت بالماء من رقة الجلد
واني لمشتاق الى ريح جيبها ... كما اشتاق ادريس الى جنة الخلد

فغنته فقال سليمان قل قال تأمر لي برطل فامر له برطل فشربه ثم قال تغني بقول جميل

علقت الهوى منها وليدا فلم تزل ... الى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري بانتظاري نوالها ... وأبلت بذاك الدهر وهو جديد
فلا انا مردود بما جئت طالبا ... ولا حبها فيما يبيد يبيد
اذا قلت مابي يابثينة قاتلي ... من الحب قالت ثابت ويزيد

ثم قال تغنى بقول قيس بن ذريح

لقد كنت حسب النفس لو دام ودها ... ولكنما الدنيا متاع غرور
وكنا جميعا قبل أن يظهر النوى ... بأحسن حالي غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور

فتغنت فقال له قل قال تأمر لي برطل فما استتمه حتى وثب الى أعلى قبة سليمان ثم زج بنفسه على دماغه فمات فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون أتراه الجاهل ظن انى أخرج اليه جاريتي فاردها الى ملكي خذوا بيدها فانطلقوا بها الى أهله ان كان له أهل والا فبيعوها وتصدقوا بها عنه فلما انطلقوا بها نظرت الى حفرة في دار سليمان قد أعدت للمطر فجذبت نفسها وأنشأت تقول

من مات عشقا فليمت هكذا ... لاخير في العشق بلا موت

وزجت بنفسها في الحفرة على دماغها فماتت فسرى عن محمد وأحسن صلة الجاحظ

باب من مات من شدة الفقد

وتضعضعت أعضاؤه من شدة الوجد

حكى لنا عن اسحاق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدى عن هشام بن حسان قال حدثنا رجل من بنى تميم قال خرجت في طلب ناقة لي فوردت على ماء من مياه طيئ فاذا بعسكرين أحدهما قريب من الآخر واذا في أحد العسكرين شاب مدنف قد نهكته العلة فهو كالشن البالي فدنوت لاعرف خبره فسمعته وهو يقول

الا ماللمليحة لاتعود أسخط بالمليحة أم صدود
مرضت فعادني أهلي جميعا فما لك لاترى فيمن يعود
فقدتك بينهم فتلفت شوقا وفقد الالف ياسكني شديد
فلو كنت المريض لجئت أسعى اليك ولم ينهني القعود

قال فسمعت كلامه فبادرت نحوه وبدرنها النساء فتعكفن بها فاحسن بها فوثب مبادرا نحوها فحبسه الرجال فجعلت تجذب نفسها من النساء ويجذب نفسه من الرجال حتى التقيا فاعتنقا وبكيا ثم شهقا فخرا ميتين فخرج شيخ من بعض الاخبية فوقف عليهما فاسترجع ثم قال رحمكما الله أما والله لقد كنت لم اجمع بينكما في حياتكما لاجمعن بينكما بعد موتكما فامر بهما فكفنا في كفن واحد ودفنا في قبر واحد فسألت عنهما فقال هذه بنتي وهذا ابن أخي بلغ بهما الحب ما ترى *ومن ذلك أيضا ما حكى عن اسحاق الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة في عدة من الظرفاء وجماعة من القيان ومعنا فتى كاهيأ من رأيت من الفتيان وعليه أثر ذلة الهوى يديم الانين والبكاء فتغنت احداهن

انى لابغض كل مصطبر عن إلفه في الوصل والهجر
الصبر يحسن في مواطنه ما للفتى المحزون والصبر

فنظر اليها الفتى وتبادرت عبراته ثم وثب على قدميه ووضع يده على رأسه وقال

غدا يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعدا

ثم رمى بنفسه فسقط مجدلا من قامته فوثبنا اليه فحملناه ميتا *ومن ذلك ماحكى عن جميل بن معمر العذرى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياجميل حدثني ببعض أحاديث عذرة فانه يبلغني انهم أصحاب أدب وغزل قال نعم ياأمير المؤمنين ان آل بثينة انتجعوا الحى وقطعوا بلدا آخر فخرجت أريدهم فغلطت الطريق وجننى الليل ولاحت لى نار فقصدتها حتى دنت ووردت على راع في أصل جبل قد الجأ غنمه الى كهف في الجبل فسلمت فرد على السلام وقال احسبك قد ضللت الطريق قلت قد كان ذاك فأرشدنيه قال بل أنزل حتى تريح ظهرك وتبيت ليلتك فاذا أصبحت وقفتك على الطريق فنزلت فترحب بى وأكرمنى وعمد الى شاة فذبحها واجج نارا وجعل يشوى ويلقى بين يدى ويحدثني في خلال ذلك ثم قام بازار كان معه فقطع به جانب الخباء ومهد لى جانبا وترك جانبا خاليا فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو الى شخص كان معه فأرقت

له ليلتي فلما أصبحت طلبت الاذن فابى وقال الضيافة ثلاث فاقمت عنده وسألته عن اسمه ونسبته وحاله فانتسب لي فاذا هو من بني عذرة واشرافهم فقلت ياهذا وما الذي احلك هذا الموضع فاخبرني أنه يهوى ابنة عم له وتهواه وانه خطبها الى ابيها فابى أن يزوجها منه لقلة ذات يده وانه زوجها رجلا من بني كلاب نخرج بها عن الحي فاسكنها في موضعه ذلك وانه تنكر ورضى أن يكون راعياله لتأتيه ابنة عمه فتراه ويراها وجعل يشكو الى صبابته بها وشدة عشقه لها حتى اذا جننا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقع لها فابطأت عن الوقت وغلبه الشوق فوثب قائما وأنشأ يقول

مابال ميـة لا تأتي لعادتها — أهاجها طرب أم صدها شغل
لكن قلبي لا يالهيه غيرهم — حتى الممات ولالى غيرهم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم — لما اعتذرت ولا طالت لك العلل
روحي فداؤك قد هيجت لي سقما — تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو أن غادية منه على جبل — لزال وانهد عن أركانه الجبل

ثم قال يا أخا بني عذرة مكانك حتى أعود اليك فاني أتوهم أن أمرا عرض لابنة عمي ثم مضى فغاب عن بصري فلم يلبث أن أقبل وعلى يديه شيء محمول وقد علا شهيقه ونحيبه فقال ياأخا بني عذرة هذه بنت عمي أرادت أن تأتيني فاعترضها السبع فاكلها ثم وضعها عن يده وقال على رسلك حتى أعود اليك ومضى فابطأ حتى ايست من رجوعه ثم أقبل ورأس الاسد على يده فوضعه وجعل ينكت على اسنانه وهو يقول

الا أيها الليث المحل بنفسه — هبلت لقد جرت بداك لنا حزنا
وغادرتني فردا وقد كنت آنسا — وصيرت بطن الارض ثم لنا سجنا

ثم قال يا أخا بني عـذرة انك ستراني بين يديك ميتا فاذا أنا مت فاعمـد الي والى بنت عمي فادرجنا في كفن واحد واحفر لنا جدثا واحدا وادفنا فيه واكتب على قبري هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في مهل — والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتشتيت ألفتنا — فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ورد الغنم على صاحبها واعلمه بقصتنا ثم عمد الى خناق فطرحه في عنقه فناشدته الله أن لا يفعل فابى وجعل يخنق نفسه حتى سقط بين يدي ميتا فلما أصبحت كفنته وابنة

عمه كما أمرني ودفنتهما في قبر واحد وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم على زوجها وأعلمته بقصته فجعل يأ كل كفيه أسفا أن لايكون جمع بينهما في حياتهما فهذا وما أشبهه كثير جدا* وروى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال كنا عند عروة ابن الزبير وعنده رجل من بني عذرة فقال له عروة ياعذري بلغني أن فيكم رقة وغزلا فاخبرني ببعض ذلك قال لقد خلفت في الحي ثمانين مريضا دنفا عشقا مابهم غير الحب قد خامر قلوبهم

باب من وصف الحب

وما فيه من شدة المرارة والكرب

واعلم ان الحب مع ما فيه من المرارة والنكد وطول الحسرات والكمد مستعذب عند اربابه مستحسن عند أصحابه حلو لاتعدله حلاوة ولا تعدله مرارة * قال الكميت ابن زيد

الحب فيه حلاوة ومرارة   سائل بذلك من تطاعم أوذق
ماذاق بؤس معيشة ونعيمها   فيما مضى أحد اذا لم يعشق

وقال آخر

ياأيها الدنف المعذب بالهوى   انى بأحوال الهوى لعليم
الحب صاحبه يبيت مسهدا   ويطير عنه فؤاده ويهيم
الحب داء قد تضمن في الحشا   بين الجوانح والضلوع مقيم
الحب لايخفى وان أخفيته   ان البكاء على المحب نموم
الحب فيه حلاوة ومرارة   والحب فيه شقاوة ونعيم
الحب أهون مايكون مبرح   والحب أصغر مايكون عظيم

أنشدني أحمد بن يحيي ثعلب

سلني عن الحب يامن ليس يعرفه   ماأطيب الحب لولا انه نكد
طعمان حلو ومر ليس يعدله   في حلق ذائقه مر ولاشهد

وأنشدني ابراهيم بن محمد الواسطى لنفسه

سلني عن الحب فاني به   أعلم ذى وطء على نعل
طعمان ضدان فمستعذب   وآخر أشرى من القتل

ولبعض المتأدبين أيضا في مثله

سلني عن الحب يامن ليس يعلمه عندى من الحب ان سائلتم الخبر
أنا الذى بالهوى مازلت مشتهرا لاقيت فيه الذى لم يلقه بشر
الحب أوله عذب مذاقته لكن آخره التنغيص والكدر
كم تيم الحب أقواما وذللهم وكم يدللهوى قد وارت الحفر

أنشدنى ابن أبى الرعد

من كان لم يدر ماحب وصفت له ان كان في غفلة أو كان لم يجد
الحب أوله عذب وآخره مثل الحزازة بين القلب والكبد

أنشدنى الوليد بن عبيد البحترى لابى العتاهية

أخلاى بى شجو وليس بكم شجو وكل امرئ مما بصاحبه خلو
أذاب الهوى جسمى ولحمى وقوتى فلم يبق الا الروح والجسد النضو
رأيت الهوى جمر الغضا غير انه على كل حال عند صاحبه حلو
وما من محب نال ممن يحبه هوى صادقا الا سيدخله زهو

قال وأنشدنى ابن أبى الدنيا

الحب يترك من أحب مدلها حيران أو يقضى عليه فيسرع
الحب أهونه ثقيل فادح يهوى الجليد من الرجال فيصرع

باب مافي معرفة الهوى

وما كان اسمه في البادية أولا

واعلم ان الهوى عندهم هو الهوان الصراح والبلاء المتاح لانه يهين الكريم ويذل العزيز ويدله العاقل ويحط منزلة الشريف *وسئلت اعرابية عن الهوى فقالت الهوى هو الهوان وانما غلط باسمه واشتق من طبعه وان يعرف ماأقول الا من أبكته المنازل والطلول وأنشأت تقول

ليت الهوى لذوى الهوى لم يخلق بل ليت قلبي بالهوى لم يعلق
ان الذى علق الهوى بفؤاده كمنوط دون النساء معلق
لايستطيع نزوله لشناته لكن اليه كل هم يرتقى
ان الهوى لهو الهوان بعينه ماذاق طعم الذل من لم يعشق

وأنشدت لغيرها أيضا

ان الهوان هو الهوى نقص اسمه ... فاذا هويت لقد لقيت هوانا
واذا هويت لقد تعبدك الهوى ... فاخضع لحبك كائنا من كانا

أنشدنا أبو عبد الله الواسطى لنفسه

لم يدر ما بؤس الحياة ولينها ... الا الذين من الهوى بمكان
كم من عزيز قد ألم به الهوى ... فأقر بعـد كرامة بهوان
ليس الهوى الا الهوان ونونه ... نقصت كفعل الزور والبهتان
لين الحياة اذا نظرت وبؤسها ... بين الوصال وغصة الهجران
ما العشق عندى باختيار انما ... ذاك البـلاء يتاح للانسان

قال وأنشدنى أبو العيناء

وما كيس في الناس يحمد رأيه ... فيوجد الا وهو في الحب أحمق
وما من فتى ماذاق بؤس معيشة ... من الدهر الا ذاقها حين يعشق

باب ماسئل عنه اهل الصدق

من تمام خلات العشق

قال الاصمعى لابى وائل الاضاخى ماتقول في العشق فقال ان لم يكن عصارة من الشجر فهو ضرب من الجنون وأنشأ يقول

بقلبى شئ است أعرف وصفه ... على انه ما كان فهو شديد
تمر به الايام تسحب ذيلهـا ... فتبلى به الايام وهو جـديد

لعمرى أن بذلك ماوجب لهـم الدعاء فصار مفـترضا على الادباء كالفرض اللازب والحق الواجب الجليل الخطب وفادح الامر * أخبرنى أحمد بن عبيـد قال أخبرنى الاصمعى قال رأيت أبا السائب المخزومى متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ارحم العاشقين واعطف عليهم قلوب المعشوقين بالرأفة والرحمة ياأرحم الراحمين فقلت ياأبا السائب أفي هذا المقام تقول هـذا المقال فقال اليك عنى الدعاء لهم أفضل من حجة بعمرة ثم أنشأ يقول

ياهجر كف عن الهوى ودع الهوى ... للعاشـقين يطيب ياهجر
ماذا تريد من الذين جفونهم ... قرحى وحشو صدورهم جمر

وسوابق العبرات فوق خدودهم هطلا تلوح كأنها القطر

صرعى على جسر الهوى لشقائهم بنفوسهم يتلاعب الدهر

قال وخبرت عن الاصمعى أيضا انه قال رأيت جارية وهى تقول اللهم مالك يوم القضاء وخالق الارض والسماء ارحم أهل الهوى واستنقذهم من عظيم البلاء واعطف عليهم قلوب أودائهم بالصفاء فانك سميع النجوى قريب لمن دعا ثم أنشأت تقول

يارب انك ذو من ومغفرة بيت بعافية منك المحبينا

الذاكرين الهوى من بعد ماسهروا حتى يظلوا على الايدى مكبينا

فقلت ياهذه أتغنين وأنت في الطواف فقالت اليك عنى لايرهقك الحب فقلت لها وما الحب وأنا به أعرف منها فقالت جل أن يخفى ودق عن أن يرى له كمون ككمون النار في الحجر ان قدحته أوراك وان تركته توارى قال فتبعتها حتى عرفت منزلها فلما كان من الغد جاء مطر شديد فمررت ببابها وهى قاعدة مع أتراب لها زهر يقلن لها لقد أضربنا المطر ولولا ذلك لخرجنا الى الطواف فانشأت تقول

قالوا اضر بنا السحاب بقطره لما رأوه لعبرتى يحكى

لاتعجبوا مما ترون فانما هذا السحاب لرحمتى يبكى

وزعم قوم انه لاذنب على أهل الهوى ولا وزر وان خطاياهم تمحص عنهم بطول بلائهم وكثرة زفراتهم وما لقوا من الشقاء بأودائهم * وأخبرنى أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب عن رجل ذكره قال كنت عند مالك بن أنس فأتاه شاب فقال انى قد قلت أبياتا ذكرتك فيها فاسمعها قال لاحاجة لى فيها فقال لى أحب أن تفعل قال هات فقال

سلوا مالك المفتى عن اللهو والصبى وحب الحسان المغنجات الفوارك

يخبركم أنى مصيب وانما أسلى هموم النفس عنى بذلك

فهل في محب يكتم الحب والهوى اثام وهل في ضمة المتهالك

فسرى عن مالك وقال لاان شاء الله وكان ظن انه هجاه * أخبرنى أحمد بن يحيى ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن شيخ من عاملة قال مر ابن مرجانة الشاعر بسعيد بن المسيب فقال هذا ابن مرجانة قالوا نعم قال هذا الذى يقول

سألت سعيد بن المسيب مفتى الـ مدينة هل في حب دهماء من وزر

فقال سعيد بن المسيب انما تلام على ماتستطيع من الامر

والله ماسألني انسان عن شيء من هذا ولو سألني لاجبت * قال وسئل شريك بن عبدالله القاضي عن العشاق فقال أشدهم حبا أعظمهم أجرا * وأنشدني محمد بن يحيي اسلم

فو الله ماأدري واني لسائل ... بمكة أهل العلم هل في الهوى وزر
وهل في اكتحال العين بالعين ريبة ... اذا ماالتقى الالفان لا بل به أجر

وأنشدني ابراهيم الازدي لنفسه

ماالعشق في الاحرار مستنكر ... وما على العاشق من وزر

قال وأنشدني الجماش.

اذا قبل الانسان انسان يشتهي ... ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فان زاد زاد الله في حسناته ... مثاقيل يمحو الله عنه بها وزرا

وقال سائب راوية كثير حضرت مع كثير عند ابن أبي عتيق فانشدنا أبيات ابن قيس الرقيب التي يقول فيها

خبروني هل على رجل ... عاشق في قبلة حرج

فقال كثير لاان شاء الله ونهض * وأنشدني علي بن العباس بن رومي

أيها العاشق المعذب اصبر ... لخطيات ذي الهوى مغفوره
زفرة في الهوى أحط لذنب ... من غزاة وحجة مبروره

وقال المؤمل وأحسن والله في قوله

صف للاحبة مالقيت من سهر ... ان الاحبة لا يدرون ماالسهر
حسب المحبين في الدنيا عذابهم ... والله لاعذبتهم بعدها سقر

وقال الاصمعي رأيت جارية بالطواف وهي تقول

لن يقبل الله من معشوقة عملا ... يوما وعاشقها حيران مهجور
وليس ياجرها في قتل عاشقها ... لكن عاشقها لاشك مأجور

فقلت ياجارية أفي هذا المقام اما حياء فيردعك فانشأت تقول

بيض أوانس ماهممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ... ويصدهن عن الخنى الاسلام

وقد قيل أيضا ان قتيل الهوى لاقود له وان دماء أهل الهوى تبطل وتهدر * ومن ذلك ماحكي عن ابن عباس انه أتي بشاب محمول قد صار كالشن البالي فقيل له استشف الله لهذا المريض ياابن عم رسول الله فقال له ابن عباس ماعلتك يافتى فلم يحر

اليه جوابا ثم رفع رأسه وقال بلسان فصيح طليق

به لوعة لو تشتكي الصم مثلها　　تفطرت الصم الصلاب وخرت
ولو قسم الله الذي بي من الهوى　　على كل نفس حظها ما أبلت

ثم خفت خفتة ثم فتح عينيه وهو يقول

بنا من جوى الحب المبرح لوعة　　تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة ما ترى　　على ما به عود هناك صليب

فقال ابن عباس ممن الرجل فقال من بني عذرة ثم شهق شهقة فمات فقال ابن عباس لجلسائه هل رأيتم وجها أليق ولسانا أذلق من هذا هذا والله قتيل الهوى لا قود له ولا دية والى الله أرغب في العافية مما نرى * وأنشد أحمد بن يحيي ثعلب

اذا هن ساقطن الحديث لذي الهوى　　سقوط حصى المرجان من كف ناظم
رمين فاصمين القلوب فما ترى　　دما سائلا الا جوى في الحيازم
فاى دم لو تعلمين جنيته　　على الحر جاني مثله غير سالم
أما أنه لو كان غيرك أرقلت　　اليه القنا بالمرهفات الصوارم
ولكن وبيت الله ماطل مسلما　　كغر الثنايا واضحات المعاصم

وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه

قضى الله في القتلى قصاص دمائهم　　ولكن دماء العاشقين جبار
تطل دماء العاشقين وثارها　　لدى الحدق المرضى وذلك ثار

قال الاحوص بن محمد الانصاري

ماتذكر الدهر لي سعدى وان بعدت　　الا ترقرق ماء العين فاطردا
ياللرجال لمقتول بلا ترة　　لا ياخذون له عقلا ولا قودا

وحدثني العنزي أبو علي عن الزبير بن بكار عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه قال خرجت مع أبي سفيان فلقينا نسوة ينظرون العقيق فيهن امرأة حسناء العين فقال أبي

الا ياعباد الله هذا أخوكم　　قتيلا فهل فيكم به اليوم ثائر
خذوا بدمي ان مت كل خريدة　　مريضة طرف العين والجفن ساحر

قال فالتفتت الى امرأة فقالت يابني احتسب أباك واغتنم نهيبك فان قتيلنا لا يودى وأسيرنا لا يفدى * وأنشدني أحمد بن يحيي لجرير بن الخطفي

هل في الغوانى لمن قتلن من قود | أو من ديات لقتلى الاعين الحور
تبيت ليلك في وجـد مخامره | كان في القلب أطراف المسامير
ماكنت أول محزون أضر به | برح الهوى وعـذاب غير تفتير

وقال أيضا

اذا كحلن عيونا غير مقرفة | ريشن نبلا لاصحاب الصبى صيدا
مابال قتلاك لاتخشين طائلهم | لم تضمنى دية منهم ولا قودا

وقال عمر بن لجا

تراءت كى تكيدك أم عمرو | وكيدك بالتبرح ماتكيد
وكيف قتلتنى ياأم عمرو | ولا قود عليك ولا حدود

وقال اعرابى وما أساء

أقاتلتى يا للرجال حبيبة | الى بلا جرم لديها ولا ذحل
فقيم دماء العاشقين مضاعة | بلاقود عند الحسان ولا عقل

وأحسن والله المؤمل حيث يقول

انى قتلت بـلا جرم وقاتلتى | ياقوم جارية في طرفها حور
لما رمت مهجتى قالت لجارتها | انى قتلت قتيـلا ماله خطر
قتلت شاعر هذا الحى من مضر | فالله يعلم ماترضى بذا مضر
شكوت مابى الى هند فمااكترثت | ياقلبها أحديد أنت أم حجر
ان كنت جاهلة بالحب فانطلقى | الى القبور ففيمن حلها عـبر

وقد قيل أيضا ان قتيـل الهوى شهيد على ذلك أجمع فالله يعلم للادباء وأهل العـلم والظرف لموجود الاخبار ومسند الآثار * حدثنا قاسم الزبيدى باسناد ذكره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعشق فعف فهو شهيد* وقال بشار بن برد العقيلى

قرب دار الحبيب قرة عين | وكان البعاد في القلب ثكل
ان موت الذى يموت من الحـ | ـب عفيفا له على الناس فضل

ولبعض المتأدبين

ليتني مت والهوى داء قلبي | ان ميت الهوى لميت شهيد

ولقد أحسن جميل حيث يقول

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى اني اذا لسعيد
يقولون جاهد ياجميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد

وملح الحكمي حيث يقول

ولقد كنا روينا عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب أن سعد بن عباده
قال من مات محبا فله أجر الشهاده

واعلم بان العشق يحسن باهل العفة والوفاء ويقبح باهل العهر والخنى مع ان الهوى قد فسد وقل الوفاء وكثرت الخيانة والغدر واستعمل الناس في العشق شيئا ليس من سنة الظرف ولا من أخلاق الظرفاء وذلك ان أحدهم متى ظفر بحبيبه وأصاب الغفلة من رقيبه لم يعف دون طلب المعنى فهذا فساد الحب ودمار العشق وبطلان الهوى وتكدير الصفاء * أنشدني عبد الحميد الملطي

قد فسد الحب وهان الهوى وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه من قبل أن يسهر أو ينحلا

ولاحمد بن أبي فنن في مثل ذلك

انا لاأبدي بغدر أبدا فاذا ماغدرت لم أترك
واجدا منها بديلا مثلما وجدت مني بديلا لاتشك
أتراني أقعد الليل لها ساهر الأطلب وصلاقدهلك
وهي فيما تشتهي لاهية مت ان دار بهذين فلك
كان للناس وفاء مرة فانقضى وانحلت اليوم التكك

وحدثني أبو العيناء قال حدثني الجاحظ قال كتب بعض الظرفاء الى ملك جارية أبي جعفر

ياملك قد صرت الى خطة وكنت فيها منك ذا ضيم
يلومني الناس على حبكم والناس أولى فيك باللوم

فكتبت اليه

ان تكن الغلمة هاجت بكم فسكن الغلمة بالصوم

ليس بك الشوق ولكنما   تدور من هذا على الكوم

واعلم ان العشق لايكون مع الفسق ومتى مازج العشق الفسق ضعفت قواه وانفصمت عراه وهم لايريدون غير الرفث ويسمونه مسامير الحب وزعموا ان أسباب الحب لاتتصل الا به ولا يزال منحلا حتى يشدها ذلك وينشدون

العشــق داء دوى لادواء له   الا العناق وافشاء السريرات
وليس يلتذطيب العيش من أحد   الا بعضك أو رشف الثنيات
ووضعك الصدر فوق الصدر تجمعه   ضما اليك على ظهر الحشيات

وينشدون أيضا في مثل ذلك

رأيت الحب ليس له دواء   سوى وضع البطون على البطون
والصاق الثنايا بالثنايا   وأخذ بالمناكب والقرون

وقد ناظرت بعضهم مرةمن المرار فاحتج بخبر ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فاحتجوا بظاهر الخبر ولم يفحصوا عن التأويل وهذا خلاف مايفعل أهل الظرف والادب وغير هذا جاء عن العرب وقد بلغني عن الاصمعي انه قال قلت لاعرابي مرة ماالعشق فيكم قال النظرة بعد النظرة وان كانت القبلة بعد القبلة فهو الوصول الى الجنة فقلت ليس العشق عندنا كذلك قال فما هو عندكم قلت تفرق بين رجليها وتحمل نفسك عليها فقال بابى أنت لست بعاشق انما أنت طالب ولد

باب ماجاء فيمن تعفف في محبته
ورعى عقود عهود مودته

وما وجدنا أحدا من العرب يفعل ذلك ولا صمد نحوه وقد كان الواحد منهم يعشق من أول دهره الى آخره لايحاول فسقا ولا يقرب رفثا ولم يكن لهم مراد الا في النظر ولا حظ في غير الاجتماع والمؤانسة والحديث والشعر كما قال الفرزدق

وجدت الحب لايشفيه الا   لقاء يقتل العلل النهالا
أحب من النساء وهن شتى   حديث النزر والحدق الكلالا
مواقع للحرام وكل نحس   وتبدل مايكون لها حلالا

وكان الواحد منهم اذا تعلق خلة لم يفارقها حتى الممات ولم يشغل قلبه بغيرها ولم يهم بالسلو عنها وقصر طرفه عن من سواها وكذلك هي أيضا كانت له بتلك المنزلة

فأيهما هلك قبل صاحبه قتل الآخر نفسه في اثره اوعاش حافظا لوده قائما بعهده لا ينسى ذكره ولا يصل غيره فاستحسن الناس الملل والاستبدال والغدر والانتقال وصار اشدهم ظرفا واحسنهم الفا يتعشق السنين الكثيرة والدهور الطويلة ويتوهم بفعله انه عاشق فاذا فقد حبيبه يوما واحدا استبدل به سواه وينشدون في ذلك

افخر بآخر من بليت بحبه　　لاخير في حب الحبيب الاول
أتشك في ان النبي محمدا　　ساد البرية وهو آخر مرسل

وأنا ابرا الى الله ان يكون هذا من شعر ظريف او من فعل حصيف ولكن قد احسن ابو تمام الطائى حيث يقول

البين جر على نقيع الحنظل　　والبين اثكلنى وان لم اثكل
ماحسرتى ان كدت اقضى انما　　حسرات نفسى اننى لم افعل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى　　ماالحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى　　وحنينه أبدا لاول منزل

على انه ليس التنقل من حبيب اول الى حبيب ثان بحسن وانما الحب ماأقام عليه القلب فلم يجد التخلص منه الى غيره كما قال جرير

أخالد قد هويتك بعد هند　　فشيبنى الخوالد والهنود
هوى بتهامة وهوى بنجد　　فتبلينى التهائم والنجود

ولا كقوله ايضا

احب ثرى نجد وبالغور حاجة　　فغار الهوى ياعبدقيس وانجدا

ولا كقول الآخر

انى سأبدى الحب فيما أبدى　　لى شجنان شجن بنجد

وشجن لى ببلاد الهند*ولا كقول الآخر

هوى بالغور لى وهوى بنجد　　فما ادرى اانجد ام اغور
بكل حاجة وهوى مقيم　　بقلبك قد تضمنه الضمير
بشرقى العراق بباب عمرو　　وبالغورين زينب والقدور

هذا والله من الفاظ الشعر اسمج جدا وقد كذب هؤلاء وادعوا وجدا وهل يجتمع وجدان في موضع ولكن قد احسن جميل حيث يقول

وقلت لنسوان تعرضن دونها ... اليكن انى غيركن أريد

وحيث قال أيضا

وكم من بديل قد وجدنا وطرفة ... فتأبى على النفس تلك الطرائف

فهذا هو الصادق الهوى الخلص الوفاء لاجرير وصاحبه ولا الذى يقول

أرى ذا فأهواه وأبصر غيره ... فأترك ذا ثم استبد بذا عشقا

ثمانون لى في كل يوم أحبهم ... ومافي فؤادى واحد منهم يبقى .

فقبح الله هذا اللفظ لفظا ولا أعطى قائله حظا فايس من شعر وامق بل هو من فعل مماذق ولا والله ماالتنقل من شأن الادباء ولا الاستبدال من فعل الظرفاء وانما الهوى ماحسن سريرته وهيهات أن ذوو الوداد الخالص والصفاء الدائم والحب اللازم وذوو الحفاظ ورعاة العهود والمتمسكون بالوفاء والراغبون في صحيح الاخاء اليك فقد تنقضت وثائق الحب وانقصمت عرى الهوى وتقطعت أسباب العشق وتكدر صافي المودة والناس كما قال الشاعر

قل الثقات فما أدرى بمن أثق ... لم يبق في الناس الا الزور والملق

وان الغدر في النساء طبع والمطل منهن غريزة وهو فى النساء أكثر منه فى الرجال فقد أنشدنى بعض الادباء

وكنا جعلنا الله شاهد بيننا ... وفي الله بين المسلمين شهيد

نخست بعهد الله لو تعلمينه ... وفيكن من ليست لهن عهود

واعلم انهن لاعهود لهن ولا وفاء لحبهن ولا دوام لودهن وان أقبح ماروى من غدرهن ماحدثنيه ابن أبى خيثمة عن شيوخه ان عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت عند ابن أبى بكر الصديق رضى الله عنه فاحبها حباشديدا شغلته عن تجارته فامره أبو بكر فطلقها ثم اطلع عليه وهو يقول

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ... ولامثلها في غير جرم تطلق

لها خلق سهل وحسن ومنصب ... وخلق سوى مايعاب ومنطق

أعاتك قلبى كل يوم وليلة ... اليك بما تخفى النفوس معلق

اعاتك لاأنساك ماحج راكب ... وما لاح نجم في السماء محلق

فرق عليه أبو بكر وأمره فراجعها فقال لما رجعت اليه

أعاتك قد طلقت من غير بغضة ... وروجعت للامر الذى هو كائن

كذلك امر الله غاد ورائح ... على الناس فيه ألفة وتباين
وما زال قلبي للتفرق بائن ... فقلبي لما قد قرب الله ساكن
ليهنك أني لم أجد منك سخطة ... وأنك قد جلت عليك المحاسن
وأنك ممن زين الله أمرها ... وليس لما قد زين الله شائن

فلم تزل عنده حتى قتل يوم الطائف رمى بسهم فمات فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

أ آليت لاتنفك عيني حزينة ... عليك ولاينفك جلدي أغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى ... أشد وأحمى في الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها ... الى الموت حتى يترك الرمح أشقرا

ثم خطبها عمر بن الخطاب فتزوجها فأولم عليها ودعا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال له على بن أبي طالب ائذن لي لادخل رأسي الى عاتكة أكلمها قال افعل فادخل رأسه اليها فقال ياعدية نفسها أهكذا كان قولك

أ آليت لاتنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي اغبرا

فبكت فقال له عمر مادعاك الى هذا ياأبا الحسن فغفر الله لك انهن يفعلن هذا قال أردت ان اعلمها انها لاعهد لهن فمكثت عنده حتى قتل عنها قتله أبو لؤلؤة فقالت ترثيه

عين جودي بعبرة ونحيب ... لاتملي على الامير النجيب
فجعتني المنون بالفارس المع ... لم يوم الهياج والتأنيب
عصمة الله والمعين على الده ... ر غياث الملهوف والمكروب
قل لاهل البأساء والضر موتوا ... قد سقته المنون أم الرقوب

ثم تزوجها الزبير بن العوام فمكثت عنده حتى قتل عنها منصرفا من الجمل بوادي السباع قتله ابن جرموز فرثته وفيه تقول

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد
ياعمرو لو نبهته لوجدته ... لاطائشا رعش الجنان ولااليد
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلما ... حلت عليك عقوبة المتعمد

فخطبها عليّ بن أبي طالب فبعثت اليه إني لاضن بك عن القتل وانما استحييت فامتنعت وقد تزوجت باثنين من بعد قولها

آليت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي اغبرا

قال وحدثني أبو الفضل الربعي قال حدثني أبو ربيعة العامري الكوفي قال حدثني علي بن عمرو الانصاري قال دخلت المدلة البكرية زوجة المغيرة بن أبي ضمام البكري وكان يحبها حبا شديدا على المغيرة بن ابي عقيل تخاصم في بعض أمورها فلما خرجت المدلة قال أنت الذي يقول فيك المعذل

قل للمدلة طال ذا التعديد ... فدع التعلل والمطال قليلا

ويزيدها حلي النساء ملاحة ... ويزيد ذلك بعضهن خبولا

قالت نعم قال فلم تزوجت بعده أف لكن قالت أتنصف ما كنت بديا وما كنت بنيا فضحك منها وأمرها بالانصراف وروى ان امرأة من نساء العرب تزوجت رجلا من خثعم فوجد كل واحد منهما بصاحبه وجدا شديدا وانهما تحالفا أن لا يتزوج أحدهما بعد صاحبه فمات قبلها فتزوجت فلامها بعض أهلها وقالوا اين ما كنت تجدين به فأنشأت تقول

وقد كان حبي ذاك حبا مبرحا ... وحبي لذا اذ مات ذاك شديد

وكان هواي عند ذاك صبابة ... وحبي لذا طول الحياة يزيد

فلما مضى عادت لهذا مودتي ... كذاك الهوى بعد الذهاب يعود

وقال صالح بن حسان لما احتضر حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت فاطمة بنت حسن بن علي جالسة عند رأسه تبكي فقال ما يبكيك قالت على فراقك ابن عم قال مه ما صنعت فاياك أن تنكحي عبد الله بن عمرو بن عثمان وقد علم ان أحدا لا يجترئ على خطبتها غيره قالت ما كنت لافعل وهلك وله منها عبد الله بن حسن وابراهيم بن حسن فلما انقضت عدتها دعت مولاة لها يقال لها زير فقالت ايتي عبد الله بن عمرو فقولي له أعرنا بغلتك الشهباء برحالتها فاني قد أردت أن أسير الى بعض أموال ولدي بالعالية فأتته فقال يا زير لو كان لي الى مولاتك سبيل ارحلوا لها البغلة فلما جاءت قالت هل لقيته قالت نعم قالت فما قال لك قالت قال لو كان لي الى مولاتك سبيل قالت ويلك واين المذهب عنه فرجعت زير فدخلت عليه وأعلمته فارسل اليها فخطبها فتزوجته وولدت له الهيثم ومحمد ورقية وكان لها من الحسن ثلاثة ومن عبد الله ثلاثة * وروى عن سماك بن حرب انه قال كانت العرب تقول لم تته امرأة قط عن رجل الا تزوجته وقال ابن عباس حدثني شيخ من بني ضبة قال كان رجل منا

ظريفا شريفا احتضر فبينا هو يجود بنفسه وبنى له يسمى معمر يدب بين يديه فنظر اليه وبكى ثم التفت الى امرأته فقال ياهذه

انى لاخشى أن أموت فتنكحى ⁂ ويقذف في أيدى المراضع معمر
فحالت ستور بعده ووليدة ⁂ وأشغلهم عنه نحور ومجمر

قالت ما كنت فاعلة قال الشيخ فوالله ما انقضت عنها عدتها حتى تزوجت بشاب من الحى ورأيت معمرا كما وصف قال وانشدنى بعض الشعراء

إن من غره النساء بشئ ⁂ بعد هند لجاهل مغرور
كل انثى وإن بدا لك منها ⁂ غاية الحب حبها خيتعور

وان الوفاء فيهن عزيز غير موجود ووالله لئن كان كذاك وعرفن بذاك ففى الرجال من هو أكثر منهن غدرا وأسرع منهن ختزا وأسمح منهن تنقلا وأقبح منهن تبدلا خبرت عن الاصمعى قال كان رجل من الاعراب يظهر الوجد لامرأته والحب لها وكانت تظهر له مثل ذلك فتعاهدا ألا يتزوج منهما الباقى بعد صاحبه فاخترمت المرأة قبله فخطب الرجل امرأة من يومه ذلك فقيل له أتخطب بعد يمينك وعهدك فقال

خطبت كما لو كنت قد مت قبلها ⁂ لكانت بلا شك لاول خاطب
اذا غاب بعل كان بعل مكانه ⁂ ولا بد من آت وآخر ذاهب

وخبرت أن بعض ولاة العهود كانت له جارية فكان يظهر الميل اليها والاستهتار بحبها وكان يقول لها اذا افضت الخلافة اليه ان يفضلها على نسائه ويقدمها في البر والكرامة عليهن فلما بلغ من ذلك أمله جفاها وأطرحها وقلاها فكتبت اليه

أين ذاك الود والقبول ⁂ وأين ما كنت لنا تقول

فكتب اليها

قد قال في أشعاره لبيد ⁂ ياحبذا الطارف والتليد

فعلمت أنه لاحاجة له فيها فهذا في القبح يجاوز غدر النساء ويعلو على كثير من جنايات الاماء وإنهن والله على ما فيهن من الغدر والخيانة والشر لربما عشقن فاشتهرن ووفين فاحسن وإن من حسن ما بلغ من وفائهن ما صنعته ابنة الفرافصة مع عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان من قصتها ان سعيد بن العاص تزوج هند ابنة الفرافصة بن الاحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن عدى بن جناب الكلبية فبلغ

ذلك عثمان بن عفان فكتب الى سعيد أما بعد فقد بلغنى أنك تزوجت امرأة من كلب فاكتب الى بنسبها وجمالها فكتب اليه سعيد اما بعد اما نسبها فهى ابنة الفرافصة ابن الاحوص وأما جمالها فبيضاء مديدة والسلام فكتب اليه عثمان إن كانت لها أخت فزوجنيها فبعث سعيد الى أبيها فخطب اليه احدى بناته على عثمان فقال الفرافصة لابن له يدعى ضبا وكان قد أسلم وأبوه نصرانى يابنى زوج عثمان بن عفان اختك فزوجه فلما أراد حملها قال لها أبوها أى بنية إنك ستقدمين على نساء قريش وهن أقدر على الطيب منك فاحفظى عنى اثنتين تكحلى وتطيبى بالماء حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين فلما حملت شق عليها الغربة واشتاقت الى اهلها فقالت

ألست ترى يا ضب بالله أننى ... مصاحبة نحو المدينة أركبا
اذا قطعوا خرقا تخب ركابها ... كما زعزعت ريح يراعا مقصبا
لقد كان في ابناء حصن بن ضمضم ... لك الويل مايغنى الخباء المطنبا

فلما قدمت على عثمان بن عفان قعد على سرير والقى لها سريرا حياله فجلست عليه ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع فقال يابنة الفرافصة لايهولنك ماترين من الصلع فان من ورائه ماتحبين قالت انى لمن نسوة أحب بعولتهن اليهن الكهول البيض السادة فقال اما أن تقومين الى واما أن أقوم اليك فقالت ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد مما بينى وبينك ثم قامت اليه فجلست الى جانبه فمسح رأسها ودعا بالبركة وقال اطرحى عنك خمارك فطرحته ثم قال اخلعى درعك فخلعته ثم قال حلى ازارك فقالت ذاك اليك فحله فكانت من احظى نسائه عنده فلما كان يوم الدار أهوى رجل الى عثمان بالسيف فالقت نفسها عليه فضرب عجيزتها وكانت من أعظم النساء عجيزة فقالت أشهد أنك فاسق لم تأت غضبا لله ولالرسوله فاهوى اليها بالسيف ليضربها فاتقته بيدها فقطع أصبعين من أصابعها فلما قتل عثمان قالت فيه ترثيه

ألا ان خير الناس بعد نبيه ... قتيل التجوبى الذى جاء من مصر
ومالى لاأبكى وتبكى قرابتى ... وقد ذهبت عنا فصول ابى عمر

فبعث معاوية بعد ذلك يخطبها فنزعت ثنيتيها العليا وقالت أذات عروس هذا فهذا والله حسن من وفاء النساء وقد تقدم ذكر جماعة من أهل الوفاء اللاتى قتلن أنفسهن في أثر متعشقيهن أغنى عن كثير من أخبارهن وقد روى أيضا عن أبى حدرد الاسلمى قال نشأ فينا غلام يقال له عبدالله بن علقمة فعلق جارية منا يقال لها حبيشة لم تكن من

نأخذه وكان يتحدث اليها كثيرا فخرج ذات يوم من عندها فنظر الى ظبية على رابية فالتفت الى أمه وهو يقول

يا أمي خبريني غير كاذبة ... وما يريد مسول الخبر بالكذب

حبيش أحسن أم ظبي برابية ... لابل حبيشة من ظبي ومن ذهب

ثم انصرف من عندها مرة أخرى فاصابته السماء فأنشأ يقول

وما أدري اذا أبصرت يوما ... أصوب القطر أحسن أم حبيش

حبيشة والذي خلق الهدايا ... على أن ليس عند حبيش عيش

فلما سمع بذلك قومه قالوا لامه هذا غلام يتيم لامال عنده وآل تلك يرغبون عنكم فانظرى له بعض نساء قومه لعله يسلى عنها فزوجته جارية ذات جمال وكمال وزينتها باحسن زينة واقامتها بين يديه فلما نظر اليها قال مرعى ولا كالسعدان فذهبت كلمته مثلا والسعدان نبت يرعاه ابل الملوك فعلموا أنه لاينصرف عن هواها فتواعدوا خبيشة وقالوا اذاجاء فاعرضى عنه وتجهميه بالكلام رجاء أن ينصرف بعض الانصراف فلما رآها لم تستطع أن تفعل ما أمرت به غير انها جعلت تنظر اليه وتبكى فعلم بقصتها فانصرف وهو يقول

وما كان حبي عن نوال بذلته ... فليس بمسليه التجهم والهجر

سوى أن دائى منك داء مودة ... قديما ولم يمزج كما مزج الخمر

وما أنس ملأشياء لاأنس دمعها ... ونظرتها حتى يغيبنى القبر

ثم مكثا على حالهما وطول وجدهما الى أن وافتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغميصاء فاخذا فيمن أخذ من الاسرى فاوثقا رباطا وهذا حديث مشتهر قد رواه محمد بن حميد الخراسانى عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق وحكاه المدائنى عن يعقوب ابن عتبه بن المغيرة الثقفى عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن أبى حدرد الاسلمى عن أبيه قال كنت يوم الغميصاء وهو يوم بنى جذيمة في خيل خالد بن الوليد المخزومى حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل وأسر فقال لى فتى منهم وقد جمعت يداه الى عنقه ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يافتى هل أنت آخذ بزمام ناقتى فقائدى الى هؤلاء النسوة فاقضى اليهن حاجة ثم ترى بعد ذلك ما بدا لك قلت يسير ما سألت فالحقته بهن فوقف عليهن فقال اسلمى حبيش على نفاد العيش قالت وأنت فاسلم سعيت سقاك ربى الغيث ثم قالت وأنت فحييت عشرا وسبعا وترا وثمانيا

تترا فقال الفتى

أريتك اذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو الفيتكم بالخوانق
ألم يك حقا أن ينول عاشـق يكلف ادلاج السرى والودائق
فلا ذنب لى قد قلت اذ نحن جيرة أثيبي بود قبل احدى الصفائق
اثيبي بود قبل أن يشحط النوى وينـأى عدو بالمحب المفارق
فانى ما ضـيعت سر أمانة ولا راق عيني بعدو جهك رائق
على أن ما نال العشيرة شاغل عن الود الا أن يكون التوامق

ثم بكى وبكت ثم أنشأ يقول

فان يقتلوني ياحبيش فـلم يدع هواك لهم مني سوى غلة الصدر
وأنت التي أنحلت جلدى على دمى وعظمى وأسبلت الدموع على النحر

ثم انصرفت به فضربت عنقه فنظرت اليه فاقبلت حتى أكبت عليه وقد فعلت أيضا مثل ذلك عفراء بنت عقال بعروة بن حزام لما بلغها موته استأذنت من زوجها في زيارة قبره فخرجت في نسوة لها حتى وردت قبره فلما رأته من بعيد صرخت ثم دنت فرمت بنفسها عن راحلتها ثم جعلت تبكي وتشهق الى أن خمد صوتها فدنوا منها فوجدوها ميتة فدفنت الى جانبه *وروى الاصمعى أيضا قال خرجت أريد بعض أحياء العرب فجنني الليل وبت في جبان وتوسدت قبرا فسمعت في الليل من القبر قائلا يقول

أنعـم الله بالخيالـين عينـا وبمسراك ياسـعاد الينـا
وحشة مالقيت من خلل القبـ ـر عسى أن أراك أوأن ترينا

فارقت له ليلتى فلما أصبحت دخلت الحى فاذا بجنازة قد أقبل بها فسألت عنها فقيل هذه سـعاد كانت تحب ابن عم لهـا وانهما تعاقدا على الوفاء فهلك قبلها فلم تزل تبكي عليـه فها هي قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت الى جانب القبر الذى بت عنـده واذا هو قـبر ابن عمها فخبرتهم بمـا سمعت وانصرفت* وروى أن مالك بن عمرو الغساني تزوج ابنة عم للنعمان بن بشـير الانصارى فاحب كل واحـد منهما صاحبه وكان شجاعا بطلا مقداما فعهدت اليه أن لا يباشر حربا ثم انه غدا فلقى العدو فطعن فقال وهو يجود بنفسه

الا ليت شعرى عن غزال تركته اذا ماأتته ميتتى كيف يصنع
أيلبس أثواب الحـداد تفجعا على مالك أم فيه للبعل مطمع

فـلو انني كنت المؤخر بعــده　　لما برحت نفسى عليه تقطع

فلما أتاها خبره استمسك لسانها حولا فقال رهطها وعشيرتها ألوزوجتموها غيره لعلها تسلى وتفيق فزوجوها رجلا من أبناء الملوك فساق اليها هدية عظيمة القدر فلما كان ليلة بنائه بها أخذت بعضادتى الباب ثم أنشأت تقول .

يقــول رجال زوجوها لعلها　　تفيق وترضى بعــده بجليل

فأضمرت في النفس التي ليس بعده　　رجاء لها والصدق أفضل قيل

أبعد ابن عمرو سيد القوم مالك　　أزف الى زوج بعضب كليل

وخــبرنى أصحابه ان مالكا　　خفيف على العلات غير ثقيل

وخبرنى أصحابه ان مالكا　　ضروب بماضى الشفرتين صقيل

وخــبرنى أصحابه ان مالكا　　جواد بما في الرحل غير بخيل

وخــبرنى أصحابه ان مالكا　　نوى وتنادى صحبه برحيل

فما كان يشرينى خليلى بخلة　　وما كنت أشرى مالكا بخليل

فقال لها بعلها ارجعى الى أهلك ولك كل ماسقت اليك مثلك فليتزوج الرجال ومن حسن وفائهن أيضا مارواه الهيثم بن عدى فانه كان في بنى عامر بن صعصعة امرأة توفي عنها زوجها ولهـا ابنا عم فصارا الى بعض شيوخهم فقالا له فلانة جارية شابة والقالة الى مثلها سريعة فوجه اليها فلتحضر وأعرض عليها أينا اهوى اليهـا حتى يتزوجها فوجه الشيخ اليها فأتته فعرض عليها مقالتهما فاطرقت مليا تنكت الارض حتى حفرت فيها حفيرة وملأتها من دموعها وكان زوجها دفن بمقبرة تدعى بحوضى فالتفتت الى ابنى عمها وأنشأت تقول

فان تسألانى عن هواى فانه　　رهين بحوضى أيها الفتيان

وان تسألانى عن هواى فانه　　رهين له بالحب ياوجلان

وانى لاستحييه والموت دوننا　　كما كنت أستحييه حين يرانى

أهابك اجلالا وان كنت في الثرى　　لوجهك يوما ان يسؤك مكانى

وقامت فانصرفت فقال قد رأيتما وسمعتما فانصرفا وقد يئسا ثم لقياها يوما في المقابر وعليها مصبغات وحلى وحلل فقال أحدهما لصاحبه ماترى في أى زى خرجت والله ماأراها الا متعرضـة للرجال هلم فلننظر ماتصـنع فقربا منها فاتت القـبر فالتزمته ثم أنشأت تقول

يا صاحب القبر يامن كان يؤنسني	وكان يحسن في الدنيا مؤاتاتي
أزور قبرك في حلي وفي حلل	كأنني لستُ من أهل المصيبات
أتيت ما كنت من قربي تحب وما	قد كان يلهيك في ألوان لذاتي
ومن يراني يرى عبرى مفجعة	طويلة الحزن في زوار أموات

ثم شهقت فماتت ومثل هذا وأشباهه من الوفاء قليل في النساء وهو من وفائهن عجب والغدر عليهن أغلب ان على ذلك طبع خلقهن وعليه جعلت بنيتهن وسأصف لك جملة من مكرهن لتقف به على غدرهن ان شاء الله ولا قوة الا بالله

آخر الجزء الاول من كتاب الموشى من
أجزاء أبي الطيب بن الوشاء
والحمد لله كثيرا وصلواته على محمد نبيه وآله وسلامه
وحسبي الله ونعم الوكيل
يتلوه الجزء الثاني من كتاب الموشى

الجزء الثانى

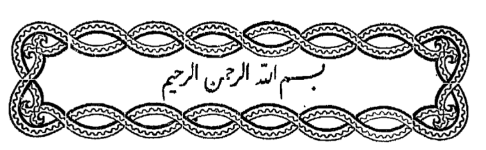
من كتاب الموشى

تأليف أبى الطيب محمد بن

اسحق بن يحيي

الوشاء

رحمة الله عليه



لااله الاالله وحده لاشريك له الحمدلله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿أما بعد﴾ فانه قد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب أشياء من عيون فنون الادب يرغب فيها ذووا الحجى وينتهى اليها ذوو النهى وقد مضى من الجد عدة أبواب فيها مقنع لذوى الالباب ولا بد من خلطها بشيء من الهزل ان في ذلك ترويح لقلوب ذوى العقل وآخر ما ذكرنا في الجزء الاول ذكر الوفيات من النساء وأنا أتبعه في هذا الجزء بباب ذكر ذوات الغدر من الاماء ثم أصله بما يتصل وأفصله من حيث ينفصل ان شاء الله وبه القوة

باب صفة ذم القيان
ونفوذ حيلتهن في الفتيان

اعلم انه لم يبتل أحد من أهل المروآت والادب وأهل التظرف والارب ولا امتحن سراة الفتيان ببلية هى أعظم من هوى القيان لان حبهن حب كذوب وعشقهن عشق مشوب وهواهن منسوب الى الملل ليس بثابت ولا متصل وانما هو لطمع وعرض وهن سريعات الغرض يستدل على ذلك بافعالهن الردية وأخلاقهن السيئة وانهن لن يقصدن الا أهل النشب ويصدفن عن ذوى الحسب وان محبتهن تظهر ماظهرت علامات اليسار والمال وتنتقل عند الافلاس والاقلال وليس اظهارهن للمحبة مما ينعقد عليه منهن ذوو الآداب ولا بما ينخدع به لهن ذوو الالباب وكل ذلك منهن غرور وخداع وزور ولا مرجع له ولا محصول وانما أمرهن عند ذوى الجهالة مجهول وما رأيت لكثير من الادباء الذين سلكوا سبيل التشبيب بالنساء رغبة في تعشق الاماء وقد أنشدنى بعض الظرفاء

ليس عشق الاماء من شكل مثلى ... انما يعشق الاماء العبيد
صل اذا ماوصلت حرة قوم ... قد حماها آباؤها والجدود

ومن أدل الاشياء على خبث سرائر الاماء ان الواحدة منهن اذا رأت في مجلس فتى له غنى وكثرة مال ويسار وحسن حال مالت اليه لتخدعه وأقبلت عليه لتصرعه ومنحته نظرها وأبدته بصرها وغمزته بطرفها وأشارت اليه بكفها وغنت على كاساته ومالت الى مرضاته وشربت من فضلة كاسه وأومأت الى تقبيل رأسه حتى توقع المسكين في حبالها وترهقه باحتيالها وتعلق قلبه بحبها وتطمعه في قربها وتحويه بلطف تملقها وتستبيه ببديع تقنعها وبالمكر والخداع وتطلبها للاجتماع وتباكيها لفرقته وتحازنها عند روحته ثم ترسل اليه بالرسل وتعاديه بالحتل وتخبره عن سهرها وتنبئه عن فكرها وتشكو اليه القلق وتخبره بالارق وتبعث اليه بخاتمها وفضلة من شعرها وقلامة من ظفرها وشظية من مضرابها وقطعة من مسواكها ولبان قد جعلته عوضا من قبلتها ومضغة لتخبره عن نكهتها وكتاب قد نمقته بظرفها وطيبته بكفها وسحته بوتر من عودها ونقطت عليه قطرات من دمعها وختمته بغالية قد عدل بالعنبر متنها واستمسك تحت الخاتم عجنها وطبعت عليه بفص قد نقشت عليه بعض مداعبتها وتمثلت عليه ببعض مجانتها وضمنت الكتاب شكوى شوق مريض وصفة شوق ممرض تسأله المؤاتاة على حبها والاعانة على كربها وان يبعث يطلب زيارتها لتقر بالنظر اليه عينها وينفرج عنها حزنها فيطمع الغمز في قربها ولا يشك في الكلام فى اخلاص حبها فيميل اليها بوده وتصفيه بمكنون حبه حتى اذا حوت عقله وصارت شغله واستمالت لبه وسلبت قلبه واستمكنت من قربه ووثقت بصحيح حبه وعلمت انه غريق في بحر البلية أخذت في طلب الهدايا السرية وتشهت الثياب العدنية والازر النيسابورية والاشقاق الانجاجية والاردية الرشيدية والعمائم السوسية والتكاك الابريسمية والخفاف الرنانية والنعال الكنباتية والحلق المحشوية والعصائب المرصعة والدستينجات المفصلة وخواتيم الياقوت الثمنة وتمارضت من غير سقم وشكت من غير ألم وفصدت من غير علة وداء وتعالجت من غير حاجة منها الى الدواء لتجيئها هدايا ذوى الوجد في المرض والفصد من القمص المعنبرة والغلائل الممسكة والاردية المرشوشة والاخالخ المعجونة ومخانق الكافور المنظومة ومراسل القرنفل المجمرة والمسك الاذفر والعنبر الاشهب والعود الهندى والند الخزائنى والماورد الجورى والحملان الحولية والجداء الرضع والبط الصينى والفراريج الكسكرية والدجاج الفائق والفراخ المسمنة والنبانيج المنضدة بانواع الرياحين والفاكهة يتبعها صنوف من الشراب من المعسل والدوشاب والمطبوخ والمشمس ونبيذ

السكر والقشمش ثم الدنانير الجدد الشهرية والدراهم المسيفة الدارية في خرائط الديباج الابريسمية ومناديل الوشي الانجمية فلا تزال في هدايا متواترة وألطاف متتابعة وفي خلال ذلك العيدان العرعر الموزونة والمضارب المدهونة والاوتار الصينية حتى اذا نفد اليسار وذهب الاكثار وأتلف المال وجاء الاقلال وأحست بالافلاس وتفريغ الاكياس أظهرت الملل وأعلنت البدل وتبرمت بكلامه وضجرت بسلامه وطلبت عليه العلل وتفقدت منه الزلل وتتبعت عليه سقطاته وتيممت عثراته وأخذت في الجفاء والعتاب والقلى والابعاد وصرفت عنها هواه ومالت الى سواه ونفرت بعد القرب وأبغضته بعد الحب فحينئذ يدرك المغرور الندم ويلحقه الاسف حين لاتغنى عنه الحيلة ولايجدى عليه اللهف ويقع بين ليت ولو وهيهات ولات حين مناص ولا يقدر على استئناف ماسلف من الايام بعد الاشراف على ورود حياض الحمام وقد أنشدني بعض الادباء لبعض المحدثين

صحوت فابصرت الغواية من رشدى ... وأيقنت أني كنت جرت عن القصد
فلا يعشقن من كان يعشق قينة ... فما هو منها في سعيد ولا سعد
تودك مادامت هداياك جمة ... وترفدك عشقا ماغنيت أخا رفد
اذا مارأت في مجلس من تخاله ... غنيا حبته بالتحية والود *
وغنت على أقداحه كل مااشتهى ... وقالت له ماذا تريد أنا أفدى
وتومى اليه اشرب الرطل واسقنى ... فقد حزت قلبي واشتملت على ودى
فيمتلئ المغرور عند مقالها ... سرورا يرى أن المقال على جد
فان جاء وقت الانصراف تحازنت ... لفرقته حتى يقوم على وعد
ويغدو اليه في الفراش رسولها ... لسائله ماكان حالك من بعدى
وياليت شعرى كيف بت فانني ... رعيت نجوم الليل كفى على خدى
فلا يجد المغرور من دفع جدرها ... سرورا بتعجيل الزيارة من بد
* وتسرع في اتيانه ليظنها ... حبته بتعجيل المجىء على عمد
فان هى جاءت عانقته وقبلت ... يديه وأبدت فرحة قل ماتجدى
وتخدمه عمدا فان قال انه ... ليحزنني أن تصنعى هكذا عندى
* تقول له ذا البيت بيتى وانما ... أؤمل أن يبتاعنى سيدى وحدى
فتصبح عيني بالوصال قريرة ... وآمن من سوم التفرق والبعد

فذا دأبها حتى يعود من الهوى سقيم فؤاد مايعيد ولا يبدى
فتفصد لامن حاجة لفصادها ولكن لتكليف الهدية في الفصد
فمن بين خلخال يصاغ وخاتم ومن دملج يهدى على أثر العقد
ومن ثوب خز بعدوشى وملحم ومن مصمت يشرى على أثر البرد
وبالك من مسك ذكى وعنبر وعود وكافور نقى ومن ند
فذا فعلها حتى اذا عاد مفلسا تجنت وأبدت جانب الهجر والصد*
فقولا لمن يهوى القيان تفهموا مقالى فانى قد نصحت لكم جهدى

وأنشدنى بعض المحدثين لنفسه

ياصاح أن القيان للغمر الـ ـغر شباك يصدن بالملق
يهوين هذا ويشتكين لذا وجداو يرمقن ذاك بالحدق
حتى اذا مااقتنصن ذا حمق مستهترا واستمال للومق
نفضنه واستلخن جلدته سلخا بطيب الدلال والفنق
وصار كالآس في غضارته صفرا بلا طارف من الورق
ناولنه المسح ثم قلن له جئنا به في البياض كاليقق

وأنشدنى بعض الكتاب لفضل الشاعرة

ياحسن الوجه سيئ الادب شبت وأنت الغلام باللعب
ياويلك ان القيان كالشرك الـ منصوب بين الغرور والعطب
* لايتصدين للفقير ولا يرمقن الا معادن الذهب
يلحظن هذا وذا وذاك وذا لحظ محب بطرف مكتسب
بينا تشكى اليك اذ خرجت من زفرات الشكوى الى الطلب

وأنشدنى أحمد بن غزال لنفسه

اذا تعرضت للقيان فمثل الفقر بالعيان
واعزم على فلسة أسافا أمض من طعنة السنان
كم من تراث ومن تليد وطارف وادخارتان
أتلفه متلف عليهم بالجذر والبذل والتوانى
مازال يصبو الى خلوب تغنى به فوق كل غان
اتخذته عشيق مال أضحت تهواه باللسان

حتى اذا اختل ثم حست ... بنقد فلاته الحسان
غنته صوتا لها عتيدا ... مصرحا ليس بالمعانى
قد نفد الكيس فاسل عنى ... واشتق اذا اشتقت بالامانى

وأنشدنى أيضا .

ومسمعة غنت فهات بمهجتى ... اليها لالهو والمزاح بسيط
فقالت على اسم الله ثق بمودتى ... وصاف كما صافي الخليط خليط
فاعرضت عنها وانقبضت كانما ... علتني لديها نسمة وغطيط
فقالت وقد أحجلتها لتغرنى ... ورقة فهمى بالقيان محيط
أراك نشيطا للسماع تحبه ... ولست الى غير السماع نشيط
فقلت ترانى ويك أعشق قينة ... لها كل يوم صاحب وربيط
اذا خرجت من مجلس وتبدلت ... سواه بديلا أولون نبيط
وان ذكروا قالت ومن كان حائك ... وآخر منكود المعاش يخيط
لعمرك ماتهوين الا دراهما ... ومن دونها حزم على سليط
وانى ورب البيت والله راحم ... أفكر فيه هل هواه قميط
بعينى لينج قبل ينفض ريشه ... وقبل يراه الناس وهو سقيط
هوانا هوى يزوى عن المرء نعمة ... ويترك رب القوم وهو حطيط
فيعشقنا من في يديه بضاعة ... سفيف اذا بان الرجا وشريط

وقال أيضا في قصيدة له

حتى اذا ولت الدارهم غنته ... وقد أزمعت على الانقطاع
أسل عنى فلست أصلح للضيق ... ولا يحسن الهوى بالجياع
عندها يأكل المفرط كفيه ... ويأوى الى أخس البقاع

وأنشد للحكمى في مثل ذلك

قولا لمن يعشقه قينة ... يستف حزنا قبل افلاسه
فقد نوى في كفها نية ... مسرعة في قلع أضراسه
تواصل العاشق حتى اذا ... ماأخذ الشق بأنفاسه
ولت بغدر وقرون الفتى ... تهتز بالكشح على راسه

ومن أحسن ماقيل في ذلك قول الشاعر*

مااللاحبــة في التخشع عار فاخشع وان حافوا عليك وجاروا
سقيا ورعيــا للذين تحملوا ونأوا وما شدت لهم أكوار
لكنهم غدروا بعهدك في الهوى وأخو القطيعة جائر غدار
ماإن يبالوا إن جفوك وعرجوا نحو المدينة أوطنوا أو ساروا
لا بل أشدهما عليك مصيبة أن يفعلوا بك اذ هم حضار
لاتعتبن على القيان ولا على زهو القيــان فانهن تجار
قدم لهن ملاهيا ومضـاربا وملاويا يحظى بها الزوار
إن كنت صاحب لطفة وهدية فلك الهوى منهن والايثار
أوكنت صاحب كيف أنت ومرحبا فارحل فعيشك عندهن بوار
مابد من شيء والا لم يكن لك ثم اقبــال ولا إدبار
لو كنت يوسف في الجمال فانه مامثله في حسنه ديار *
ثم امتنعت من الهدية أنكروا منك الذى لاينكر الاحرار
عندى من القينات خبر بين ومن الهدية مسـند آثار
زار ابن أحمر ذات يوم قينة في فتية لهــم ندى ووقار
* حتى اذا غنتهم وسقتهم وتجاوبت في كفها الاوتار
* قالت لاوهم أمالك ضيعة فأجابها انى فتى سمسار *
قالت فأهد لنا إزارا معلمـا فأبو فلان ماعليـه إزار
ثم انثنت لسؤال آخر منهم أصدق فقال مجيبها عطار
قالت فليس يهمنا مازرتنا أدهاننا والقسط والاظفار
واذا ابن أحمر قد أعدجوابها جدر السؤال كانه قسطار
* ثم انثنت لسؤاله فأجابها لاسوق لى لكننى حفـار
فاذا هممت بحفر قبرك فابعثى بقضيب كى أعرف المقدار
فتلجلجت خجلا وطاطت رأسها وأصابها عند الجواب حصار
وكذا القيان ولا أقول جماعة فالناس في أخلاقهم أطوار .

ولابن أحمر أيضا

عذبنى ذو الجلال بالنــار إن هام قلبي بذات أسوار
* ولا تعشقت قينة أبدا حتى ترانى رهين أحجار

كم من غنى تركن ذا عدم — أورثنه الذل بعد اكثار
* سلبن منه الفؤاد بالنظر الـ — رطب وغنج وغمز أبصار
* وبالتشاجي أتلفن مهجته — وحسن لحن وقرع أوتار
حتى اذا مامضت دراهمه — وصار ذا فكرة وتسهار
* ناولنه المسح ثم قلن له — بيضه بالنهر نهر بشار *
* فلا تغرنك قينة أبدا — ودع وصال القيان في النار
فليس في الغدر عندهن اذا — هوين أوشئن ذاك من عار

واحسن ابن الجهم حيث يقول

فاطلق يدا في بيته بتفضل — وعدعن المولى وماشئت فافعل
أشر بيدواغمز بطرف ولاتخف — رقيبا اذاما كنت غير مبخل
وول عن المصباح والح وذمه * — فان خمد المصباح فادن وقبل
وسل غير ممنوع وقل غير مسكت — ونم غير مذعور وقم غير معجل
لك البيت مادامت هداياك جمة — وكنت مليا بالشراب المعسل
تصان لك الابصار عن كل نظرة — ويصغى اليكم بالحديث المقلقل

واعلم انه لاوفاء لهن ولا حفاظ عندهن ولا يدمن على ود ولا يفين لعاشق بعهد وهواهن مشترك وحبهن مقتسم وقد أنشدني بعض الادباء

استخبرا زينب عن قولها — في رجل يعبد ربين *
* أذاك منه حسن جائز — أم ليس يرضى الله دينين
حسبك يازينب من هجنة — يسترزق الدهر على اسمين
فلا تريدى جمع هذا وذا — فالغمد لايجمع سيفين *
وأنشدى الامر الى واحد — ولا تكونى ذات بعلين
لايحمل المنبر ردفا ولا — يصلح ملكا بين اثنين
وعادة السوء اذا استحكمت — على امرئ شر من الدين
لست وان كان الهوى غالبي — أقنع بالشين على الشين *
يحلب غيرى .وأكون الذى — يرضى من العنز بقرنين *

واحسن ابوذؤيب حيث يقول

تريدين كيما تجمعيني وخالدا — وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

وكنت كرقراق السراب اذا جرى بقوم وقد بات المطى بهم تخدى

وقال آخر

الا ياعاشق القينات جهلا اردت بان تكون ابا البغول
اترضى للهوى من ليس يرضى على ضيق الهوى ألفى خليل

وليس هوى القيان بمحمود عندى ولا عند ذوى الادب واهل النهى والارب ولا لا كثرهم ميل اليه ولا حرص عليه وان كان قد أنشدنى صديق لى قوله فيهن

زعموا خلة القيان غرور كل زعم من المقالة زور
قسما للقيان بالعهد اوفي من جوار تضمهن الخدور
انما زخرف المفاليس هذا حين قلت صحاحهم والكسور
اهل هذا الزمان أطرى من الآ س وكل مموه مستور *

واحتج في ذلك بان هوى القيان على مافيهن من العيوب اسرع الى النفوس واوقع في القلوب واغلق بالارواح واخلق للنجاح وهن أقرب املا واقل عللا والظفر بهن اسرع من الظفر برباب الخدور والمحتجبات وراء الستور وانهن مزورات وأولئك معدومات وزعم من طلب القينة الجدو لمولاها من عشقها وكثرة مؤنتها عليه وطلبها لما لديه ومسئلتها الهدايا واللطف والبر والتحف انما هو من رغبتها في هواه وميلها الى رضاه ولانها تؤثره على العالمين وتشتهى قربه دون سائر المحبين لانه اذا وافي جدوها من عند عشيقها مع تتابع الطافه وكثرة بره وإسلافه رغب المولى في صفائه وطمع في استصفائه فاحلاها معه الايام الكثيرة والليالى المتتابعة فهذه جملة من القيان لمن عشق ورغبة فيمن ومق وليس ذاك عندنا كذلك وانما هى حيلة ممن احتج لهن بالوفاء وهن معروفات بالغدر والجفاء ولو كان ذلك كما زعموا لم تتغير له عند اختلاله ولا قلته عند إقلاله بل كان يكون منها عند ذلك الاسعاف على هواه والمواساة في نفسها في الحياة ولكن هو كما قال المؤمل ابن اميل

والغانيات كذاك هن غوادر أبدا حبال وصالهن تجذم
يخلبن بالنظر الفتى ويعدنه نيلا ودون عداتهن الانجم

وكما قال بشار بن برد

فو الله مادرى وكل مصيبة باى مكيدات النساء أكاد
غرور مواعيد كأن جداءها جدى بارقات مزنهن جماد

ومع ذلك فلا تُفاق للشيوخ عندهن ولا لذوى القبح والعدم مطمع لديهن على أنهن يحتملن القبح والشيب مع اليسار ويكرهنهما مع الفقر والاقتار فاذا اجتمع القبح والشيب مع الافلاس في أى انسان كان من الناس فليس عندهن مطلب ولا لديهن سبب ولذلك قال العطوى

تاهت على بحسنها وجمالها ... وتقول لى ياشيخ أنت مخادع
شيخ وإفلاس وقبح ظاهر ... أطمعت فينا اخلفتك مطامع
فاجبتها الافلاس يذهبه الغنى ... والشيب يذهبه الخضاب الناصع
قالت فقبح الوجه فيه حيلة ... والقبح ليس له دواء نافع
ياصدقها ما كان أوضح حجتى ... لو كان يدفع قبح وجهى دافع

وقال بعض الاعراب

طويلات اعناق سباط أكفها ... رقيقات أوساط نبال المآكم
تأزرن رملا وارتدين بحلة ... من الروض ريا زهرها جد ناعم
وتصرف ودى نحوهن صبابة ... ويصرفن عنى الوجه نحو الدراهم

ومثل ذلك ماروى عن نصيب انه قال لقيتنى بالطواف امرأة دحداحة مزاحة فقالت أأنت نصيب فقلت نعم قالت ألست القائل

اذا البيض لايأتين في الحب رقة ... يعاب ولا يأخذن في الود درهما
واذهن يدنين الكريم بوده ... لهن ويرفضن الدقيق المسلوما

قالت لاأراك تكتسب الا درهمك فاعضض ببظر امك من أين تمتشط احدانا اذن وأنشدنى بعض الادباء

واذا قلت لها جودى لمن ... قد براه بالحب قالت لى أجل
أنت صراف فآتيك له ... أم بكفيك نقود تحتمل *
قلت ماهوين الا موسرا ... ذاهبات وعطاء وحلل *
فاجابتى بصوت مسمع ... كف عنا أنت والله مقل
أيها الناس ألا أخبركم ... ليس للحب مع الفقر عمل

ولقد أحسن أبوالشيص حيث يقول

حسر المشيب قناعه عن رأسه ... فرمينه بالصد والاعراض
شيئان لا تصبو النساء اليهما ... حلى المشيب وحلة الانفاض

فوعودهن اذا وعدنك باطل ... وبروقهن كواذب الأيماض

وروى عمر بن شبة عن موسى بن اسماعيل المنقرى قال كان المخبل السعدى يعشق امرأة من قومه فاتلف عليها كل ما يملكه حتى صار يبيع البعر فاتاها يوما فزبرته وطردته فانصرف وأنشأ يقول

اذا قل مال المرء قل صديقه ... وأومت اليه بالغيوب الاصابع

وقال الاصمعى عشق رجل امرأة وأظهرت له مثل ذلك فبعث اليه يوما تستهديه مالا فتعذر عليه ووجه بنصف ماطلبت فغضبت وهجرته فكتب اليها

يا أيها الغضبان أن سامنى ... مامثله ثقل على الموسر

فجدت بالنصف له كاملا ... فقال ليس الحب للمقتر

هبنى غريما لك يامنيتى ... مايقبل النصف من المعسر

فكتبت اليه ان كنت في حالك ذا عسرة ... فدع طلاب الشادن الاحور

ماان منحناك الذى نلته ... دون ذوى البهجة من معشر

الا لتقضى حاجتى كلها ... في حال ذى العسرة واليسر

وقال الاخطل يصف نفورهن عن المشيب وغدرهن بالكهول والشيب

واذا دعونك عمهن فانه ... نسب يزيدك عندهن خبالا

واذا وعدنك نائلا أخلفنه ... ووجدت عند عداتهن مطالا

وقال القطامى أيضا

واذا دعونك عمهن فلا تجب ... فهناك لايجد الصفاء مكانا

واذا رأين من الشباب لدونة ... فعسى حبالك أن تكون متانا

وقال جرير

رأت مر السنين أخذن منى ... كما أخذ السرار من الهلال

فقالت فيم أنت من التصابى ... متى عهد التشوق والدلال

فما ترجو وليس هوى الغوانى ... لاصحاب التنحنح والسعال

وقال أيضا

واذا الشيوخ تعرضوا لمودة ... قلن التراب لكل شيخ أدردا

تلقى الفتاة من الشيوخ بلية ... ان البلية كل شيخ أرمدا

وقال امرؤ القيس

أراهن لايحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

وأنشدنى بعض الكتاب لابى الشبل

عذيرى من جوارى الحى اذ يرغبن عن وصلى
* رأين الشيب قد ألبسنى أبهة الكهل *
فاعرض وقد كن اذا قيل أبو الشبل
* تساعين فرقعن الكوى بالاعين النجل

وأنشدت لغيره

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فاعرضن عنى بالخدود النواضر
وكن اذا أبصرننى أو سمعن بى سعين فرقعن الكوى بالمحاجر

وهن على مافيهن من سرعة الملل وما طبعن عليه من البدل متمكنات من القلوب مبرات عند محبتهن من العيوب وان من محمود مذاهب الظرفاء الميل الي مغازلة النساء ومداعبة القينات وحب النساء عندهن من حسن الاختيار وهو أشبه بمذاهب ذوى الاخطار وليس هوى الغلمان عندهن بمحمود ولا هو في سيرهم موجود وانما آثروا هوى النساء على الغلمان ومدحوهن بكل لسان لمليح براعتهن وتكامل ملاحتهن وعجيب شكلهن وبديع دلهن وفيهن أيضا خصال محمودة وملاحة موجودة ان عدمت من الجمال وجدت في العقل وان عدمت من العقل وجدت في الدلال وروائحهن أذكى وهواهن للقلوب انكى والعشق بهن أليق وهن للرجال أوفق وقد قال بعض الشعراء في ذلك ومايح

أحب النساء وذكر النساء ويعجب قلبى لذيذ الغناء
وهل لذة العيش الا النساء وحسن الغناء وشرب الطلاء

وقال الفرزدق

منع الحياء من الرجال ونفعها حدق تقلبها النساء مراض
وكان أفئدة الرجال اذا رأوا حدق النساء لمثلها أعراض

وقال دعبل بن على الخزاعي

أحب ذخيرة وأحب علق الى الغانيات وان غنينا *
وكل بكاء ربع أو مشيب نبكيه فهن به عنينا *

وقال بعض الادباء

فلو أني رأيت الناس يوما ... ووليت الحكومة والخصاما

لقرت عين من يهوى الجوارى ... وعاقبت الذى يهوى الغلاما

سألتك أيما أحلى حديثا ... وأطيب حين تعشقه التزاما

* أجارية منعمة رداح ... تريدك للغرام بها غراما

أو امرد منتن الابطين منه ... له رمخ كرمك حين قاما

يريدك للدراهم لا لحب ... وتلك تذوب من كلف سقاما

وأنشدنى علي بن العباس الرومى لنفسه

نيكك الغلمان ماأمكنك النسوان أفن

انما يعشق في الظهر اذا أعور بطن

وما رأينا أحدا من العرب المتقدمين والشعراء المفضلين صمدوا في أشعارهم الى غير ذكر النساء ولا صدروا قصائدهم الا بالتشبيب بوصف النساء هذا حسان بن ثابت الانصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

يال قوم هل يقتل المرء مثلى ... واهن البطش والعظام سؤوم

شأنها العطر والفراش ويعلو ... ها الجين ولؤلؤ منظوم *

لو يدب الحولى من ولد الذ ... ر عليها لاندبتها الكلوم

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ينصب له منبرا في مسجده ويدعو الناس الى استماع شعره وهو يشبب قصائده بهذا وما أشبهه من ذكر النساء وهذا كعب بن زهير ينشد للنبي صلى الله عليه وسلم في مسجده

بانت سعاد وقلبى اليوم متبول ... متيم عندها لم يفد مغلول

أكرم بها خلة لو أنها صدقت ... موعودها ولو ان النصح مقبول

ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته هذه فيقول فيها

ان الرسول لنور يستضاء به ... وصارم من سيوف الله مسلول

والنبي صلى الله عليه وسلم يومئ الى الناس في مسجده ان اسمعوا شعره ولو كان ذكر النساء في الشعر منكرا لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى من أنكره ولو كان ذكر غير النساء أولى بالتقدمة في الشعر من ذكرهن لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى من أمر بذلك واستقبحه ولو كان أيضا في الشعر ذكر النساء من الرفث والفحش والخنى لكان ماقيل في رسول الله من المديح أحق بان يسقط منه ذكر القبيح كما أسقط .

ذكر المذكورة ووصف تعشقهم من هذه الاشعار ومن نظائرها من مديح ذوى الاخطار وما وجدت ذلك في شيء من أشعار المتقدمين وانما عرف الآن في شعر المحدثين وأين ظرف النساء وحسنهن من غيرهن وأين ملاحة سلامهن وحلاوة كلامهن ومستحسن مداعبتهن ومحبوب معاتبتهن ومليح مراسلتهن لاسيما ان شبن هواهن بالغيرة على محبتهن والتدلل على متعشقيهن وصددن من غير زلل وهجرن من غير ملل وهن والله في كل أحوالهن القاتلات بافعالهن وصالهن ختل وصدهن قتل وهن المالكات للقلوب السالبات للعقول اذا خلون مزحن وان ظهرن نظرن فقتلن بلحظ عيونهن وصرعن بكسر جفونهن واحيين بقولهن الكاذب ووعدهن الخائب فلا شيء أحسن من مطالهن ولا ألذ من خلف وعدهن وقد استحسنت الشعراء ذلك منهن ومدحته في كثير من الاشعار فيهن *أخبرني أحمد بن يحيي عن الزبير بن بكار عن سليمان بن عياش السعدى عن أبيه عن جده قال حدثني السائب راوية كثير قال كان كثير رجلا مذبوبا لا يستقر في مكان فقال لى ذات يوم اذهب بنا الى ابن أبي عتيق نتحدث عنده فاتيناه فاستنشد ابن أبي عتيق كثيرا فانشده

أبائنة سعدى نعم ستبين كما انبت من حبل القرين قرين
أأن زم أجمال وفارق جيرة وصاح غراب البين أنت حزين
كانك لم تسمع ولم تر قبلها تفرق ألاف لهن حنين *
حنين الى ألافهن وقد بدا لهن من الشك الغداة يقين

حتى اذا بلغ الى قوله

فاخلفن ميعادى وخن أمانتى وليس لمن خان الامانة دين

فقال ابن ابى عتيق أوعلى الدين محبتهن يا ابن أبي جمعة ذلك املح لهن وادعى للقلوب اليهن عبيد الله بن قيس الرقيات أشعر منك حيث يقول

حبذا الادلال والغنج والتى في طرفها دعج
والتى ان حدثت كذبت والتى في وصلها خلج
وترى في البيت صورتها مثل مافي البيعة السرج
خبرونى هل على رجل عاشق في قبلة حرج

فقال لا ان شاء الله وانصرف وقال القطامي يستحسن ذلك من أفعالهن ويصف ملاحة اعتلالهن

وأرى الغوانى انما هى جنة شبه الرياح تلون الالوانا
واذا حلفن فهن أكذب حالف حلفا وأملح كاذب ايمانا

وقد أحسن محمود الوراق حيث يقول

اصطبح كأس شراب واغتبق كأس تصابى
واجعل الايام قسما بين عتب وعتاب
* ووصال واهتجار وبعاد واقتراب *
* واجتناب في دنو ودنو في اجتناب *
* ورسول بكتاب وانتظار لجواب *
وقنوع من حبيب بالمواعيد الكذاب
ليس في الحب ولا الصبوة حظ للصواب *

وقال بعض المحدثين

ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج
* بنى الحب على الجور فلو أنصف المعشوق فيه لسمج

وقال آخر وأحسن في قوله

ألا انني راض بما حكمت جمل وان كان لى فيه البلية والقتل
فكروا على العذل فيها فانني رأيت الهوى فيها يجدده العذل
وما كان جئتها لبذل رجوته لديها فاخشى أن يغيره البخل

ومن ذلك قول جميل بن معمر العذرى

ولست على بذل الصفاء هويتها ولكن سبتنى بالدلال مع البخل

وقال أيضا

ويقلن أنك يابثين بخيلة نفسى فداؤك من ضنين باخل
ويقلن أنك قد رضيت بباطل منها فهل لك في اعتزال الباطل
ولباطل ممن ألذ وأشتهى أدنى الى من البغيض الباذل

ودخلت عزة على هشام بن عبد الملك بن مروان فقال ياعزة أتعرفين قول كثير

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لايتغير
تغير جسمى والخليقة كالذى عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت ماأعرف هذا ولكنى أعرف قوله

كأنى أناجى صخرة حين أعرضت | من الصم لو يمشى بها العصم زلت
صفوح فما تلقاك الا بخيلة | فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وأنشدنى أحمد بن عبيد لرفاعة الفقعسى

ألم تعلما أم لا وكل بلية | من الدهر يفنى بؤسها ونعيمها
ولم تجدا بلجاء الا بخيلة | وان أيسرت واحتاج يوما غريمها

وأنشدنى محمد بن يزيد لكثير عزة

وكم من خليل قال لى هل سألتها | فقلت نعم ليلى اضن خليل
وأبعده نيلا وأسرعه قلى | وان سئلت نيلا فشر منيل

وأنشدنى احمد بن يحيى لجميل بن معمر العذرى

وهجرك من تيما بلاء وشقوة | عليك مع الشوق الذى لا يفارق
ألا انها ليست تجود لذى الهوى | بل البخل منها شيمة وخلائق

وانشدنى ابن ابى خيثمة لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

وزادك اغراء بها طول بخلها | عليك وأعرى لحم أعظمك الهم

ومثله قول الاحوص بن محمد الانصارى

وزادنى كلفا بالحب أن منعت | أحب شئ الى الانسان مامنعا
كم من دنى لها قد كنت أتبعه | ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا

وقال جرير يذكر طول المطل والخلف

واذا وعدنك نائلا أخلفنه | واذا طلبن لوين كل غريم
يرمين من خلل الستور باعين | فيها السقام وبرؤ كل سقيم

وقال أيضا

لعمر الغوانى ماجزين بصابق | بهن ولا يحببن نسج القصائد
رأيت الغوانى مولعات بذى الهوى | بطول المنى والخلف عند المواعد

وقال ايضا

الم ترنى بذلت لهن ودى | وكذبت الوشاة فما جزينا
اذا ماقلت جاز لنا التقاضى | بخلن بعاجل ومطلن دينا

وقال ايضا

يقلن اذا ماحل دينك عندنا | وخير الذى يقضى من الدين عاجله

لك الخير لانقضيك الا نسية　　من الدين او عرضا فهل أنت قابله

وقال ايضا

واذا وعدنك نائلا أخلفنه　　وجعلن ذلك مثل برق الخلب
ان الغواني قد قطعن مودتي　　بعد الصفا ومنعن طيب المشرب

وقال كعب بن زهير

كانت مواعيد عرقوب لهامثلا　　وما مواعيدها الا الاباطيل
فلا يغرنك مامنت وماوعدت　　ان الاماني والاحلام تضليل

وقال نصيب

ألليين ياليلى جمالك ترحل　　ليقطع منا البـين ماكان يوصل
تعللنا بالوعـد ليلى وتنثني　　بموعودها حتى يموت المعلـل

وقال كثير

واني لارضى من نوالك بالذي　　لو ابصره الواشي لقرت بلابله
بلى وبأن لاأستطيع وبالمنى　　وبالوعد والتسويف قدمل آمله

وقال آخر

يارب خذ لي من الملاح فقد　　هجن لقلبي من الهوى خبلا
من اللواتي يقلن لن ونعم　　وها وحتى وقد وسوف ولا

والذى جاء في ذلك كثير يطول شرحه ويعي وضفه وقد مضى من الفصل مافيه كفاية لذوى العـقل وقد أفردنا كتاب القيان لذم عظم القيان فأغنى مافي ذلك الكتاب عن تكثير هذا الباب فاعرفه ان شاء الله واعلم ان الهوى والحب والبخل والعشق والغزل يحسن بأهل النعمة واليسار ويزرى باهل الاملاق والاقتار ولسنا نقول انه محرم على هؤلاء لاعسـارهم ولا محلل لاولئك ليسارهم وليس بالغنى مايدخل أهل الجهالة في الوصف ولا بالفقر مايخرج أهل الادب من الظرف وقد قال بعض الشعراء

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه　　خلق وجيب قميصه مرقوع

وليس أسباب الهوى مبينة عن اليسار والسعة والغناء والبذل والعطاء والنفقات الغزيرة والصلات الكثيرة والهبات الهنية والهدايا السرية والمختل المعدم والمقل المعسر لاحيلة له في ذلك فمن تعرض للهوى ومال الى الصبى لم يحسن ذلك به لافلاسه وقلة ذات يده واقلاله وما هلك امرؤ عرف قدره واجهل النـاس من عدا طوره وقد قال بعض

السخفاء يعيب بجهله على الظرفاء الم يعلم انه لا يكون لفقير ظرف ولا يرفع اليه طرف ولا يقع عليه وصف والفقير مذموم بكل لسان والغنى محبب الى كل انسان وأنشد قول عروة بن الورد

ذريني للغنى أسعى فاني ... رأيت النـاس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم ... وان أمسى له كرم وخـير
يباعـده الدنى وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير *

وقد أخطأ العائب لهم في مقاله وتكسع في خبرته وضلالته لان عروة لم يذهب الى ثلب الادباء ولا الى تعنيف الظرفاء وانما عنف على طول الاهمال وحث على تكسب الاموال وهذا مثل قول الآخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى ... نسيبا وان الفقر بالحر قد يزرى
وما رفع النفس الدنية كالغنى ... ولا وضع النفس الكريمة كالفقر

ومثل ذلك قول الآخر

الفقر يزرى بأقوام ذوى حسب ... وقد يسود غير السيد المال

وكقول الآخر

أجلك قوم حين صرت الى الغنى ... وكل غنى في العيون جليل
اذا مالت الدنيا الى المرء حولت ... اليه ومال الناس حيث تميل

فهؤلاء لم يذهبوا الى تفنيد المتظرفين ولا الطعن على المتفننين وكيف والتظرف بهم أليق وسمة الظرف عليهم أصدق وهذا الباب قد ذكرته على جملته في كتاب نظام التاج في صفة الانوك المرزوق والظريف المحتاج وجعلنا جملة مامر في كتابنا نصفة بيننا وبين من زعم ان الامر ليس كذلك والذى زعم انه لايكون للفقير ظرف قد تجاوز في الجهالة والسخف بلى ان الظرف بذى التقلل مليح ولكن الهوى والعشق بهم قبيح وذلك أن الفقير ان طلب لم ينل وان رام بلوغا لم يصل وان استوصل لم يوصل فهو كمد القلب عازب اللب حزين النفس ميت الحس ذاهل العقل بعيد الوصل فتركه التعرض لمالا يقدر على بلوغ اتمامه أولى من تلبسه بمـا يزيده في اغتمامه وقد يجوز أن يكون ظريفا بغير عشق كما كان عاشقا بغير فسق لانه لاتهيأ له اقامة حدود العشق والظرف بلباقته ونظافته وتخلقه وتملقه ومداراته ومسـاعدته ولا يتهيأ له القيام بحدود العشق ان لامال له فيعينه على هواه ولا مقدرة له فتبلغه رضاه وان بلى بمن يستهديه ويستكسبه

ويطلب بره ويريد فضله وهو لايقدر على ذلك فهى الطامة الكبرى والمصيبة العظمى والحسرة التى تبقى والكمد الذى لايفنى فليتحرز الاديب من الهوى قبل وقوعه في العطب وليتحفظ منه قبل طلبه التخاص من شركه فلا يقدر على الهرب وقل من رأيته وقع في هوى فنجا من غله أوأمكنه التخاص من حبله ولم يقدر على التخاص من الهوى بعد الوقوع في درك البلا الا مالك لقلبه مانع لغربه حازم في فعله جامع لعقله فان الاديب اذا كان بهذه الصفة ورأى آيات الملل وعلامات المذل وامارات الغدر ودلالات الهجر بادر فريسته وتخاص مهجته وزجر قلبه وصرف حبه ولم يقم على طول الجفاء ولم يعرض نفسه لطول البلاء ولم يستعبدها بالتذلل والخشوع والتضرع ولكنه يصرفها صرف مقتدر عيوف ويمنعها منع مالك عزوف وقد شرحت لك ماقيل في المصارمة بابا لتقف عليه ويبين لك صحة مافيه أن شاء الله ولاقوة الا بالله

باب ماجاء في مصارمة ذوى الغدر

والمبادرة عند الملل والهجر

اعلم ان صبر المحب على هجر الحبيب تجرعه للغصص والتعذيب ومعالجة الزفير والنحيب وتقلقل القلب لفرق الوجيب من العجز الظاهر والموت الحاضر والمبادرة بالانصراف بعد تغير الالاف من الحزم المكين والرأى الرصين وان من أحسن ماقيل في المصارمة قول زهير بن أبى سلمى حيث يقول

الا يال قوم للصبى اذ يقودنى ... وللوصل من أسماء اذا أنا طالبه
فليتك قاليني فلا وصل بيننا ... كذلك من يستغن يستغن صاحبه

ومما يتعلق بهذا قول المتلمس

فان تقبلى بالود نقبل بمثله ... والا فانا نحن أنأى وأشمس

ومثله قول نافع بن خليفة

بآية ماقالت غنيت بغيرنا ... ونحن سنغنى عنك مثلا ونصدف

وقال آخر

فان تقبلى بالود نقبل بمثله ... وان تدبرى أدبر الى حال باليا
ألم تعلمى انى قليل لبانتى ... اذا لم يكن شئ لشئ مؤاتيا

وقال آخر

فان تقبلي بالود نقبل بمثله وان تؤذنينا بالصريمة نصرم

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة

سلام عليها ماأحبت سلامنا فان كرهته فالسلام على أخرى

ومثله قول الآخر

وكنت اذا خليل رام صرمي وجدت لدى منفسحا عريضا

وأجاد أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول

فان وصلت حبل الصفاء فدم لها وان صرمته فانصرف عن تحامل

ومثله قول ابراهيم بن العباس

بقلبي من هوى البيض انصراف وتعجبني من البيض القضاف
فان أنصفن في ودي والا فليس على من قلبي خلاف

وقد أحسن الذي يقول

كم من أخي ثقة قد كنت آمله هبت عليه رياح الغدر فانتقضا
أهملته حين لم أملك صيانته ثم انقبضت بودي مثل ماانقبضا
وقلت للنفس عديه فتى نزحت به النوى أو من القرض الذي انقرضا
فما بكيت عليه حين فارقني ولا وجدت له بين الحشا مضضا .

وقال عبيدالله بن عبد الله بن طاهر

أميطي الهوى ان شئت عني فانقضي عهود الهوى واسترزقي الله في ستر
فلو كنت لي عينا اذا لفقأتها ولو كنت لي أذنا رميتك بالوقر
ولو كنت لي كفا اذا لقطعتها ولو كنت لي قلبا نزعتك من صدري
سألتك هل للناقض العهد والذي يخون سوى الاعراض والصد والهجر
فان شئت فاقليني وان شئت فاعرضي فـوالله ماأمسيت مني على أمر

ولقد أحسن الخليع حين يقول

هويتكم جهدي وزدت على الجهد ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فان أمس فيكم زاهدا بعد رغبة فبعد اختبار كان في وصلكم زهدي
لعمري لقد أغضيت فيكم على التي تجرعني المكروه من غصص الحقد
تأنيتكم بقيا الصديق لتقصدوا وتأبون الا ان تجوزوا عن القصد
* تعزوا بيأس عن هواي فانني اذا انصرفت نفسي فهيهات من ردي

أبى القلب الا نبوة عن جميعكم ... كنبوتكم عنى فى السحق والبعد
أرى الغدر ضدا للوفاء وانى ... لاعلم لمن الضد ينبو عن الضد
اذا خنتم بالغيب عهدى فمالكم ... تدلون ادلال المقيم على العهد
صلوا فافعلوا فعل المدل بوصله ... والا فصدوا وافعلوا فعل ذى الصد
فكم من نذير كان لى قبل فيكم ... وها أنا ذا فيكم نذير لمن بعدى
فوا أسفا من صبوة ضاع شكرها ... مضت سلفا في غير أجر ولا حمد

وأنشدنى بعض المحدثين

هجرت حبيبا كنت أحسب اننى ... سأقضى حياتى قبل هجرانه وجدا
* وذلك انى كنت صبا بحبه ... أجاوز للافراط في حبه الحدا
فقابلنى من قلة الحفظ للوفا ... بان خاننى ودى ولم يرع لى عهدا
فقلت لقلبى بالملامة فاصطبر ... ورم سلوة تلقى بسلوتك الرشدا
فطاوعنى قلبى فبت مسلما ... أفتش عن ودى فلا أجد الودا

وأنشد أبو الطيب لنفسه في مثل ذلك

عتبت عليكم مرة بعد مرة ... وأفرطت في التعذال واللوم والزجر
فلما رأيت القول ليس بنافعى ... ولا النهى مقبولا لدى ولا أمرى
زجرت فؤادى زجرة عن هواكم ... وقلت له سرا فاصغى الى سرى
أفق كم يكون الهجر ممن تحبه ... وهجر الذى تهوى أحر من الجمر
وصبرك لو تدرى على الهجر ساعة ... وقد كنت ترجوه أحر من الجمر
تعز فان الغدر منه سجية ... ولا داء أدوى من معالجة الغدر
تعز فان اليأس يذهب بالهوى ... ولا شئ أشفى للفؤاد من الهجر
تعز وداو القلب مثلك بهجره ... ففى الهجر لو يأتى شفاغلة الصدر
فطاوعنى قلبى فبت أرى الهوى ... وما كنت فيه كالجنون أو السحر
وأصبح قلبى فارغا من هواكم ... كان لم يكن غاناه في سالف الدهر
وأضحى ومافيه من الحب والهوى ... اذا قيس مقدار العشير من الذر

ولقد أحسن الذى يقول

وددتك لما كان ودك خالصا ... وأعرضت لما صار نهبا مقسما
ولن يلبث الحوض الوثيق بناؤه ... على كثرة الوراد أن يتهدما

وقال آخر

لاأشتهى رنق الحياض ولاالتى تخاض ويغشاها المطرحة الجرب
ولا أشتهى الامشارب أحرزت عن الناس حتى ليس في مائها عب

وأنشدنى أحمد بن يحيى

وانى لاستحيى من الله ان أرى رديف وصال أو على رديف
وأشرب رنقا منك بعد مودة وأرضى بحبل منك وهو ضعيف
وانى للماء المخالط للقذى اذا كثرت وراده لعيوف

ومثله قول الآخر

لقد زعمت رياك انك غادر وانك للشرب الغداة عيوف
لقد كذبت مالى أعينج بمشرب أجاج ومالى في الوصال رديف

وأخبرنى أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال كان نصيب يأتى خلة له بالابواء وكان اذا أتاها رحبت به أمها وأكرمته وفرشت له الى جنب ابنتها فجاء يوما وعندها فتى أصفر كانه مسر يتولج عليهم بيتهم بغير اذن ويختلط بهم اختلاطا يكرهه نصيب فوثب الى رحله فشده على راحلته فعلقت به الجارية وقالت ألا تبوء عندنا ياأبا محجن كعادتك فقال

أراك طموح العين طارفة الهوى لهذا وهذا منك ود مؤالف
فان تحملى ردفين لاأك منهما فحيثى بفرد اننى لاأرادف

وأنشدنى ابراهيم بن محمد النحوى لنفسه

يا من توهم اننا نهواه ونذوب شوقا ان نأى مثواه
كذبتك نفسك في بعادك راحة ان كنت ممن مهجتى تسلاه
لايجمع القلب القريح صبابة وتأذيا منه بمن يهواه
لكن اذا حل الاذى صرف الهوى فانزاح عن قلب المحب هواه

ومثل ذلك قول أسماء بن خارجة الفزارى

خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى في سورتى حين أغضب
فانى رأيت الحب في القلب والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

ومثله قول الآخر

وصلتك لما أن رأيتك واصلا وباعدت حبل الوصل لما بدالكا

توهمت منك الحفظ والرعي للهوى ... يكون فلمـا أن رأيت فعالكا
زجرت فؤادي واجتنبتك بعدما ... رأيت ونحيت الهوى عن انائكا
فان قال قوم ان في الناس عاشقا ... سـلا سرعة يوما فاني ذالكا

وأنشدني غيره أيضا

منحتكم صفو المودة والهوى ... وأفرطت حتى جزت في ذلك الحدا
وأعطيتكم مني القياد ولم أكن ... لاعطيه من أهوى ولو شفني وجدا
فقابلتموني ضد ما قد منحتكم ... وما كان حقي ان أقابله ضـدا
فقد نلت مما كان مني من الهوى ... وآليت ألا أخلص الحب والودا
فان شئتم جدوا الوصال من الهوى ... وان شئتم خونوا القطيعة والعهدا
فاني برى لاذكرت مـودة ... ولا عشت الا سامرا يا كذا فردا

وأنشدني أيضا لنفسه

من سلا عنك فاسله ... لك في الناس مثـله
لاتقـولن لم وكم ... وعسى أو لعـله
فالعسى يعقد الهوى ... والتعـزي يحـله
كل حب اذا انقضى ... بعضه هان كله

وأنشدني أبو عبد الله بن معرف لنفسه

ادن من كل صاحب يدن شبرا ... منك بالوصـل والوداد ذراعا
واذا ماناى ذراعا فزده ... أنت بالهجر والقطيعـة باعا
ثم لاتطعـنن يوما عليـه ... بعيـوب وان شـناك سماعا

وهذا الباب على كثرته واتساع القول في صحته يعز على الاديب فعله ويمنعـه ومن اتيانه شغله لانه لايقدر أحد على التخلص من الهوى بعد الوقوع في شركه واشرافه على مهول مهلكه الا بعد هم دخيل وسقم طويل وفكر قاتل وشـغل شاغل فتحرز ذوي النهى من الهوى بالنزوع أولى من اعمـال الحيلة في طلب التخلص والرجوع واعلم انه لايصلح العشق الا لاربعـة لذوي مروة ظاهرة أوزي طاهرة أو ذي مال واسع أوذي ادب بارع ويقبح ممن سواهم لان الفقير اذا تعدى طوره ورام ان يجاوز قدره قبح ذلك به كما انه يقبح بذي الغنى ترك التعرض لاسباب الهوى وذلك لصغر نفسه الدنية وسقوط همته الردية لايمنعه من طلبه قلة ذات يده ولا تعـذر الجد بل

فساد الطبع وعدم الحاسة وموت الذات وبعد فان كنا في تقدمنا في غرض خطابنا وفصول كتابنا باباحة العشق والهوى ودعونا اليه الادباء وحثثنا عليه الظرفاء وملأنا بذلك كتابنا فانا نفرد للنصيحة فيه بابا يميل اليه أهل التدبير وأهل المعرفة والتبحر ويرغب فيه العاقل ويزهد فيه الجاهل لانى لم أخله من كلام منثور وشعر مشهور فقف على ماأصلت يبن لك مافرعت ان شاء الله

باب النهى عن الهوى
والتعرض لاسباب الضنى

اعلم انه يقبح بالرجل الاديب والعاقل اللبيب ان يستخذى في هواه ويملك قلبه سواه ويكون خادم قلبه واسير حبه لاسيما مع تغير الزمان وغدر الاحباب والخلان مايجد فيهم خليلا صادقا ولا يصاحب الا مادقا ثم أن اجهل الجهالة وأضل الضلالة صبر الفتى الاديب على غدر الحبيب فان الصبر على الخيانة والغدر يضع من المروة والقدر* وقد قال بعض الشعراء فاحسن

وانى وان خنت اليكم ضمائرى   فما قدر حى ان يذل له قدرى

فلا ينبغى لاحد ان يذل لهواه فيشمت بنفسه أعداه ولا يركن الى واحدة من النساء الحرائر والاماء فكلهن في الغدر سواء وما لواحدة منهن عهد ولا وفاء* ولقد أحسن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

ألا أيها القوم المحبون ويحكم   تعزوا عن الاحباب واحتسبوا الاجرا
فما واحد منهم بواف لواحد   وصاحبتى تجزى وفائى لها غدرا
فلو كنت من صخر لما كنت صابرا   وما أنا من صخر وما أترك الصبرا

وقد بلغنا ان ببعض بلاد الهند قوما لا يعشقون ويرونه ضربا من السحر والجنون وذلك لمن فيهم الفلسفة ولهم الحكمة والتجربة وزعموا ان سبب العشق سبب النوى وفيه المذلة والعناء ومنه يكون السقم والضنى وأكثر من في النساء وفاء اسرعهن خيانة وجفاء وأعطاهن حلفا وايمانا اسرعهن خبثا وسلوانا فيارحمتى للادباء وشفقتى على الظرفاء فما أطول بلاءهم وأكثر شقاءهم وأسخن عيونهم يبتلى العزيز منهم بالذليلة والكثير منهم بالقليلة والشريف بالدنية والنبيل بالزرية فيطول في عشقها سهره ويكثر في أمورها فكره وتتهاون عليها اذا نأت دموعه ويطول لديها اذا قربت خضوعه وهى تظهر له المحبة

وتبدى له الرغبة وتحلف بالايمان المحرجات والعهود المؤكدات أنه حظها من الآدميين وشغلها دون سائر العالمين وتريه الجزع عند الفراق والفرح عند التلاق فتملأ قلبه هما وتورثه ضنى وسقما وهى تكاتب سواه ولا تعبأ بهواه لها في كل زاوية ربيط وفي كل محلة خليط لم يعدها قول الشاعر

فيامن ليس يقنعها محب ولا ألفا محب كل عام
أظنك من بقية قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام
أتيت فؤادها أشكو اليه فلم أخلص اليه من الزحام

ولاقول الذى أنشدنى قوله أيضا

الخان يعجز عن قوم اذا كثروا لكن قلبك مثل الخان أضعاف
في كل يوم له خمسون يعشقهم في كل شهر له ألف وآلاف

وحكى الهيثم بن عدى أن رجلا من العرب هوى جارية فتمسك بودها وركن الى محبتها ثم أطلع على أنها لا ترد يد لامس فقطعها وأنشد يقول

ألا حى اطلالا لواسعة الحبل ألوف تسوى صالح القوم بالرذل
فلو أن من أضحى بمنعرج اللوى الى الرملة القصوى بساقطة النعل
جلوسا الى أن يقصر الظل عندها لراحوا وكل القوم منها على وصل

ومن أكثر المحال وأحمق المقال قناعة المرأة بصديق وصبرها على رفيق أحسن من فيهن حالا وأقلهن أشغالا من لها صاحب مشهور وخليل مستور وربيط تراسله وصديق تجامله وان كان ذلك لا للمال ولا لطمع وآمال فقد كنا تقدمنا في باب صفة القينات وما طبعن عليه من المنكر والخيانات انهن يكتسبن بالهوى والعشق ويدارين بالتملق والرفق وليس بنات البيوت في الخدور وربات الحجال والقصور كذوات المذق من القينات وكذوات التكسب من المتقنيات فان هؤلاء معروفات بطلب الدراهم والاموال منسوبات الى التكسب بتعشق الرجال لا يقدم عليهن الا مغرور ولا يثق بهن الا مسحور وانما يذهب على أهل الالباب وأهل التظرف والآداب ومكر البنات المخدرات والغوانى المحجبات اللواتى لم ترهن العيون ولم تكثر فيهن القالة والظنون اللواتى يبذلن نفيس الاموال لمن يتعشقنه ويمنين من راسلنه وكاتبنه وتزعم أنهن وراء الحجاب ودون الاقفال والابواب وانهن لا فرح لهن الا في المكاتبة ولا فرح الا في المراسلة ولا سرور الا في النظر من بعيد ولا يقدرن على اللقاء الا في الخروج في كل عيد وأولئك اللواتى تخف

أمورهن وتعمى سرائرهن ويطمع الجاهل فيهن ويصبو النزق اليهن ويثق بحبهن الأحداث والاطفال ولا يتمسك بمودتهن الا الجهال مع أن مكرهن أخفى من الخيال وأعظم من راسيات الجبال تنفذ حيلهن على الرجال ويتمكن كيدهن من الابطال وفيما خبر الله جل ثناؤه في بعض القرآن من عظيم كيدهن ولطف حيلهن ما يغني عن شرح كثير من سرهن وان في قصة زليخا ويوسف ما يستغنى به ذوو العقل والافهام من مكرهن القوى وكيدهن الخفي ولن يحترز منهن الا المجرب ويتقى منهن الا المدرب فان ذا الحنكة اذا كان بهن عليما وكان في أمورهن حكيما أخذ من حبهن عفوه وشرب من هواهن صفوه ولم يعلق بهن فؤاده ولم يملكن قياده وذلك الحسن الحال والرخي البال لم تورقه الغموم ولم تنضجه الهموم لا كالذى غلب عليه الشقاء وأتيح له البلاء فركن الى حبهن ودعته الرغبة الى ودهن فتمكن منه الهوى وتفرد به الضنى وتلك لا تشعر بسهره ولا تعبأ بفكره وبالله أقسم صادقا لو حلفت انهن لا يعرفن شيئاً من الوفاء ما حنث ولو بحث المغرور بهن المخدوع بحبهن عن صحيح أخبارهن وفحص عن مكنون أسرارهن لوقف على صورة غدرهن ولبان له جملة من مكرهن ولهن عليه بعد الكرامة ولرجع على نفسه بالملامة كما أنشدني بعض الادباء لنفسه

أصلك أرجو بعد ان رث حبله — لقد ضل سعيي اذ رجوت ملولا
أتوب اليك اليوم من كل توبة — فقد هنت في عيني وكنت جليلا
اذا لم يجد الفتى عن الغدر مذهبا — وجدت الى حسن العزاء سبيلا
فوالله لا أرضيت داعية الهوى — اليك ولا أغضبت فيك عذولا

وأنشدني أيضاً

سأغدر حتى تعجبوا من خيانتي — فما لى ذنب غير حسن وفائي
ولولا أمور عارضتها سبقتنى — الى الغدر حقا لو تركت ورائى
سأنزف دمعى حسرة وتندما — على مامضى من صبوتى وعنائى

أنشدني للحسين الخليع

تراك على الايام تنجو مسلما — ولست ترى من غدرة أبداً بدا
ألست الذى آليت بالله جاهدا — يمينا وخنت الله موثقه عمدا
ألا في سبيل الله ود بذلته — لمن خانني ودى ولم يرع لى عهدا
عدمتك من قلب أقام لغادر — على العهد حتى كاد يقتلني جهدا

ومن ذلك قول الحكمي

ألا في سبيل الله ود بذلته   لمن لم يكن منى لمشاره أهلا
سوى ماإذا فكرت فيه وجدتنى   أفوز به أنى اكتسبت به عقلا

وأنشدنى بعض الادباء لنفسه

توافيت لى حتى حسبتك مغرما   وأعرضت حتى خلت نفسى مجرما
ومالك شئ منهما غير أننى   أراك ترى نقض المواثيق مغنما
وما كنت أدرى كيف يصبر عاشق   ولا كيف يسلى بعد أن يتتيما
فأنقذتنى بالغدر من غمرة الهوى   وعلمت قلبى الصبر حتى تعلما
ولولم تخلصنى بغدرك لم أجد   الى سلوة حتى القيامة سلما
فلم ترعينى قبل شخصك ظالما   تعمد أن يجنى فأصبح منعما
فجوزيت عنى بالذى أنت أهله   فكل امرئ يجزى بما قد تيمما
سيندم انسان لعهد خليله   وقل لمن لم يرع أن يتندما

وأنشدنى أيضاً

ياقلب قد بان من كلفت به   نخل عنك البكاء من أثره
شغلك بالفكر في تغيره   أعظم مما لقيت من حذره
قد يسلم العاجز الضعيف وقد   تتلف روح القوى من غيره
وقد يفوت القريب مطلبه   وقد يؤوب البعيد من سفره
فان يذقك الوصال حسرته   فقد جنيت اللذيذ من ثمره
فارحل فمن لا يحل مورده   يفض به صفوه الى كدره

ولقد أحسن الحكمى حيث يقول

أيها المنتاب عن عفره   لست من ليلى ولا سمره
لا أذود الطير عن شجر   قد بلوت المر من ثمره

وأنشدنى محمد بن خلف أحد الفقهاء وأحسن في قوله

اذا كنت لاأنفك منك مروعا   بغدر فان الهجر ليس برائع
اذا خاننى من كنت أهوى وصاله   فلست بجنات الخلود بقانع
أبت عزماتى أن يقود زمامها   الى غادر بالعهد ذل المطامع
فيا من به كانت حياتى حبيبة   الى ومن لولاه قلت روائعى

تعز بيأس عن تذكر ما مضى فلست لمن لم يرع عهدى بتابع
واني وان لم يرق دمعى تأسفا عليك فما قلبي اليك براجع

وأجود ما قيل في هذا الباب قول أبي ذؤيب الهذلي

فان تعرضى عنى وان تتبدلى خليلا واحدا كن سوء قصارها
فانى اذا ما خلته رث حبلها وجدت لصرمى واستمر عذارها
وحالت كحول القوس طلت وعطلت ثلاثا فأعيي ردها وظهارها
فانى قمين أن أودع عهدها بحمد ولم يرفع الينا شنارها

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

ألم تر أن المرء تدوى يمينه فيقطعها عمدا ليسلم سائره
وكيف تراه بعد يمناه صانعا بمن ليس منه حين تدوى سرائره

فهكذا لعمرى ينبغى أن يفعل الادباء وبمثل هذا فليتعظ الظرفاء وقد يجب على العاقل المتأدب وذوى الحنكة والتجارب أن يجعل المرأة بمنزلة الريحانة يتنعم بنضرتها ويتمتع بزهرتها حتى اذا جاء أوان جفافها وحالت عن حالها في وقت قطافها نبذها من يده والقاها وباعدها من مجلسه وقلاها اذا لم يبق فيها بقية لمستمتع ولا لذة لمتمتع ولله در الذى يقول

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن عليك شجاً في الحلق حين تبين
وان هى أعطتك الليان فانها لآخر من خلانها ستلين
وان أقسمت لا ينقض النأى عهدها فليس لمخضوب البنان يمين

ومثل ذلك قول النمر بن تولب

وكل خليل علته الرعا ث والحبلات كذوب ملق

ومن جيد ما قيل في هذا الباب مما يجب قبوله على ذوى الالباب قول الحكم بن معمر الخضرى أحد بنى حصن بن محارب .

وبعض الهوى داء وفي اليأس راحة اذا انبت وصل لو نبابك منزل
وذو العقل لا يأسى على وصل خلة اذا لم يكن يوما عليها معول
فلا ترض بالامر الذى ليس بالرضى اذا كنت تعتام الامور وتفصل
اذا المرء لم يحببك الا تكرها فدعه ولا يعجز عليك التحول
وفي الارض أكفاء وفيها مراغم عريض لمن خاف الهوان ومرحل
وأن يقطع الامر الذى أنت قادر على جذه منه أعف وأجمل

والكلام في هذا الباب مطرد والقول فيه منسرد ولكن كرهت به اطالة الكتاب واقتصرت على قليل من الخطاب وأبديت نصيحتى للأدباء وأهل المعرفة والعقلاء وأخبرت بما صح عندى وبالغت في النصيحة جهدى فان رغب فيها راغب فغير ملوم وان زهد فيها زاهد فغير مذموم وأنا أعود الى ذكر الظرف والهوى فقد مضى من هذا الباب ما كفى واعلم أن للعشق سنة مقصودة وللظرف شرائع محدودة ورأينا أربابه وأهله وطلابه متبعين لسبلها متمسكين بحبلها متى حالوا عنها سموا بغير اسم الظرفاء عند أهل الظرف ودعوا الى غير سنة العشاق والادباء ولهم فيما استحسنوه من الزى والطيب والثياب والهدايا والطعام والشراب حد محدود مستحسن معلوم وزى بين الطائفتين مقسوم لا الرجال يتجاوزون ما حد لهم الى حد متظرفات النساء ولا النساء يتجاوزن حدهن الى حد الرجال الظرفاء وأنا أصف لك زى الفريقين من الظرفاء والمتظرفات وأشرح لك ما عليه هؤلاء وهؤلاء من الزى والهيئات ان شاء الله

باب ذكر زى الظرفاء

في اللباس المستحسن عند سروات الناس

أعلم أن من زى الرجال الظرفاء وذوى المروة الادباء الغلائل الرقاق والقمص السفاق من جيد ضروب الكتان الناعمة النقية الالوان مثل الدبيقى والجنابى والمبطنات التاختج والخامات ودراريع الدرجرد والاسكندرانى والملحم الخزى والخراسانى ومبطنات القوهى الرطب وأزر القصب الشرب والاردية المحشاة العدنية والطيالسة الملحم النيسابورية والمصمتة الدبيقية والجباب النيسابورية والمصمتة الطرازية والوشى السعدية والخزوز الكوفية والمطارف السوسية والاكسية الفارسية والطيالسة التومسية الزرق السلولية وكل ما أشبه ذلك وقاربه ودنا منه وصاحبه وليس يستحسن لبس الثياب الشنعة الالوان المصبوغة بالطيب والزعفران مثل الملحم الاصفر والدبيقى المعنبر لان ذلك من لبس النساء ولبس القينات والاماء وقد يلبسون ذلك في الفصد والعلاجات ووقت الشراب والخلوات الغلائل الممسكة والقمص المعنبرة والاردية الملونة والازر المعصفرة وربما استعملوها لفرشهم ولبسوها في وقت قصفهم وتظرفوا بها في مجالسهم وتخففوا بها في منازلهم والظهور فيها قبيح بالسوقة والظرفاء مستحسن من أهل النعم وابناء الخلفاء وليس يجيز أهل الظرف والادب لبس شئ من الثياب الدنسة مع غسيل ولا غسيلا مع جديد ولا الكتان مع المروى ولا الباياف مع القوهى أيضا وأحسن الزى ما تشاكل

وانطبق وتقارب واتفق

باب زى الظراف فى التكك والنعال والخفاف

ومن زيهم لبس النعال الزيجية والثخان الكنباتية والمشعرة اليمانية والحذو اللطاف والمختمة الخفاف ويشرك أسودها بأحمر وأصفرها بأسود ويلبسون الخفاف الهاشمية والمكسورة الكتابيه ومن الادم الثخين والاسود الرزين بالجوارب الخز والمرعزى والقز ويعيبون لبس الاحمر من الخفاف ولبس الدارشية الخفاف ويتخذون التكك الابريسمية والتكك الخزية والمطارف القطنية والمنقوشة الارمنية

باب زيهم المخصوص فى الخواتيم والفصوص

التختم بالعقيق الاحمر والفيروزج الاخضر والفضة المحرقة والياقوت الاسمانجونى والبجاذى الخراسانى والمعرانية الحمر والياقوتية الصفر واليمانية السود الحسنة القدود على الخواتيم المهرانية والمضروبة المتوكلية ولا يتختمون بالذهب وليس من زى ذوى الادب وانما هو من لبس النساء ولبس الصبيان والاماء

باب زيهم في التعطر والطيب الذى من خالفه كان غير مصيب

ومن زيهم في التعطر والطيب بالمسك المسحول بماء الورد المحلول واستعمال العود المعنبر بماء القرنفل المخمر والند السلطانى والعنبر البحرانى والعبير والذرائر المفتوقة بالعبائر وسوى ذلك من الطيب لايقربونه والكافور لعلة برده لايستعملونه الامن حرارة ظاهرة أو من علة غالبة أو موضوعا على الجمر مخلوطا بعبير المسك وزعفران الشعر وهو بهذه الصفة أطيب البخور وليس البرمكية وما أشبهها عليهم بمحظور وان الجيد من البرمكية ومن البخور الذكية وانما يكره استعمالها المتظرفون اذ هى مما يستعملونه المتقللون وكذلك اجتنبوا ماء الخلوق لانه من طيب النساء والغالية اذهى من طيب الصبيان والاماء ولا يستعملون شيأ من الطيب الذفر مما يبدوله لون ويبقى له أثر وفي ذلك حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طيب الرجال ماظهر رائحته ومتى استعملوا شيأ من الغالية أوطيب النساء كانت في أصول الشعر بحيث يشم ولا يرى له أثر

باب في مستظرفات النساء

في اللباس المخالف لزى الظرفاء

لبس الغلائل الدخانية والاردية الرشيدية والشروب المزنرة والاردية الطبرية والقصب الملون والحرير المعين والمقانع النيسابورية وأزر الملحم الخراسانية والجربانات الخانقية والكمام المفتوحة والسراويلات البيض المذيلة والمعاجر السود المسنبلة ولا يلبسن شيأ من التكك ولا شيأ من المرشوش والمطيب ولا النقية الالوان ولا من الثياب البياض الكتان الا ما كان ملونا في نفسه أو مصبوغا من جنسه أو مغيرا بلون من أجناس المسك والصندل وأجناس العنبر والمسنبل ليحول بالطيب عن تلك الحال اذ لبس البياض عندهم من زى الرجال ولا يلبسن أيضا من الثياب الاصفر والاسود والاخضر والمورد والاحمر الا ما كان جنسه الصفرة والتزريق والخضرة والتوريد والحمرة مثل اللاذ والحرير والقز والديباج والوشى والخز لان لبس المورد والاحمر والسنيرى الاخضر انما هو من لبس النساء النبطيات ولبس الاماء المتقينات والبياض عندهم من لبس المهجورات والازرق والحداد من لبس الارامل والمقرعات وأحسن الذى عندهم ماذكرناه وليس يتجاوز حد مارسمناه

باب زيهن المخالف لزى الرجال

في لبس التكك والخفاف والنعال

لبس النعال الكنباتية المشعرة والمدهونة المخصرة والخفاف الزنانية والمكسورة والرهاوية والتكك الابريسمية والرجال يشركونهن في التكك الابريسمية ولا يشركن الرجال في التكك الديباج المنسوجة وشرابات الابريسم المفتولة والزنانير العراض ولا يذهبن في ألوانها الى البياض ولا ما كان منها كثير الالوان والتخطيط ويتطيرن من الالوان وقد يلبسن أيضا التكك الخزية المطرفة القطنية ومن زيهن أيضا في الطيب الذى ليس للرجال فيه نصيب استعمال اللخالخ والصندل والصياح والقرنفل والساهرية والادقال والمعجونات والزعفران والخلوق وماء الخلوق والكافور وماء الكافور والمثلثة الخزائنية والبرمكية السلطانيه وسائر صنوف الادهان من البنفسج والزنبق والبان الا انهن اجتنبن استعمال الترشنام والرجال لا يستعملون شيأ من ذلك والنساء

يستعملن جميع طيب الظرفاء والظرفاء لايستعملون شيأ من طيب النساء ومن زين المعلوم في لبس الحلى المنظوم لبس مخانق القرنفل المخمر ومراسل الكافور والعنبر والقلائد المفصلة والمعاذات المخرمة بشرابات الذهب المشبكة والابريسمية المسلسلة واتخاذ السبج اللطاف من المخروطة الخفاف ومثل السبج الحالك والكوهر والكرك والبلور النقى وحب اللؤلؤ السرى والحب الاحمر والكاربا الاصفر وسائر صنوف الياقوت والجوهر وينظمن بالحب وصنوف الجوهر كرازنهن وينقشن بالابريسم والذهب عصائبهن ويتخذن خواتيم المقرنة والمناقير المطبقة بفصوص الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر والاسمانجونى والاصفر ولا يحسن بهن التختم بالمينا والعقيق والفضة والحديد والملوح والفيروزج والبجاذى والمسانيح وذلك من لبس الرجال والاماء وليس من لبس متظرفات النساء ولا يتخذن منها ماضاق وعسر ولاماجفا وكبر وقد تطير بعض الظرفاء من هدية الخاتم وزعموا انه يدعو الى القطيعة وتهاداه آخرون وأقاموه مقام التذكرة والوديعة فاما الذين تطيروا منه فينشدون

وما كان هذا الهجر من طول بغضة ... ولكن بعض المزح للمرء قاتل
مزحت لحينى مرة بخواتيم ... لآخذه حلت على النوازل
فصدت ولم تعلم على خيانة ... وطول صدود الخل للعقل سامل

وينشدون أيضا

انى مزحت ولم أعلم بخاتمه ... فكان منه ابتداء الهجر والغضب
قد كنت ماقال أهل الظرف أنكره ... وكان قولهم عندى من اللعب
أن الخواتيم فيها قطع وصلكم ... فقلت هذا لعمرى غاية الكذب
حتى ابتليت فكان الحق قولهم ... أخذ الخواتيم فيه أكثر العطب

وأنشدنى صديق لى في ضد ذلك

يقول أناس في الخواتيم أنها ... تقطع أسباب الهوى وأقول
بان خواتيم الملاح وصولة ... وخاتم من تهوى الملاح وصول

والعلة فيما كرهه الظرفاء وتطيرمنه الادباء من هدية التكة والخاتم حتى صار مستفيضا في العالم ان هذين وحديهما من جميع اللباس أن يستظرفا فيستلبا ويستحسنا فيستوهبا وان الواحد اذا أهدى الى خليله وأرسل الى حبيبه بخاتمه أو تكته ففقد ذلك من يده أو حزنه بعثه باعث من غيرته على قطيعته وهجرته فاما من يتلقى هدية آخانه

بالقبول وينزلها منه بالمنزل الجليل ويحفظها كحفظه لبصره ويشفق عليها من الدهر وغيره فهو آمن من المجانبة مستريح من المعاتبة وقد رأيناهم ربما أهدوا ذلك فيهدونه على سبيل البيع ويأخذون منهم الشئ الطفيف اليسير كالدرهم الصغير والقطعة من البخور فيخرج بهذا البيع عن حد الهدية ويأمنون مافيه من مكروه البلية وقد بلغني ان أبا نواس دخل على خالد خيلويه فنظر في أصبعه الى خاتم فقال أرينيه فدفعه اليه وكان علامة بينه وبين جارية يحبها فانصرف فاستعمل واحدا على مثاله ثم بعث به اليها فانكرت الفص فبعثت به اليه ولم تأتيه فدخل على حياله فلما رآه مثل بين يديه وأنشأ يقول

تفديك روحي ياأبا جعفر — جارية كالقمر الازهر
تعلقتني وتعلقتها — طفلين في المهد الى المكبر
كنت اليها نهادى الهوى — بخاتم لى غير مستنكر
فانكرته اذ رأت فصه — فادركتها غيرة المنكر
قالت لقد كان له خاتم — أحمر يهديها الينا سرى
فاليوم قد علق غيرى فقد — أهدى له الخاتم لا أمترى
آمنت بالله وآياته — ان انا لم اهجره فليصبر
أو يأت بالحجة في تهمتى — اياه في خاتمه الاحمر
فاردده تردد وصلها أنها — قرة عيني ياأبا جعفر

فاخرجه من أصبعه فدفعه اليه فهذا دليل على اجازة تهادى الخواتيم وحفظها لأربابها وشدة الغضب والغيره عند ذهابها فاما الطعام فعيوبه أشد الاشياء على الظرفاء ضررا وهم من عيوبه أشد توقيا وحذرا لتكاثف عيوبه وكثرة معيبه وأنا أبين لك زيهم في ذلك وما استحسنوه في ذلك واستعملوه وما استقبحوه فاجتنبوه ان شاء الله

باب ذكر زى الظرفاء فى الطعام

الذى بانوابه عن منزلة اللئام

اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم والتحالل عن الشره والنهم وأكل الاوساط الرقاق والبزماورد الدقاق وليس يأكلون العصبة والعضلة ولاالعرق والكلوة ولا الكرش والقبة ولا الطحال والرئة ولا يأكلون القديد ولا يأكلون الثريد ولا مافي

القدر من الورق ولا يتحسون المرق ولا يتبعون مواضع الدسم ولا يملئون أيديهم بالزهم ولا يجللون الملح وهو عندهم من أكبر القبيح ولا يكوكبون في الخل ولا يمعنون في أكل البقل ولا يأكلون الطلع لشبه رائحته برائحة الماء الدافق ولا يمششون من العظام كراديس قصب الساق الغليظ وانما مشاشهم ما لان وصغر ولا ما غلظ وكبر ويأخذون ما ثقل من المشاش على ظهر الاصابع ويطرحونه ناحية من الخوان ولا يزهمون ما بين أيديهم من الرغفان ولا يتعدون مواضعهم ولا يلطعون أصابعهم ولا يملئون باللقم أفواههم ولا يدسمون بكبرها شفاههم ولا يقطرون على أكفهم ولا يعجلون في مضغهم ولا يأكلون بجانبي الشدقين ولا يزاوجون بين الاثنين ولا يجاوزون ما بين أيدهم شئ من الفتات ولا يأكلون قدرا بائتة ولا قدرا مسخنة ولا يغمسون في مرقة ولا يضعون لقمة ولا يأكلون شيئا من الكوريج والصحنات ولا الربيثاء والسميكات ولا شيئاً من الكواميخ والمالح وأكل ذلك عندهم من الفضائح الا أن القينات المتظرفات والنساء القصريات ربما تظرفن بأكل المالح والمملوح في منازل متعشقيهن وبيوت مرابطيهن فيذهبن مذهب طرح المؤونات وخفة النفقات ولا يأكلون الجراد والاربيان لعلة شبههما بالاشياء القبيحة من الحيوان ولا يأكلون الحبوب التي تهيج الارياح وتولد القرقرة والانتفاخ ولا يأكلون في النهار أكثر من أكلة ويكثرون القيام في مجالسهم ولا يكثرون من الضحك والكلام عند حضور المائدة والطعام ولا يتخللون على المائدة قبل أن تفرغ ولا يتحفزون لمجيئها قبل أن توضع واذا غسلوا أيديهم لم يطلبون الغسل قبل طلب ايتائها من الوسخ والكدر ولم يقصدوا التقصير الذي يبقي منه رائحة الغمر وكذلك أيضا اذا تمندلوا فعلوا كفعلهم اذا غسلوا فاما النقل فانهم يحضرونه موائدهم ويطعمونه ولائدهم ولا يكثرون من أكله ولا يأتون على كله وانما يعبثون منه بالشئ اليسير من النعنع ويجتنبون من ذلك الهندبا والكشوث لبردهما والفجل والحرف لنتنهما والكراث والبصل لرائحتهما والقداح والخندقوقا لخشنهما ولانهما أيضا يخضران الاسنان والعمور ويحدثان الرائحة والتغيير ولن يقع الثوم في قدر فيذوقونه ولا البصل فيقربونه ولا يلفظون باسم الطرخون لابتداء اسمه وشناعة لفظه فيكنون عنه فيضيفونه الي النعنع وقد سماه بعضهم بقلة الجياع وسماه آخرون كافور الفؤاد وكل يقصد الى معناه والخس لا يقربونه لموضع تفقئه والخيار لا يأكلونه لعلة برده والجزر يتجالون عن مسه ولا يرون النظر اليه

دون أكله وكذلك القثاء والهليون ولموضع النوى أيضا رغبوا عن أكل الزيتون ورغبوا عن أكل ما خالطه النوى من فاكهة الصيف والشتاء مثل القصب والبسر والمشقق أيضا والتمر وكذلك سائر الارطاب والمشمش والنبق والعناب وكذلك في الخوخ والشاهلوج والاجاص وهو عندهم من أكل العوام لا من أكل الخواص ولا ينفق عندهم الرمان والتين وهذان عندهم والبطيخ من تهجين خاصة اذا انشقت الرمانة وتصدعت البطيخة اذا انكسرت وجوزة ولوزة وتينة وموزة ولا يدفع بعضهم الى بعض وردة واخدة ولا نبقة واحدة ولا لوزة واحدة للتسفيل ولما يقع فيه من التمثيل ولا تقول متظرفة لاخرى هذه ودتك ولوزتك ونبقتك وجوزتك ورمانتك وتينتك وذلك عندهم أجل العيوب تشمأز منه القلوب ويجتنبون له أشد الاجتناب ويكتئبون له أمر اكتئاب وكذلك لا تقول واحدة لاخرى ارفعي رجلك ولا ذيلك ولا اقعدى عليه ولا دخليه واخرجيه ولا أصعديه ولاصبيه ولا انفخيه ولا سيبي ولا سرحي ولا شيلي ولا انتحي ولا احملي ولا قدعملت ويجتنبون ذلك وما أشبهه من الكلام مما كثر استعماله في خطاب العوام ولا يكادون يلفظون به ولا يطيف بألسنتهم ولا يجيزونه في شيء من مخاطبتهم ويحذرونه ويتوقونه منه ويعيبون المتكلم به ويعرضون عنه

باب ذكر زيهم فى الشراب
الذى يتخيره ذوو الالباب

أما ما عليه الظرفاء وأهل المروة والادباء فانهم لا يشربون من الشراب أسوده ولا يشربون الا اجوده مثل المشمش والزبيبي والمعسل والمطبوخ والطلاء والمعدل ولا يقربون مالائمه الخثر ولا ما خالطه الكدر ولا يشربون الا ما صفا من الشراب ويتجاللون عن المسحور الدوشاب اذ هو من شراب العامة والرعاع وشرب السوقة والاتباع ولا يتنقلون على شرابهم بالاشياء الرذلة مثل الباقلى والبلوط والبسر المقلو والقريثاء والحنطة والغبيراء والشاهبلوط والخرنوب الشامي وما أشبه ذلك من الانقال وأكثر ما يتنقل به المتظرفون ويعبث به المتزيكون مملوح البندق ومقشر الفستق والملح النفطي والعود الهندى والطين الخراسانى والملح الصنعانى والسفرجل البلخى والتفاح الشامى ويتخذون من كل شيء من الآنية اسراه ومن الزجاج أجوده وأنقاه وأما ما اجتنبوه من الهدايا وتخوفوا من هديته البلايا فاشياء يكثر بها العدد

ويصول بها الامد وأنا أذكر من يسيرها ما يستدل به على كثيرها

باب ذكر الاشياء التى يتطير الظرفاء من اهدائها ويرغبون عنها لشناعة اسمائها

فمن ذلك الاترج والسفرجل والشقائق والسوسن والنمام وأطباق الخلاف والغرب والبان فاما الا ترج فان باطنه خلاف ظاهره وهو حسن الظاهر حامض الباطن طيب الرائحة مختلف الطعم ولذلك يقول فيه الشاعر

أهدى له أحبابه أترجة　　فبكى وأشفق من عيافة زاجر
خاف التلون اذ أتته لانها　　لونان باطنها خلاف الظاهر
فرق المتيم من حموضة لبها　　واللون زينها لعين الناظر

وأماالسفرجل فلان فيه اسم السفر وقد قال فيه الشاعر

متحفى بالسفرجل　　لاأريد السفرجلا
اسمه لو عرفته　　سفرجل فاعتلى

وقال آخر

أهدت اليه سفرجلا فتطيرا　　منه وظل متيما مستعبرا
خاف الفراق لان أول اسمه　　سفر فحق له بان يتطيرا

وأما الشقائق فلشطر اسمه ولقول الشاعر فيه

لاترانى طوال دهـ　　ـرى أهوى الشقائقا
ان يكن يشبه الخدو　　د فنصف اسمه شقا

وقال آخر

لايحب الشقائقا　　كل من كان عاشقا
ان نصف اسمه شقا　　ء اذا فهت ناطقا

وأما السوسن فلان اسمه السوء وقال فيه الشاعر

سوسنة أعطيتنيها وما　　كنت باعطائكها محسنه
شطر اسمها سوء فان جئت بالـ　　آخر منها فهو سوء سنه
وأنت ان هاجرتنى ساعة　　قلت أتت من قبل السوسنه

وقال آخر

يا ذا الذى أهدى لنا سوسنا ما كنت في اهدائه محسنا
أوله سوء فقد ساءنى ياليت أنى لم أر السوسنا

وأما الياسمين فلمبدأ اسمه تطير منه ولقول الشاعر

انى لاذكر بالريحان رائحة منها فالقلب بالريحان ايناس
وأمنح الياسمين البغض من حذرى لليأس اذ كان في بعض اسمه ياس

وقال آخر

أبصرته في المنام ناولنى من كفه الياسمين والغربا
فكان يأس في الياسمين وفي الـ غرب اغتراب ياشوم ماوهبا

وقال آخر

أهدى حبيبي ياسمينا فبى من سره الطيرة وسواس
أراد ان يوئس من وصله اذ كان في شطر اسمه الياس

وأما النمام فلشناعة اسمه وقول الشاعر فيه

حييتها بتحية في مجلس بقضيب نمام من الريحان
فتطيرت منه وقالت أقصه لاتقربن مضيع الكتمان

وأما الآس فقد تطير منه قوم وزعموا انه اياس وتفاءل به آخرون وزعموا انه مواساة وأساس قال الشاعر

ماأحسن الآس في عينى وأطيبه لولا اتصال حروف الآس بالياس
ماضر من كان أهدى الآس من يده لو قال ريحانة يعنى به الآسى
لولا الذى أتقى من طيرتى بهما مافارقا أبدا تاجا على راسى

كذلك تطيروا من الخلاف لموضع الخلف والغرب للاغتراب والبان للتباين وروى عن كثير عزة انه بلغه انها عليلة وانها تشوقه فخرج يريدها وهى بمصر فرأى غرابا ساقطا على بانة ينتف ريشه ويطائره على رأسه فتطير من ذلك واتى عرافا من نهد أخبره بما رأى فآيسه من حياتها وأخبره بوفاتها فلما وصل الى مصر خبر بموتها فانشأ يقول

فما أعيف النهدى لادر دره وأعلمه بالزجر لاعز ناصره
رأيت غرابا ساقطا فوق بانة ينتف أعلى ريشه ويطايره
فاما غراب فاغتراب من الهوى وبان فبين من حبيب تعاشره

وقال أبو الشيص

أشاقك والليــل ملقى الجران   غراب ينوح على غصن بان
أحص الجناح شديد الصياح   يبكى بعينــين ماتدمعان
وفي نعبات الغراب اغــتراب   وفي البان بين بعيد التدانى

وقال بعض الاعراب

وكنت قد اندملت فهاج شوقى   بكاء حمــامتين تجــاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمى   على غصنين من غرب وبان
فقلت لصاحبى وكنت أحرى   بزجر الطير ماذا تخــبران
فقالا الدار جامعة بسـعدى   فقلت بــل انها متيمنان
وكان البان أن بانت سليمى   وفي الغرب اغتراب غير وان

وقال نصيب

ألا راع قلبى من سلامة أن غدا   غراب على غصن من البان ينعب
فأزجر ذاك البـان بينا مواشكا   وغربة دار ماتدانى فيصــقب

وقد استحسنوا هدايا كثيرة وتفألوا فيها بقول الشاعر وان كان بعضها ممــا ذكرناه انهم لايتهادونه من طريق الظرف واجتنبوه لعلة التسفيل وأحبوه من حسن التفول فمن ذلك الرمان وهو مما ذكرناه انهم لايتهادونه لما فيه من التسهيل وما يقع فيه من التمثيل وكذلك الشاهلوج والنبق والورد والبنفسج فاما الرمان فقد قال فيه الشاعر

أهدت اليــه بظرفها رمانا   تنبيه ان وصالهــا قد آنى
قال الفتى لمــا رآه تفولا   وصل يكون متمما أحيانا
رم يرم تشغى بوصالهــا   لقد التفؤل صادقا قد كانا

وأما الشاهلوج فهو مما فيه النوى وقد تهاداه قوم لموضع تفؤل الشاعر به اذ يقول

أهدت اليــه الآن شاهلوجا   تنبيه أن لو جاء كان ولوجا
فمضى على فأل الهدية جاسرا   عمدا فصار مداخلا خريجا

وأما النبق فهو يستقبل وقد قال فيه الشاعر

أيا أحســننا خلقا   ومن فات الورى سبقا
تفألت بان تبقى   فاهــديت لنا النبقا
فابقاك إله النا   س ماسرك أن تبقى

وأشقى الله شانيك وحاشى لك أن تشقى

وأما البنفسج أيضا فقد قال فيه الشاعر

أهدت اليه بنفسجا يسليه تنبيه ان بنفسها تفديه
فارتاح بعد صبابة وكآبة ورجالحسن الظن ان تدنيه

وأما الخوخ فقد أطنبوا في وصفه وأكثروا من مدحه وزعموا انه أشبه شئ بالخدود من التفاح وأقرب شبها بالوجنات الملاح لانه يشاركها في البياض والسمرة والادمة والصفرة والتوريد والحمرة والزغب اللين البشرة وهو أطيب ملثم وأعزب مقبل وأذكى مشم وهو عند طائفة من أهل الهوى أجل مرتبة من التفاح لولا ما خالطه من النوى الذى يشمأز منه الظرفاء ويشناه الادباء وانه مفقود والتفاح موجود وأما الورد فقد تفاءل به كثير من الظرفاء وذكره كثير من الشعراء أنشدنى بعض الادباء

أهدى له وردا فاخبر انه في الواردين ولم يكن ورادا
فارتاح من فرح بطيب وفوده وعدا له ورد الحياء فزادا

وليس عندهم في الروض شئ يشبهه ولا في عروض الروض ما يدركه وقد ذكرت ذلك في باب لطيف لرغبتى في اقتصاد التأليف فقف عليه واعرفه

باب ما قيل في صفة الورد

ومحله من قلوب ذوى الوجد

اعلم ان الظرف قد أكثروا من تفضيل الورد ومدحته الشعراء وقد أطنب فيه وأفرطوا في نعت حسنه واشتهوا رائحته حتى شبهوه بالوجنات الحمر وقايسوه الى الخمر ومثلوه بالاشياء الملاح كفعلهم بالتفاح وهما عندهم في مرتبة واحدة قال العباس ابن الاحنف

أبغض الآس والخلاف جميعا لمكان الخلاف واليأس منها
وأحب التفاح والورد حتى لو وزنتيه بالجبال وزنها
أشبها ريقها ونكهة فيها فهما ينبئان بالطيب عنها

وقال آخر

عشية حيانى بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن الى بعض
وولى وفعل الخمر في حركاته فعال نسيم الريح بالغصن الغض

وقال آخر

يضحك الورد الى ور   د بخديك مقيم
جمعا شكلين وقفيـ   ـن لألحاظ النديم
غير أن المسك أولى   بك في كل نسيم

وقال آخر

سيعلم الورد أني غير ذاكره   اذا الخدود أعارت حسنها بصرى
كم بين ورد مقيم في أماكنه   وبين ورد قليل المكث في الشجر
هذا جنى مصون في منابته   وذاك ممتهن في كل محتضر

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر

مرت وفي كفها ورد فقلت لها   حيي محبك قالت عنه لى شغل
فقلت بخلا فقالت قد وهبت له   وردا جنيا وذا بالكف يبتذل
ان كان لم يجنه منه أنامله   فقد جنته له الالحاظ والمقل

وقال آخر

ورد خديك مقيم   أبدا ليس يريم
أنا منه في نعيم   ما بدا منه نعيم

وقال آخر

تمتع من الورد القليل بقاؤه   فانك لم يفجعك الافناؤه
وودعه بالتقبيل والشم والبكا   وداع حبيب بعد حول لقاؤه

وقد تطير منه آخرون وسموه الغدار وغضوا دونه الابصار لقلة لبثه ويسير مكثه وسرعة زواله وتغيره وانتقاله وخبرت ان قينة أهدت الى ربيط لها غصن آس فسر به وأنشأ يقول

والآس يبقى وان طال الزمان به   والورد يفنى ولا يبقى على الزمن

وأهدت له وردا تطيرمنه وقال

أنت ورد وبقاء الـ   ـورد شهر لاشهور
يذهب الورد ويفنى   والى الآس نصير

فكتب اليه بعض اخوانه

سر بالآس الذى أهدت له   ثم لما أهدت للورد جزع

ذاك أن الآس باق دائم ولان الورد حينا ينقطع

وقال بعض الشعراء

وصلت وكان الورد أول مابدا فلما تولى الورد ولى مع الورد

فيـاليت أن الورد آس فانه يدوم على الحالين في الحر والبرد

وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها أو يبلغ أمدها وقد أفردت لذلك كتابا بوّبته أبوابا وترجمته بكتاب العقد وشحنته بفضل الورد فاغنى مافي ذلك الكتاب عن اعادة ذكره فى هذا الباب والتفاح أعظم عندهم قدرا وأجـل أمرا وأعلى درجـة وأرفع رتبة لسلامته من البياض والتوريد وقد ذكرت فضائل التفاح في كتاب التفاحة في غير باب فاغنى عن اعادته في هذا الكتاب غير أنى أذكر في كتابنا هذا جملة ممـا وصفته به الادباء ومدحته به الشعراء ولست أذكر في عرض هذا الـكتاب شيئا مما في ذلك الـكتاب لان لا يبتلى بشئ من المحن فينسب الى ضيق العطن وبالله التوفيق

باب ذكر التفاح وما

كره الادباء من أكله

أعلم ان التفاح عند ذوى الظرف والعشاق وذوى الاشتياق لايعدله شئ من الثمر ولا النور والزهر كيف وبه تهدأ أشجانهم وبوروده تسكن أحزانهم وعنـده يضعون أسرارهم واليه يبدون أخبارهم اذ كان عندهم بمنزلة الحبيب والانيس وبموضع الصاحب والجليس وليس في هداياهم مايعـادله ولا في ألطافهم مايشا كله لغلبة شبهه بالخدود الموردة والوجنات المضرجة وهو عندهم رهينة أحبابهم وتذكر أصحابهم الى وردته يتطربون وبرؤيته يستبشرون ولهم عند نظرهم اليه انين وعند استنشاق رائحته حنين حتى ان أحدهم اذا غلب عليه القلق وأزعجه الارق لم يكن له معول الا عليـه ولا مشتكى الا اليه وأنشدنى بعض أهل الادب

لمـا نأى عن مجلسى وجهه ودارت الكاس بمجراها

* صيرته تفاحة بيننا اذا ذكرناه شممناها

واهالهـا تفاحة أشبهت خـديه في بهجتها واها

وقال الحكمى

تفاحة جاءت وقد علقت وركبت بالورد والآس

أشرب من كأسى على ريحها　　بالرغم من أهلى وجلاسى

وقال آخر

تفاحة أهديت ظرفا معضضة　　وقد جرى ماء ثغرى في ضواحيها
بيضاء في حمرة علت بغالية　　كانما جنيت من خد مهديها *
قد أتحفتنى بها في النوم جارية　　روحى من السوء والاسقام تفديها
لو كنت ميتا ونادتنى بنغمتها　　لخلت للصوت من لحدى ألبيها

وقال آخر

حياه من يهوى بتفاحة　　قد عض أعلاها باسنانه
جاد ولم يبخل بها بعد ما　　عذبه دهرا بهجرانه

وقال آخر

تفاحة تأكل تفاحة　　ياليتنى كنت الذى يوكل
فالثمر والثغر لكى أشتفى　　بعلة الاكل ولا أوكل

وقال آخر

تفاحة من عند تفاحة　　قريبة العهد بكفيها
أحبب بها تفاحة أشبهت　　حمرتها حمرة خديها

وقال آخر

تفاحة حمراء منقوشة　　ركبتها في خضرة الآس
فلم تزل في كف ندماننا　　تدور من كأس الى كاس

وقال آخر

تفاحة من عند تفاحة　　ضمخها المهدى لها بالعبير
يامهدى الحسرة ياقاتلى　　اهديت لى والله قصم الظهور
قد كنت في بحرين من حبكم　　فصرت مذ أهديتها في بحور

وقال آخر

فلو أنى اشتكيت لاجل حزنى　　وما ألقاه في دار الخلود
وكان طعامنا فيها جنيا　　من التفاح والورد النضيد
لقلت دعوا لها حصصى فانى　　أشبهها بالوان الخدود

وقال آخر

حياه من يهوى بتفاحة   قد جنيت باللحظ من خده
معضوضة باللحظ محفوفة   بعسكر الآجال من صده
لو شمها الخلق لماتوا معا   لعشر مايلقاه من جهده

وقد مضى من هذا الباب مقنع وهو كثير متسع ولهم أشياء من زيهم جليلة وتتف من مناقبهم نبيلة انا أصفها لك في موضعها وأقطعها من مقاطعها منها السواك الذى صيروه كاحد الفروض الواجبة والامور الارادية وقد شرحت فيه بابا لتقف عليه ان شاء الله

باب ماجاء في السواك
وما قيل في عود الاراك

اعلم ان من زى الظرفاء وأهل المروة والادباء وارباب الديانة والترفل استعمال السواك والتسوك فهو انبل النظافة وأحسن الطهارة وأكمل المروة ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة وله خصال مستحسنة وهو أيضا من السنة وقد روى في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طهروا أفواهكم فانها مسالك التسبيح وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وحدثنا أبى قال حدثنا ابن أبى شيبة عن عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمر عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وعن على بن أبى طالب عليه السلام ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل تسوك وعن أبى المليح عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أمرت بالسواك حتى حسبت ان يكون يكتب على وعن ابن أبى مليكة قال عائشة تقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتى وليلتى ويومى وبين سحرى ونحرى وخلطت ريقه بريقى فقلت ياأم المؤمنين وكيف خلطت ريقه بريقك قالت دخل عبد الرحمن بن أبى بكر وبيده سواك فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقلت قد اشتهى السواك فاخذت سواكه فمضغته ثم أعطيته فاستاك عليه السلام فلم يشغل النبى صلى الله عليه وسلم نزول الموت عن طلب السواك اذ هو أظرف مااستعمل وانبل مااستحسن لانه يبيض الاسنان ويصفى الاذهان ويطيب النكهة ويطفئ المرة وينشف البلغم ويشد اللثة ويقوى العمور ويجلو البصر ويحد النظر ويفتح السدد ويشهى الطعام وقد

استعملوا أمر المساويك الاراك والسكر وأصول السوس وعود المحلب وعروق الاذخر وعقد العاقر قرحا وكلما أغربوا في اتخاذ ذلك كان أكمل لظرفهم وأبلغ في معانى وصفهم وللمساويك أوقات معلومات ومواضع محدودات لاتستعمل في غير أوقاتها ولا يتجاوز بها عن ساعاتها فجائز استعمالها بالغدوات والعشيات وأوقات الظهيرات وقبل الغداة وبعد الصلاة وعلى الريق وعند النوم وفي نهار الصوم ولا يجوز السواك عندهم في مواطن شتى منها الخلاء والحمام وقارعة الطريق ومحفل الناس ولا يستاك أحدهم وهو قائم ولا متكئ ولا نائم ولا حيث يراه أحد ولا يستاك ويتكلم والسواك في الخلاء والحمام من فعل السفلة والعوام وهو أيضا يرخى اللثة ويغير النكهة وليس ذلك عندهم من فعل الادباء ولا من فعل ذوى المروة والظرفاء وقد اتخذ أهل الظرف للمساويك طسوتا لطافا وأباريق الشبه الخفاف وكراسى الآبنوس المصدفة والخيزران المشبكة والاحقاق المخروطة والمسواكدانات المدهونة والسنونات المعمولة ووقتوا له الاوقات المعلومة التى جعلوها كالفرائض المكتوبة والسنن المفروضة يتأهبون لوقته ولا يستعملون رأس المسواك مدة طويلة وذلك عندهم من الافعال الذليلة ويتخذون لها اللفائف الخز وعصائب القز ليصونوها بذلك عن الدنس ويوقوها من الغبار والنجس وقد تهادى ايضا اهل الظرف المساويك وأقاموها مقام الرهينة والتذكرة والوديعة والقبلة كما فعلوا باللبان الممضوغ والتفاح المعضوض وقال العباس بن الاحنف

طال ليلى بجانب الميدان — مع جوارى المهدى والخيزران
ارسلت باللبان قد مضغته — بين تفاحتين في ريحان
وبمسواكها الذى اختاره اللـــه لفيها من طيب الاغصان
فكأنى وجدت ريحا من الفردو — س فاحت من ريح ذاك اللبان

وقال ايضا

ولما وهبتم خاتما فرددته — لمعرفتى ان الخواتيم تقطع
فاهدى سواكا مس فاك فانه — يسكن نارا في جوى القلب تلذع

وقال بشار بن برد العقيلي يذكر ذلك ايضا

تسوكت لى بمسواك لتعلمنى — ماطعم فيها وما همت باصلاح
لما أتانى على المسواك ريقتها — مثلوجة كزلال الماء بالراح
قبلت مامس فاها ثم قلت له — ياليتنى كنت ذا المسواك ياصاح

وقال أيضا

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر ... الا شهادات أطراف المساويك
ان الذى راح مغبوطا بنعمته ... كف تمسك أو كف يعاطيك
ولو وهبت لنا يوما نعيش به ... أحييت نفسا وكانت من مساعيك
يا رحمة الله حلى في منازلنـا ... حسبي برائحة الفردوس من فيك

وقال ايضا

يطيب مسواكها من طيب نكهتها ... وان ألم بجلد جلدها طاب

وقال آخر

وبراقة تفتر عن متبسم ... كنور الاقاحى طيب المتذوق
اذا مضغت بعد امتناع من الضحا ... أنابيب عيدان الاراك المخلق
سقت شعب المسواك ماء غمامة ... فضيضا بممزوج العقار المصفق

وقال جرير

ما استوصف الناس من شئ يرزقهم ... الا أرى أم نوح فوق ماوصفوا
كأنها مزنة غراء رائحة ... أو درة لا يوارى لونها الصدف
مكسورة الثدى في لب يزينها ... وفي المناصب من أنيابها عجف
تسقى غمام ندى المسواك ريقتها ... كما تضمن ماء المزنة الرصف

وقال الفرزدق

دعون بقضبان الاراك التى جنى ... لها الركب من نعمان أيام عرفوا
فمجن به عذب الرضاب عذابه ... رقاق وأعلى حيث ركبن أعجف

وقال ذو الرمة

جرى الاسحل الاحوى بطفل مطرف ... على الغر من أنيابها فهى نصع

وقال آخر

نظرت بعيـنى شادن وتبسـمت ... بظمياء عن غر لهن غروب
جرى الاسحل الاحوى عليهن أو جرى ... عليهن من ماء الاراك قضيب

وقال جرير

يجرى السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام
إقرا السلام على سعاد وقل لها ... يوما ترد رسولنا بسلام

وقال أيضا

ان الشقاء وان ضنت بنائلها ... ورع البشام الذى تجلو به البردا
ما في فؤادك من داء يخامره ... الا التى لو رآها راهب سجدا

وقال جميل بن معمر

بثغر قد سقين المسك منه ... مساويك البشام ومن غروب
ومن مجرى غوارب أقحوان ... شتيت النبت في عام خصيب

وقال آخر

وغادين بالقضبان كل مفلج ... به الظلم لم يفلل لهن غروب
رضابا كطعم الشهد يجلو متونه ... من الايك أوغض البشام قضيب
أولئك لولاهن ما سقت نضوة ... ولا قابلتنى في البلاد جنوب

وقال أيضا

اذا الريح من نحو الشمال تنسمت ... وجدت لرياها على كبدى بردا
تخيرت من نعمان عود أراكة ... لهند ولكن من يبلغه هندا

وانشدنى ابو على الحسن بن عليل العنزى قال أنشدنى الزبير بن بكار قال أنشدنى أبو مسلم الكلابى لمهدى بن الملوح الكلابى

تبيت ليلى وقد كنا نبخلها ... قالت سقى الله ذاك المربع الجدبا
ياحبذا را كبا كنا نهش له ... يهدى لنا من أراك الموسى القضبا

وقال القطامى

منعمة تجلو بخوط أراكة ... ذرى برد عذب شتيت المناصب
كأن فضيضا من غريض غمامة ... على ظمأ جادت به أم غالب
لمستهلك قدكاد من شدة الهوى ... يموت ومن طول العداة الكواذب

وقال بعض الاعراب وتروى للأميلس

منعمة هيفاء عجزاء خدلة ... تمس مثانى شعرها قضبا خزلا
وتجلو بمسواك الاراك مفلجا ... عذاب الثنايا لاقصارا ولا ثعلا

وقال العطوى

عند كن الفؤاد والقلب رهن ... في يدى ذات دملج ووشاح
وثنايا رقيقة كغدير ... من مدام وروضة من أقاح

فساويكها بها كل يوم في رياض من اصطباح الراح

وقال على بن الجهم

حجوا مواليك يابرهان واعتمروا وقد أتتك الهدايا من مواليك
فاتحفيني مما اتحفوك به ولا تكن تحفتى غير المساويك
ولست أرضاه حتى ترسلين به مما جلا الثغر اوماجال في فيك

ولابى الطيب في ذلك

شهيدى على طيب اللثات وريقها أنابيب عيدان الاراك المفرع
كان حباب الريق حين تمجه على شعب المسواك غير ممزع
رشاش ذكى المسك شيب بعنبر أوالراح من صفو العقار المشعشع

وقال مروان بن أبى حفصة

شفاء الصدى ماء المساويك والذى أجتنى الريق من حمل ينازلها طفل
فيا حبذا ذاك السواك وحبذا به البرد العذب الغريض الذى يجلو

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول

واذا سألتك بعض ريقك قلت لى أخشى عقوبة مالك الاملاك
أيجوز عندك أن يكون متيم يهواك عندك دون عود أراك
ماذا عليك جعلت قبلك في الثرى من أن أكون خليفة المسواك

وهذا باب تطنب فيه الشعراء ويتسع لها القول في ذكره وقد مضى من بعضه ما أغنى عن شرح كله وانا أصف لك جملة من جميل مناقبهم وما يؤثر من حسن مذاهبهم ان شاء الله تعالى

باب صفة ذوى التظرف

ومباينتهم لذوى التكلف

اعلم ان من كمال أدب الادباء وحسن تظرف الظرفاء صبرهم على ماتولدت به المكارم واجتنابهم لخسيس المآثم وأخذهم بالشيم السنية والاخلاق الرضية وأنهم لايداخلون أحدا في حديثه ولا يتطلعون على قار في كتابه ولا يقطعون على متكلم كلامه ولا يستمعون على مسر سره ولا يسئلون عما ورى عنهم علمه ولا يتكلمون فيما حجب عنهم فهمه يتسرعون الى الامور الجليلة ويتبطؤن عند الاشياء الرذيلة فهم أمراء مجالسهم

بهم يفتح عسر الاغلاق وبهم يتألف متنافر الاخلاق تسمو اليهم الآماق وتثنى عليهم الاعناق ولا يطمع في عيبهم العائب ولا يقدر على مثالبهم الطالب ألا ترى انهم لا يتنجعون ولا يتبصقون ولا يتثاءبون ولا يستنثرون ولا يتجشؤن ولا يتمطون وذلك عيب عند الظرفاء مكروه عند العلماء وفيه حديث مأثور حدثنيه عبيد بن شريك قال حدثنا ابن أبي مريم قال أخبرني يحيى بن أيوب قال أخبرني ابن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب وان أحدكم اذا قال هاها فان ذلك الشيطان يضحك في جوفه والظرفاء لا يتثاءبون ولا يتمطون ولا يوقعون أكفهم ولا يشبكون أصابعهم ولا يمدون أرجلهم ولا يحكون أجسادهم ولا يمسون آنافهم خاصة اذا كان أحدهم بين يدى خليله أو ربيطه أو حبيبه أو من يحتشمه ومن يكرمه ولا يدخل أحدهم الخلاء من حيث يراه أحد ولا يبول بين يدى أحد وليس من زيهم الاقعاء في الجلسة ولا السرعة في المشية ولا الالتفات في طريق قصدوه ولا الرجوع في طريق سلكوه ولا ينفضون الغبار عن أرجلهم في المواضع المكنوسة ولا يستريحون في الاماكن المرشوشة ولا يجلسون في مجلس فينتقلون منه ولا يقعدون بحيث يقسامون عنه ولا يشربون ماء الاحباب ولا المساء في دكاكين الشراب ولا ماء المساجد والسبيل وذلك مشنى عند ذوى العقول ولا يدخلون دكان هراس ولا دكان رواس ولا يجتازون بدكان مراق ولا يأكلون شيأ مما يتخذ في الاسواق ولا يأكلون على قارعة الطريق ولا في مسجد ولا في سوق وفي ذلك حديث مأثور وخبر مشهور حدثنيه أحمد بن الهيثم المعدل قال حدثنى سهل بن نصر واسحاق ابن المنذر قالا حدثنا محمد بن الفرات قال حدثنى سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الانصارى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الاكل في السوق دناءة والظريف لا يأخذ شعره في دكان حجام ولا يدخل بغير مئزر الى الحمام وقد حدثنى أحمد بن محمد بن غالب صاحب الخليل قال حدثنى أحمد بن عبد الله بن هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال النظر في مرآة الحجام دناءة وحدثنا أحمد بن محمد بن غالب قال حدثنا اسماعيل بن محمد بن راشد بن سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال من قلة مروة الرجل نظره في مرآة الحجام واطلاعه في بيت الحائك وقد ينبغى للظريف أن يدخل الحمام على خلوة لئلا ينظر فيه الى سوءة ولا يمد عينه الى أحد ولا يعلق ثوبه على وتد ولا يدلى رجله في البئر التي ينصب اليها الماء فان ذلك مما يفعله الادنياء ولا

يدلك يديه بخرقة فان ذلك مما يستعمله السخفاء ولا يتمرغ على حرارة أرض الحمام فان ذلك ممـا يفعله سفلة العوام بل ينبغي له أن يدخـله متزرا ويقعد فيه معتزلا ولا يقعد مستوفزا على رجله فان ذلك طعن على عقله ولا يميل مضطجعا بل ينتصب متربعا حتى اذا نضب العرق من بدنه وتحدر على جسده وكان عرقه بين الكثير والقليل نشفه عن بدنه بمنديل ثم دعا لرأسه بالغسول والاشنان المنخول فان كان من أهل المروات والنعم وأهل البيوتات والقدر ممن لاينسب في فعله الى شيء ليس من شكله فليبتدىء دخوله الحمام بالامساك عن الكلام والتجرع من المـاء الحار ثلاث جرع وليقعد للعرق فوق نطع حتى اذا عرق سلت بدنه وجمع عرقه فوزنه وهذا الفعل لايصلح الا لذوى نعمة أو شريف أو متأدب فيلسوف واما ســائر الناس من أهل الظرف فانهم ينسبون بهذا الفعل الى السخف ولا ينبغي لظريف أن يمشى بلا سراويل ولا يتزر بمنديل ولايمشى محلول الازار ولا مسبل الازار ولايماكس في الشرى ولا يركب حمار الكرى ولاينزل في خراب ولا يقبض على كتاب ولا يشارط صانعا ولايصاحب وضيعا ولايشاتم رفيقا ولايغتاب أحدا ولا يذكر بسوء أخا ولا ينم بسريرة ولا يظهر خبيئة ولا يخون عهدا ولا يخلف وعدا ولا يضرب بين اثنين ولا يفســد بين خليلين ولا يسعى الى سلطان ولايغمز بانسان ولا يهتك حرمة ولا يتعرض لسرقة ولا يتحلى بالكذب ولايستهدف للريب ولايجاهر بالزنى ولاينطق بالخنى ولا يفسد حرمة الاخ الصديق ولاحرمة الجار اللزيق وأجود مافي هذا المعنى قول الاحوص بن محمد الانصارى

قالت وقلت تحرجى وصلى   حبـل امرىء بوصالكم صب
صاحب اذا بعلى فقلت لهـا   الغدر منى ليس من شـعبى
ثنتـان لا أدنو لوصلهما   عرس الخليـل وجارة الجنب
أما الخليـل فلست مخالفـه   والجـار أوصـانى به ربى

ومن تكامل ظرف الظريف ظهور بزته وظهور طيب رائحته ونقاء درنه ونظافة بدنه ولا يتسخ له ثوب ولا يدرن له جيب ولاينفتق له ذيل ولايرى في دخاريصه ميل ولا في سراويله ثقب ولا يطول له ظفر ولا يكثر له شعر ولا يفوح لابطه دفر ولا لبدنه غمر ولا يسيل له أنف ولا يسود له كف ولا يظهر له شقاق ولا يرشش له بصاق ولا يقف في مأقه رمد ولا صواره زبد ومن زيهم في مصاحبة الاوداء ومعـاشرة الاخلاء حفظ العهود وانجاز الوعود والدوام على الوفاء وقلة الرغبة في الجفاء وحسن

المؤاتاة لاودائهم والمساعدة لاخلائهم والبشر بمن لقوا والتفقد لمن فقدوا والمساعفة بابدانهم والمعونة باموالهم وتخفيف المؤن على اخوانهم وكف الاذى عن جيرانهم والصفح عن المسيء لهم عند اساءته ومقابلة المحسن باحسانه والترحيب بالصغير والتبجيل بالكبير وقد حدثني محمد بن يونس القيسي قال حدثنا يزيد بن بيان قال حدثنا أبو الرجال عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن شاب أكرم شيخا عند سنه الا قيض الله له من يكرمه عند سنه وقد يجب أيضا على أهل المروة مثل الذى يجب على أهل الظرف والفتوة والادب لانهما ليسا بالالذاذة والقصف ولا بالمفاخرة والحسب وانما هما بكمال المروة والادب ولن يعرف الفتى جميل مواهب الفتوة الا بسلوك طرائق المروة وقد ذكرت الفتوة عند بعض العلماء فقال ان الفتوة ليست بالفسق والفجور ولكنها طعام موضوع وأذى مرفوع ونائل مبذول وبشر مقبول وعفاف معروف واجتناب للقبيح وأدب ظاهر وخلق طاهر وترك مجالسة أهل الشرور والسمو الى معالى الامور والاحسان الى من أساء ومكافأة من أحسن وقضاء حوائج الناس فهذه جملة من زيهم في حسن مناقبهم ومستحسن جميل مذاهبهم ولهم أيضا رقة الطبع والتلطف في كل الامور والمداراة والتملق والتأني والترفق ومن ذلك قولهم من حب طب أى رفق ودارى ومن ذلك سمى الطبيب طبيبا لترفقه ومداراته والعرب تقول هو طب بالامور أى عالم رفيق قال عمر بن أبي ربيعة

فأتتها طبة عالمة ... تخلط الجد مرارا باللعب

ترفع الصوت اذا لانت لها ... وتراخى عند سورات الغضب

ولهم حسن التأني فيما يريدونه ولطيف الحيل فيما يحاولونه وخفي التلطف لما يطالبونه حوائجهم سرية وسرائرهم مخفية وأمورهم باطنة وحيلهم لطيفة يوردون الامور مواردها ويصدرونها مصادرها ولهم فيما استحسنوا من الهدايا بينهم والبر والملاطفة والمكاتبة والتحفة من غيرهم مايستصغر ومن ذلك انهم ربما أهدوا الاترجة الواحدة والتفاحة الواحدة والدستبويه اللطيفة والشمامة اللطيفة والغصن من الريحان والطاقة من النرجس والرطل من الشراب والقطعة من العود والمخزنة من الطيب والشيء اليسير والوهط الصغير ونظير ذلك من الاشياء القليلة الحقيرة والذليلة التي لا قدر لها عند ذوى العقول فيستكثر ذلك منهم ويلقى بالقبول وتستحسن هداياهم وتستظرف ويفرح بها وتستطرف ورغبة غيرهم من الناس في الاشياء الجليلة والهدايا النبيلة والطرف السرية والتحف

السنية غير أهل الظرف فانهم اقتصروا على اللطف اللطيف والبر الخفيف * ومن ذلك كتبهم الملاح وألفاظهم الصحاح التى يستعطفون بها القلوب ويسترون بها العيوب ويستقيلون بها العثرات ويستدركون بها الهفوات التى قد استخلصوها من بديع الحرير الصينى ومليح الملحم النيسابورى وصفيق الدبيقى الخفى ونقى التاختج والقوهى * وتغلغلوا الي الكتاب في ذلك بالذهب والمسك والزعفران والسك واتخذوا لها طرائف المناديل الرقاق وجياد الزنانير الدقاق وطيبوها بالمسك والذرائر وعنونوها بتظرفات الامثال والنوادر وختموها بالغالية المستمسكة وطبعوها بنتف الالفاظ المهلكة وقد ضمنت من مليح المكاتبة وطرائف المعاتبة وجميل المطالبة وشكيل المداعبة ما يقربون به البعيد ويهونون به الشديد وقد بينت ذلك أحسن البيان وشرحته باخص المعانى ووصفت ما يتوصلون به من الرسائل وما يضمنونه كتبهم من الرسائل في كتاب مفرد وكلام مجرد ترجمته كتاب فرح المهج وجعلت مافيه ذريعة الى الفرج فاغنى عن تطويل هذا الباب ما مر في ذلك الكتاب وأنا أصف لك أيضاً في كتابنا هذا جملة ما استحسنوه بينهم من المكاتبة وما استعملوه بينهم من المعاتبة وأقصد في ذلك الى مداعبة الكتاب ومعاتبة الاحباب وما تعاتبوا به من الابيات واختاروه من المقطعات وماذكروا على العنوانات من الكلام وما ضمنوه في كتبهم من السلام على غير نقص منى لكل ما في ذلك من الاشعار اذ كان قصدى في كل أبواب الكتاب الى الاختصار وبالله أستعين وأستكفى واياه أسترشد وأستهدى

باب ما اختير من ألفاظ الادباء
في المكاتبات
واستحسن من الظرفاء من مليح المعاتبات

أخبرنى الوضاح بن ثابت الكاتب قال كنت عند بعض الكتاب اذ دخلت عليه وصيفة كانها قمر تثنى في مشيتها كانها جان أو كانها غصن بان ريان حتى وقفت بين يديه فقالت مولاتى تقرأ عليك السلام وتقول لك يا أخى جفوتنا من غير استحقاق للجفاء وملت الى غير مذاهب الظرفاء واني لم أزل واثقة باخائك راجية لحسن وفائك وتحقيق ظن مؤملك أولى بك من الوقوف على تجنيك * فقال لها اقرئى عليها السلام وقولى لها ياأختى أنا من ودك على أحسن عهدك ومن الامل لك على اضعاف ما عندك ولقد

استوحشنا من فقدك فاجعلي لنا حظا من أنسك * فسألته عنها فقال جارية على بن الجهم * وأخبرنى محمد بن أبراهيم الهمدانى قال أخبرنى مولى لمحمد بن عبد الله بن طاهر قال قرأت رقعة لمولاى الى بعض اخوانه* يا أخى مددت يدا الى المودة مبتدئا فشكرناك وشفعت لك بشئ من الجفاء فعذرناك والرجوع الى محمود الوداد أولى بك من المقام على مكروه الصد * وكتب بعض الظرفاء الى صديق له * أيدك الله بوفاء الادب من النزع الى الجفاء وجعل آخر سخطك موصول باول الرضاء * وكتب بعض الادباء الى صديق له يستعتبه على جفاء كان منه * ليس من تدبير من شملته أبهة الحكم وسمت به معالى الهمم أن يعطف على عهود صديق بعقوق ولا تضمحل واجبات الحقوق ولا تغيره نوب أيامه عن رعاية ذمامه والسلام * وكتب آخر الى صديق له * بدأتنا بمودة عن غير خبرة وهجرتنا من غير سبب يوجب طول الهجرة وقد أطمعنا أولك في اخائك وآيسنا آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء كشف باليقين من الرأى عن غير سمة الشكوك في أمرنا فأقنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام وكتب سعيد بن حميد الى بعض الكتاب * بلغنى حسن محضرك فغير بديع من فضلك ولا غريب عندى من برك بل قليل اتصل بكثير وصغير لحق بكبير حتى اجتمع في قلب قد وطن لمودتك وعنق قد ذلت لطاعتك وليس أكبر سؤلها وأعظم أربها الا طول عمر بقاء النعمة عليك والسلام * وكتب بعض الكتاب الى صديق له * ما زال ما أحمد من عواقب رأيك وأشبه من وفائك حتى وثق في ضميرى من مودتك ما استنجدنى لطاعتك واستوى على من موافقتك ماسهل على سبيل عتبك فما أسلك بغلبة الهوى طريقا الا الى رضاك ولا أستعين بهواك منك عليك الا كان عونا على لك ولنعم المستعبد لى أنت على المحامد واكتساب سنا الفوائد ولذلك أقول

على رقيب من هواك يقودنى ... اليك على الحالات في السخط والرضى
وليس هواى حيث لا يستحقه ... ولكن هواى حيث كان لك الهوى
لسانى رهين بالذى أنت فاعل ... ورأيى موصول بما كنهه ترى
وما زلت لى عونا برأى موفق ... على صلة القربى بهدى أولى النهى

وكتب الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الملك * سرورى أعارنى الله حياتك اذا رأيتك كوحشتى لك اذا لم أرك وحفظى لك في مغيبك كمودتى لك في مشهدك وأنى لصافي الاديم غير نغل ولا متغير فامنحنى من مودتك مزن لذاذة مشربك وكن لى كانا

فوالله ماعجت عن نا حيتك الا وأنا محنى الضلوع اليك والسلام * فكتب اليه محمد ياأخي مازلت عن مودتك ولاحلت عن اخوتك ولا استبطأت نفسى لك ولااستزدتها في محبتك وان شخصك لماثل نصب طرفي ولقل مايخلو من ذكرك قلبي ولله در الذي يقول

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
يذكرنيك الشوق حتى كأنني أناجيك من قرب وان لم تكن قربي

وكتب بعض الكتاب الى صديق له تبين منه جفوة سيدي ألزمتني الخضوع وحرمت على الهجوع وضرمت نارا بين الضلوع فتركتني فيك لائذا بالعدو وممنوعا من السلو منخفضا من العلو بمنزلة من خان ودا أو نقض عهدا أو أخلف وعدا أو أظهر صدا أو جحد يدا أو كفر عارفة أو غمط نعمة سالفة سيدي لما اشتغلت بك النفس القلقة والعين الارقة حلت عن محمود الوفاء وزلت عن غير ذنب يوجب عقوبة المجترم وغير سبب يقدح في مودة العبد المهتضم الذي توقعه جريرته وتوبقه خطيئته وتحل به اساءته وتلزمه هفواته سيدي أوقعني يسير جفائك واعراض لحظاتك في بحار هموم غريقها غريق صبابة وغموم أخاطبك بلسان يعجز عن المخاطبة وأكاتبك بيد لاتجرى الى المكاتبة وأناجيك بضمير الهيبة المشاهد لك في الغيبة مناجاة مغرم وصريع تجلد وحليف تلدد سيدي كل عذاب ووجد جديد وسقام عتيد فهو في محبتك والدوام على مودتك يسير فاما السبيل الى وجه السرور فمتعذرة والخلاص في طرق السلامة الى الراحة فمستوعرة قد غلب الظمأ وبعد المورد وقل العزاء وفقد الصبر وانحلت العزيمة وبطل الرأى وثبت الهوى فتمكن في الحشاء فلا محيص لعبدك عنك ولا بد له في حالة السخط والرضى منك سيدي الرجوع الى محمود الشيمة أشبه من العود بالفضل والتطول بالوصل أولي بالمولى من الوقوف على الصد الذى يقدح في النية ويزيل عقد الطوية وشفيعى اليك الذي أرجو نجاح الشفاعة خضوعى لك واعتصامى بك وانحطاطى في طاعتك ووقوفي بين يديك مستكينا متحيرا معترفا فان ذلك أبلغ شفيع وأنت فيما تراه في أمرى أكرم مولى في كل حال فانه يتوقع جواب كتابه بما يسكن اليه وتتجدد به النعمة عليه فحقق تأميله وأكرم صفده وأقم أوده وعد في جفائه الى دوام صفائه والسلام

باب ماضمنوه كتبهم من الاشعار وتكاتب به ذوو الظرف والاخطار

أنشدني بعض الادباء

هـذا كتاب متيم خطت اليك أنامله
مزج المداد بدمعه فبكت عليه عواذله
أنت الطبيب فداؤه يامبتليـه وقاتله

وقال آخر

هذا كتاب فتى له همم عطفت اليك رجاءه هممه
غل الزمان يدى عزيمته ورمى به من حالق قدمه
أفضى اليـك بسره قلم لو كان يعقله بكى قلمه

وقال آخر

هذا كتابي بدمع عيني أملاه قلبي على بنـانى
الى غزال كنيت عنـه يجل عن اسمه لسانى

وقال آخر

هذا كتاب أخي هوى وصبابة لايستطيع لمـا به كتمانا
لاق الدواة بعبرة مسفوحة كانت لمضمر لاعج عنـوانا
قرح الفؤاد تعـوده أشجانه لمـا به يجل الطبيب وخانا

وقال آخر

هـذا كتاب متيم يشكو الصبابة في كتابه
فاردد عليـه جوابه كى يسـتريح الى جوابه
لو كان ينطق ذا الكتا ب شكا اليك عظيم مابه

وقال آخر

هذا كتاب فتى شكا سقما ألف السهاد فشفه سقمه
يبكي عليه جفون مقلته عدد الحروف وقد بكى قلمه
لولا مراقبة العدو ومن أضحى من الرقباء يتهمه
لبكى علانية وقال لهـم برح الخفاء وباح مكتتمه

وقال آخر

هذا كتابي اليك أشكو ان لم تجد لي فما احتيالى
كتبت أشكو اليك مابي مما أقاسي فما تبـالى
ياحسن الوجه كن شفيعي اليـك ان لم أبح بحـالى
ماذكر القلب منك شيأ الا تمثلت لي حيـالى

وقال آخر

هذا كتاب فتى لغيبك حافظ صب بذكرك مستهام مدنف

ان غبت آنس طرفه بدموعه　　واذا أصابك طرفه لم يطرف

وقال آخر

هذا كتاب أخي هوى مشتاق　　قرح الجفون بدمعه المهراق
أملى هواه على بنان يمينه　　فابان كيف مصارع العشاق
وكأنه ينبي بما في نفسه　　من طول شوق واكتئاب باق

وقال آخر

هذا كتاب متيم مشتاق　　يشكو الى مستظرف ذواق
أهدى له الهجران بعد تواصل　　وكذاك فعل الخائن المذاق
ماهكذا فعل الكرام فاجملى　　وتحرجى ان تنقضى ميثاقى
وارثى لصب هائم قد شفه　　طول التحيب وشدة الاقلاق

وأنشدنى ابراهيم بن محمد لنفسه .

هذا كتاب متيم في قلبه　　نار تضرم بكرة وأصيلا
فاذا قرأت كتابه فاجعل له　　بعد الصدود الى الوصال سبيلا
فلقد تركت فؤاده في غمرة　　وتركت في الاحشاء منه غليلا
ولقد تبرم بالحياة وطولها　　وعسى مداه أن يكون قليلا
لاتغرين به رداه وحينه　　حاشاك أن تردى يداك قتيلا
حاشاك من قلق أطار رقاده　　فابى الرقاد فما يلذ مقيلا

وأنشدنى أيضا لنفسه

هذا كتابى اليك فاقرأ　　كتاب ذى صبوة عميد
أقلقه شوقه المعنى　　وهده لوعة الصدود
لكنه في الظلام يبكى　　بكاء ذى الفقد للفقيد
ان كنت غضبان فارض عنى　　رضى الموالى عن العبيد

ولابى الطيب في هذا المعنى

هذا كتابى اليك فاقرأ　　كتاب من شفه السقام
وارث لسقمى وطول صبرى　　فقد وهت منى العظام
ولا ترد قتلتى وهجرى　　فقتل حلف الهوى حرام

وقال آخر

أثر المحو في سطور كتابى　　شاهد لى بعبرة وانتحاب
وبكائى يدل أنى سقيم　　خاضع للهوى طويل العذاب
أنا بين الرجاء واليأس وقف　　لست أدرى بما يكون جوابى

فاذا اشتقت ان أراك أنادى ... فرج الله لى من الحجاب

وقال آخر
غضبت لمحو في الكتاب كثير ... قالت أراد خيانتى وغرورى
كتب الكتاب على خلاف ضميره ... والمحو فيه لملة التغيير
ما كان دمعى للغرور وظنكم ... كلا ولا للسهو والتقصير
كتبت يمينى والدموع هواطل ... حذر الفراق لما يجن ضميرى
فالمحو من قبل الدموع وانما ... تجرى دموع العاشق المهجور

وقال آخر
مازلت أبكى وفي يدى قلم ... حتى استهلت مدامع القلم
أكتم وجدى والدمع يظهره ... بوا كف كالجمان منسجم
مازلت خلوا من الهوى فلقد ... عذبنى من هويت بالسقم
ياسيدا تاه مايكلمنى ... نمت وعين الشجى لم تنم
أنا قتيل الهوى وميته ... لاعذب الله قاتلى بدمى

وقال آخر
انى رفعت اليك قصة عاشق ... ورجوت عدلك فانظرى في قصتى
ولقد كتبت ودمع عينى ساكب ... فاذا قرأت فاحسنى وتثبتى
ان الدموع تفجرت فتحدرت ... منها فنون في صفات مودتى
لافرج الله الصبابة والهوى ... عنى ولا زالت عليك محبتى

وقال آخر
أما الرسول فقد مضى بكتاب ... ياليت شعرى ما يكون جوابى
وتعجلت روحى الظنون وأشربت ... طمع الحريص وخشية المرتاب

وقال آخر
أسأل الله خير هذا الكتاب ... قد أتانى برحمة وعذاب
أشتهى فكه فأفرق منه ... ففؤادى مفرق الاسباب

وقال آخر
كتاب صب بدمع عين ... يمله قلبه الكئيب
يكتبه كفه بضعف ... ومالها في الهوى نصيب

وقال آخر
أما الكتاب فقد مضى وأمامه ... خوف الرقيب وسطوة الحجاب
طلب الجواب فاحسنوا في ودكم ... لاتبخلوا عنى برد جواب
هل تنقذون متيما ذا صبوة ... أضحى أسير تذكر وتصابى
جودوا عليه برحمة وتعطف ... فلقد أطلتم بالصدود عذابى
أما الكتاب فمن كئيب عاشق ... كلف الفؤاد مواصل الاوصاب

لكنه عاد الى ذى سلوة　　متعتب في غير كنه عتاب

وقال آخر

لولا الكتاب الذى جاء الرسول به　　من الحبيب لذاب القلب واحترقا
جاء الرسول على يأس بموعده　　وقد قضيت فاحيي لى به رمقا

وقال آخر

صليني بالكتاب وبالسلام　　وزورى زورة في كل عام
وجودى بالكتاب وعنونيه　　الى الصب الكئيب المستهام
من الشمس المنيرة يوم دجن　　وبدر لاح من بين الغمام
وناحلة فديتك يامنـاى　　أمانا للفؤاد من الغرام

وقال آخر

كتبت الى ياروحى كتابا　　فوافق منيتى وبلوغ سولى
ولولا العيب همت اليك لما　　تناولت الكتاب من الرسول
مخافة نظرة من عين واش　　وتشنيع المقالة بالخليل

وقال آخر

لم يزدنى الكتاب الا اشتياقا　　واشتعالا من الهوى في ضميرى
بأبى أنت يا حبيبة قلبى　　ومناى وغايتى وسرورى

وأنشدنى أبو عبد الله الواسطى لنفسه

كتبت الى تذكر ما تلاقى　　من الشوق المبرح والفراق
لعمرك ما اتهمتك في وداد　　ولكن لم تلاق كما الاقى
فؤادى هائم والعين تذرى　　دموعا تستهل من المآقى
وقد ذقت الفراق وكان مرا　　كريها طعمه عند المذاق
على أنى وان أبديت صبرا　　على حد الصبابة غير باق

وقال آخر

قولا لمن كتب الكتاب بكفه　　ارحم فديتك ذلتى وخضوعى
مازلت أبكى مذ قرأت كتابها　　حتى محوت سطوره بدموعى

وقال آخر

الدمع يمحو ويدى تكتب　　عن الهوى وامتنع المطلب
أمار خدى قمر زاهر　　اليه من زهرته المذهب
لقد برانى سقم قاتل　　وهد جسمى دنف منصب

وقال الحسين بن وهب

يا منادى وسرورى جهدنا غير يسير .
والذى نشكوه فى الكتـــب قليل من كثير
لم تطق ألسننا من وصفه عشر عشير
فتـقى يا بأبى أنـــت بمكنون الضمير
ثم قولى مطلع الجو زاء والشعرى العبور
حفظ الله فتى با ت لها خير سمير

ولبعض المحدثين

من الوهم من آثار قبر مسنم وهام ثرى قبر القتيل المتيم
ومن طلل للشوق لم يعفه البلى وثؤى وفاء ليس بالمتهدم
الى زينة الدنيا ومنية أهلها وأحسن من يزهو بطرف ومبسم
وأملح خلق الله قدا وصورة ودلا وادلالا على حب مغرم
سلام على من شفنى وأذابنى وأسكن قلبى كل وجد ومألم
ووكلنى بالنجم أرعى أفوله وأندبه بالدمع طورا وبالدم
وأحمد من أبلى شبابى بحبكم على البؤس والسراء حين التنعم
وبعد فقدوا الله ياسول عبدها ومولاتها انضجت أحشائى فاعلمى

ومما ضمنوه كتبهم من السلام

وجعلوه تلوا للشعر والنظام

عليك سلام لاسلام مودع ولكن سلام لم يكن آخر العهد
سلام محب خانه حسن صبره فاصبح فى كرب الحياة وفى جهد
آخر عليك سلام الله ما هبت الصبا وماقرقر القمرى فى ورق السدر
سلام سقيم مدنف القلب مقرح مشوم عليل مشعل القلب بالجمر
آخر عليك سـلام الله ما لاح كوكب بأفق لسارى الليل واستوسق البدر
سلام غريب شفه الوجد والهوى وبل حشاه الهم والذكر والعسر
آخر عليك سلام الله هل أنا ميت بداء هوائيـك الشقى المقلقـل
فعيشى بخير واسلمى ليس حبكم ولا الوجد عنى ما حييت بمنجلى
آخر عليك سلام الله اما قلوبنا فمرضى واما ودنا فصحيح

نبيت بود خالص وصبابة ونغدو بحب صادق ونروح

آخر عليك سلام الله قد شطت النوى وقد كدت ألقى الله من كمد جهدا

أموت بوجد مضمر وصبابة وأزداد ان زدتم على نأيكم صدا

آخر عليك سلام الله قد مت صبوة وما لي عزاء مذ نأيت ولا صبر

أرى الصبر عنكم كاسمه مذ نأيتم فقد وجلال الله ضاق به الصدر

آخر عليك سلام الله قلبي متوق وجسمي نحيل والمدامع تذرف

ومثل الهوى أضنى الحشا وبمثل ما بليت به تبكى القلوب وتشعف

وقال آخر عليك سلام الله قدر صبابتي اليك وشوقي أنني مدنف القلب

أبيت حليف الهم والوجد والاسى رهين يد الاحزان والشوق والكرب

آخر عليك سلام الله ماحن آلف وما اشتاق ذو وجد وما طلع الفجر

سلام مشوق نحوكم متطلع أخي حسرات خانه فيكم الصبر

باب ما كتبوه على العنوانات

وسلكوا به سبيل المداعبات

الى سق ومالكتى وروحى من الجسد الطريح بغير روح

آخر الى الشمس المنيرة حين تبدو غداة الدجن من يوم الغيوم

من الصب الكئيب أخي التصابي حليف الشوق محتبس الغموم

آخر من الدنف الذي يضحى حزينا وبين ضلوعه قلب مصاب

الى الخود التي أبلت شبابي فاضحى مايسيغ لى الشراب

آخر منى الى قلبي ولم أر كاتبا يخط باقلام الى قلبه قبلى

أرى كل شيء باليا متغيرا وحبك لا يبلى ولكنه يبلى

آخر منى اليك فانى هائم دنف حاف السقام برانى الشوق والاسف

النفس ذاهبة والعقل مختلس والقلب محتبس والروح مختطف

آخر منى اليك فما وجدى بمنصرم حتى الممات وما قلبي بمعذور

ولو رأيتك يوما لانقضى حزنى وعاد عيشى صفوا بعد تكدير

آخر منى اليك فانى هائم قلق حليف هم قرين العين بالسهد

الله يعلم ما بالقلب من قلق اذا نأيت وما ألقاه من كمد

وقد مضى من هذا الباب مافيه كفاية ولو ذهبت الى تطويله لم يكن لآخره نهاية وقد أحببت أن أختم كتابنا باشياء يستحسنها الظرفاء ويميل اليها الادباء ممـا يكتب على الاقلام من النتف ومليح المقطعات والظرف وأنا ذاكر في ذلك بعض مااستحسنته وملحا مما استرققته ان شاء الله فدجمعنا في هذا الفصل أشياء من مستظرفات الاشعار ومستحسن الاخبار ومنتخل الابيات ومنتخب المقطعات ونوادر الأمثال وملح الكلام الذى يجوز كتابه على الفصوص والتفاح والقنانى والاقداح وفي ذيول الاقمصة والاعلام وطرز الاردية والكمام والقلانس والكرازن والعصـائب والتكك والوقايات وعلى المناديل والوسـائد والمخاد والمقاعد والمنـاص والحلل والاسرة والتكك والرفارف ووجوه المستنظرات وفي المجالس والايوانات وصدور البيوت والقباب وعلى الستور والابواب والنعال السندية والخفاف الزنانية وعلى الجباه والطرر وعلى الخدود بالغالية والعنبر وعلى الوطأة والوشاح وفي تفليج الاترج والتفاح وممـا يعدل به من تنضيد الورد والياسمين ويكتب على أوانى الذهب والفضة والسكاكين وقضـبان الخيزران المدهونة والمخاد الصينية والمراوح والمذاب والعيدان والمضـارب والطبول والمعازف والنايات والاقلام والدنانير والدراهم وجعلنا ذلك أبوابا مبوبة وحدودا مبينة لتقف على أصولها وتبين حسن فصولها

باب ما يكتب على الفصوص

نقش بعض الظرفاء الصوفية على خاتمه

انا لله وبالله انا انا والله مقر بالفنا

آخر قد فاز بالطاعة من نالها نعمت الطاعة عمـالها

آخر أعـددت لذنبى حسن ظنى بربى

آخر ختم الله بخير عملى وتوفانى على حب على

آخر حب على بن أبى طالب فرض على الشاهد والغائب

آخر بحب آل محمد ألقى اله محمد

آخر انا بالله قانع ان ربى لصانع

آخر انا بالله واثق ان ربى لرازق

آخر أتركانى والمعاصى وعلى الله خلاصى

آخر ما علينـا من جناح في هوى البيض الملاح
آخر أحب من يهوانى برغم من ينهانى
آخر آفة عقلى بصرى وله عقلى نظرى
آخر تحت ثيابى بدن ناحل وفي فؤادى شغل شاغل
آخر أمسيت عبدا لك لا أجحد انا مقر والهوى يشهد
آخر انا مولى لاهل هل من توالاهم عقل
يعنى هل أتى على الانسان لانها نزلت في على

ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم

القناعة خير من الضراعة التقلل خير من التذلل السـلامة خير من الندامة الاسف أهون من التكلف بادر الفرصة قبل أن تكون الغصة الهرب قبل الطلب الفرار قبل الحصار الرجوع قبل الوقوع

وفي ضرب آخر

لكل حق حقيقة ولكل زمان خليقة القصد أقرب من التعسف الكف أحرى من التكلف الموت معتـبر والسبيل محتضر الحق ينجى والبـاطل يردى النصح ملامة والتصريح سلامة الامل يلوى والشيطان يغوى لكل امرئ طريقة ولكل عامل وثيقة بطول التجارب يكشف المآرب طول الاعتبار من حسن الاختيار فوت الامل أشد من حضور الاجل

ومما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم

من كثرت لحظاته دامت حسراته من تداوى بدائه لم يصـل الى شفائه من قدم هواه دام أساه العقل عند الهوى أسير والشوق عليهما أمير اذا كثر الجفاء قل الوفاء اذا صح الظفر وقعت الغير اذا صحت القلوب اغتفرت الذنوب قل من سلا الا استفزه الهوى من منع من النظر اقتصر على الأثر من منع من الوصال قنع بالخيال

وفى ضرب آخر

الحين خير من البين القبر أفسح من الهجر الموت خير من الفوت غصص الفراق شر

من السباق كأس الهجر أمر من الصبر طول الجفاء يكدر الصفاء حسن الوفاء ركن الاخاء آفة الحبيب نظر الرقيب آفة الغزل سرعة الملل الهوى ثوب الضنى ذهب الفراق بحيلة العشاق

وفي ضرب منه آخر

حفى فلفى ألف قتلف حن فأن حظى فرضى عشق فزهق هوى فضنى صرم فظلم صد فجد صبر فقدر منع فجزع نال فاستطال باح فاستراح سلا فقلا ملك ففتك عدل فقتل عف فكف وكان الحسن بن وهب تعشق جارية يقال لها ناعم فنكس اسمها ونقش على خاتمه معان وذكر ذلك في أبيات يقول فيها .

نقشت معانا على خاتمى لكيما أعان على ظالمى
كذا اسم من هام قلبي به وأصبح في حالة الهائم
نكست الهجاء فاعلنته بطرفي ليخفى على الحازم

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يحب بعض جوارى القيان ثم تنكر لها فكتبت على خاتم لفظا تعرض له فيه بالعتاب فبلغه ذلك فكتب على خاتمه ضد ما كتبت فبلغها فمحت ما كان على خاتمها وكتبت ضد ما كتب فبلغه ذلك فمحا ما كان على خاتمه وكتب ضد ذلك في أبيات يقول فيها

كتبت على فص لخاتمها من مل من أحبابه رقدا
فكتبت في فصى ليبلغها من نام لم يشعر بمن سهدا
فمحته واكتتبت ليبلغنى مانام من يهوى ولا هجدا
فمحوته ثم اكتتبت أنا والله أول ميت كمدا
قالت يعارضنى بخاتمه والله لا كلمته أبدا

باب ماوجد على التفاح

من الالفاظ الملاح

قرأت على تفاحة مكتوبا بماء الذهب

قبل تهدونى نخطوا في سطرا من ذهب
انى أعطف من صد ليصفى ذا كرب

وعلى أخرى بالفضة

ليس شئ يتهادى مثل تفاح مكتب
خط بالفضـــة تحرير مهذب
يامنى قلبى ماترى لذى عشق معذب

وعلى أخرى
أنا للاحباب بالسر وبالوصل رسول
أتهادى فارق القلب والقلب ملول

وعلى أخرى
واذا مامرسل نم فما أنت نمومه
أنت ريحانة قلبى ثم للسر كتومه

وعلى أخرى
أنا شمامة الكريم لمجلسه
ورسول مبارك مذهب صد مؤنسه

وعلى أخرى
أشرب على حمرة تفاح يامؤنسى من باردالراح
حياك معشوق له زهرة وقينة بالعود مفصاح

وعلى أخرى
ماتحيا ببلاء الناس مد كانوا بمثلى
لى طيب وبقاء وملاحات تسلى

وعلى أخرى
لى طراوات وريح ثم ماء ونضاره
ليس للياقوت فضل كل ياقوت حجارة

وعلى أخرى
جرح الله الذى يجرح بالسكين لحمى
فلجوا حامضة اذ ى كمثل الشهد طعمى

وعلى الاخرى
أنا حمراء دعونى لمحب وحبيب
وكلوا ذات بياض أ كلها غير معيب

وعلى الاخرى
حياك انسان له رونق نوارة دانية تزهر
تفاحة حمراء منقوشة تخجل من حمرتها الجوهر

باب ماوجد على ذيول الاقمصة والاعلام
وطرز الاردية والاكمام

قال الماوردى رأيت جارية ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة لم أشك انه عاشق لها واليها مائل لما رأيت من حركاته اذا نظرت وسروره اذا نطقت وتهلله اذا غنت

وكانت فوق وصف الواصف من الحسن والجمال وعليها قميص موشح بالها ورداءمعين مكتوب في وشاح القميص

أغيب عنك بود لايغيره ... نأى المحل ولاصرف من الزمن
تعتل بالشغل عنا ماتكلمنا ... الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

وعلى طراز الرداء

أقل الناس في الدنيا سرورا ... محب قدنأى عنه الحبيب

قال ورأيت جارية لبعض الهاشميين يقال لها عريب عليها قميص ملحم موشح بالذهب مكتوب في وشاحه

وانى لاهواه مسيئا ومحسنا ... وأقضى على قلبى له بالذى يقضى
فحتى متى روح الرضى لا ينالنى ... وحتى متى أيام سخطك لا تمضى

وعلى طراز كمه

اذاصد من أهوى وأسلمنى الغرى ... ففرقة من أهوى أحر من الجمر

ورأيت على ماجن جارية مكاتم المغنية قميصا في وشاحه بالذهب

زفراتى ليس تفنى ... وفؤادى بك مضنى
أترضاك وأبدى ... لك ....نا
بأبى كم أتمنى ... والى كم أتمنى
بعد ما أصبح قلبى ... في يد الاحزان رهنا

قال ورأيت في صدر قميص جارية تباريح الكوفية مكتوبا بالفضة والذهب سطرا وسطرا

يا فتى قلت اذ دعانى هواه ... مستجيبا لصوته لبيكا
ما بكت مقلتى لفقدك الا ... جزعا أن أموت شوقا اليكا

قال ورأيت مرة أخرى عليها دراعة ملحم بترانين أبريسم ولبنة سوسنجرد وفي دور اللبنة مكتوب

يا رامياليس يدرى ماالذى فعلا ... أمسك عليك فان السهم قد قتلا
أصبت أسودقلبى اذ رميت فلا ... شلت يمينك أن صيرتنى مثلا

وكتبت بنان جارية الخيزران على ترانين دراعة لها بذهب

لم تقل قولا ولكن حلفت ... أنها أحسن عين أطرقت
زعمت أنى قد لاحظتها ... أى عين لحظت فاعترفت

أظهرت حجة من يعشقها　　واستباحت غفلة وانصرفت

وعلى طراز كمها

ليس بي صبر ولا بي جلد　　قد نفى حبك عني جلدي

وأخبرني بعض أصحابنا قال أخبرني من رأى في ذيل جارية الحسن بن قارن منسوجا في العلم

أحسن ما قد خلق الله　　وما لم يخلقه

شكوى فتاة وفتى　　يعشقها وتعشقه

نار الهوى دانية　　تحرقها وتحرقه

يا حبذا الحب اذا　　دام ودامت حرقه

وكتبت راهي جارية الاحدب قبل أن يشتريها اسحاق بن ابراهيم الموصلي على وشاح قميصها

اذا وجدت لهيب الشوق في كبدي　　أقبلت نحو سقاء القوم أبترد

هبني طفئت ببرد الماء ظاهره　　فمن لحر على الاحشاء يتقد

وكتبت جارية لقبيحة على رداء لها رشيدي

أراهم يأمرون بقطع وصلي　　مريهم في أحبتهم بذاك

فان هم طاوعوك فطاوعيهم　　وان عاصوك فاعصى من عصاك

وكتبت جارية أبي حرب على رداء لها ممسك

من ألف الحب بكى　　من شفه الشوق شكا

من غاب عنه الفه　　أو صد عنه هلكا

يا مالكا عذبني　　بجوره اذ ملكا

رفقا بمملوكك ما　　يحل ذا الظلم لكا

وكتب بعض الظرفاء على طراز مطرف خز

وهبت شمال آخر الليل قرة　　ولا ثوب الا بردها وردائيا

فما زال ثوبي طيبا من ثيابها　　الى الحول حتى أنهج الثوب باليا

وكتبت دبهسية جارية زرزور على قباء معصفر

وما البدر المنير اذا تجلى　　هدوا حين ينزل بالعراق

بأحسن من بثينة يوم قامت　　تهادى في معصفرة رقاق

باب ما وجد على الكرازن والعصائب
ومشاد الطرر والذوائب

وكتبت علل على قلنسوة لها ديباج وهى جارية محمد بن المأمون

ما يمل الحبيب طول التجنى — لبلائى به ولا الصد عنى
كل يوم يقول لى لكذبت — يتجنى ولا يرى ذاك منى
ربما جئته لاسلفه العذ — ر لبعض الذنوب قبل التجنى

وكتبت جارية المارقى على قلنسوة لها بذهب

كتب الشوق في فؤادى كتابا — هو بالشوق والهوى مختوم
رحم الله معشرا فارقونى — لايطيعون في الهوى من يلوم
ساق طرفي الى فؤادى بلائى — ان طرفي على فؤادى مشوم

وكان على قلنسوة جارية محمد بن سعيد الفارسي مكتوبا

انا بعد القضاء سمت فؤادى — وأصبت الغداة عينى بعينى
لم تزل بى حوادث الدهر حتى — فرقت بين من أحب وبينى

وكتبت جارية الحباب على قلنسوتها

الله يحفظه على شحط النوى — ما كان أوصله الى تعذيبه

وكتبت جارية ابن السلمى على كرزنها

الشمس تطلع للمغيب ولاأرى — شوقى اليك على الزمان يغيب

وكتبت بنان الشاعرة على قلنسوة لجاريتها

ان كنت خنت ولم أضمر خيانتكم — فالله ياخذ ممن خان أو ظلما
سماحة من محب خان صاحبه — ماخان قط محب يعرف الكرما
والله لا نظرت عينى اليك ولا — سالت مساربها شوقا اليك دما

وقال الجاحظ رأيت نشوان جارية زلزل وعليها عصابة مكتوب عليها

عين مسهدة في مائها غرقت — ياليتها ذهبت لولم تكن خلقت
لم تذهب النفس الاعند لحظتها — ولا بكت بدم الا لما أرقت
يامقلة سوف أبكيها ويا كبدا — بها أحاط الهوى والشوق فاحترقت

وكان على كرزنها

الحب يعرف في وجوه ذوى الهوى بااللحظ قبل تصافح الاجفان

قال ورأيت على قلنسوة تباريح

أهل الهوى في الارض تلقاهم يمشون أحيــاء كاموات

وكتبت شادن جارية خنث قيمة جوارى المأمون على وقاية تجمع بها ذوائبها

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جثل أسحم

فكأنها فيــه نهار مشرق وكأنه ليــل عليهــا مظلم

وقال على بن الجهم حضرت مجلس بعض الظرفاء فخرجت علينا جارية كأنها تمثال وعليها عصابة قد أرسلت لها طرفين على صدرها مكتوب

من يكن صــبا وفيا فزمامي في يديه

خذ مليكي بعنــاني لا أنازعك عليــه

قال فوثبت فاخذت بطرفي العصابة وقلت أنا والله صب وأوفي خلق الله لمحب قالت انه لابد للفرس من سوط قلت ياغــلام هات السوط قالت هيهات ذاك سوط الدواب وسوط مثلي شبيه فضة وعلاقته ذهب وكان على قلنسوة زين مغنية اسماعيل

أقيم على الآصال منتظرا لها وقد أشرفت من هول ذاك على نحبي

أموت وأستحيي الهوى أن أذمه وان كنت منه في عناء وفي كرب

وقال الزبير بن بكار رأيت على قلنسوة بعض المغنيات

أدميت باللحظات وجنتها فاقتص ناظرها من القلب

وعلى عصابتها

فاذا نظرت الى محاسنها أخرجتها عطلا من الذنب

وقال الماوردى رأيت جارية لبعض ولد المأمون وعليها قلنسوة عليها مكتوب

يا تارك الجسم بلا قلب ان كان يهواك فما ذنبي

يامفردا بالحسن أفردتني منك بطول الشوق والكرب

وعلى كرزن لهــا

أنا العبد المقر بطول رق وليس عليك من عبد خلاف

قال ورأيت على جارية لاهى كرزنا مكتوبا عليه

عــذبه بالهجر مولاه وزاده شوقا وأضــناه

فدمعه يجرى على خده ولم تنم للوجــد عيناه

قد كتب الحب على قلبه　　مت كمدا يرحمك الله

وكتبت جارية لعيسى بن جعفر بن المنصور وكانت قيمة له على كرزنها

ليت النقاب على القباح محرم　　وعلى الملاح خطيئة لا تغفر

وكتبت على وقاية تجمع بها ضفائرها

جزى الله البراقع من ثياب　　عن العينين شرا مايقينا
يغطين الملاح فلا تراهم　　ويسترن القباح فيستوينا

وكتبت عارم جارية جناح على كرزنها وكانت تتعشق بعض ولد الحسن بن وهب

وانى لا اخلو مذ فقدتك دائبا　　فانقش تمثالا لوجهك في الترب
فأسقيه من دمعي وأبكي تضرعا　　اليه كما يبكى العبيد الى الرب

وكتبت ابنة الرصافية وكانت تتعشق ابن الرشيد على كرزنها

قالوا عليك سبيل الصبر قلت لهم　　هيهات أين سبيل الصبر قد ضاقا
مايرجع الطرف عنه حين يبصره　　حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

قال الفضل بن الربيع قال أبي رأيت على عصابة دبسية جارية أبي حرب

محاسن وجهك تمحو الذنوبا　　وتعمل في القلب شيئا عجيبا
فمن ثم تهجرني ظالما　　تجنى وتحصى على الذنوبا

وكتبت شمسة الطنبورية على عصابتها وكانت تغنى الرشيد

لا لصبر هجرتكم علم اللـه　　ولكن لشدة الاشتياق
رب سر شاركت فيه ضميرى　　وطواه اللسان عند التلاقى

وكان على قلنسوة شمائل جارية الماهانية

ليلى بوجهك مشرق　　وظلامه في الليل سارى
فالناس في صدف الظلا　　م ونحن في ضوء النهار

وكان على كرزن مشتاق جارية اسحاق بن على الهاشمى مكتوبا بالذهب سطران

ان كان قلبي يهوى وصل غيركم　　اذا فعاقبنى الرحمن في بصرى
أولم يكن بكم ماعشت ذا كلف　　فأنزل الله بى ياسيدى خدرى

وكان على عصابتها مكتوبا بالذهب

ما كنت الا حلما　　رأته عيني في الوسن
ياسمح الفعل ويا　　أحسن من كل حسن

باب ماوجد على الزنانير
والتكك والمناديل

قال على بن الجهم رأيت في منطقة واجد الكوفية زنارا منسوجا مكتوب فيه

لست أدرى أطال ليلى أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ولرعى النجوم كنت مخلا

ورأيت جارية في بيعة مارى مريم في دار الروميين بمدينة السلام كأنها فلقة قمر خارجة من الهيكل في وسطها زنار عليه بيتان

زنارها في خصرها يطرب وريحها من طيبها أطيب
ووجهها أحسن من حليها ولونها من لونها أعجب

وقرأت في زنار وقاية لبعض القصريات

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى وإياك لانخلو ولا نتكلم

ورأيت جارية أبلية لبعض المخنثين وقد علقت طبلا في عنقها بزنار عليه مكتوب

آوتا من بدنى كله فتت منى مفصلا مفصلا

وعلى تكتها مكتوب

غابوا فاضحى الجسم من بعدهم لاتبصر العين له فيا
واخجلتا منهم ومن قولهم اضرك البعد لنا شيا
* بأى وجه أتلقاهم اذا رأونى بعدهم حيا

وكان على تكة هاتف جارية العاجى مكتوبا

ولى عاذل قد شف قلبي بعذله وواش بنبل الحب يرمى مقاتلي
كفى حزنا والحمد لله أننى تقطع قلبي بين واش وعاذل

وكتبت خاضع المغنية على زنار كانت تشد به طرتها

ماأتيه المعشوق في نفسه وأبين الذل على العاشق

وأخبرنى من قرأ على طرفي تكة لقينة

ماأرانى حلت التكة الا لهنات *
وانما خلى للتكة انجاز العدات

وأخبرنى آخر انه قرأ على تكة لبعض المواجن

اقطع التكة حتى تذهب التكة أصلا
ثم قل للردف أهلا بك يا ردف وسهلا

وكتبت سلم جارية لمم الى فتى كانت تحبه في منديل دبيقى بالذهب

هاءنذا يسقطني للبلا عن فرشي أنفاس عوادى
لو يجد السلك على دقة خلقا لأضحى بعض حسادى

فكتبت اليه في منديل آخر

لا تسئلى كيف حالى بعد فرقتكم ها فانظرى وأجيلى طرف ممتحن
ترى بلى لم يدع منى سوى شبح لو لم أقل ها أنا للناس لم أبن

وقرأت على منديل لبعض الظرفاء وقد أدرج فيه كتابا

وانى لتغشانى لذكراك فترة كما انتفض العصفور بلله القطر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وكتب آخر على منديل

ان بعض العتاب يدعو الى العتـب ويودى به الحبيب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر الحـب فلن يعطف العتاب القلوبا

وأخبرنى من رأى على منديل ممسك لبعض الظراف

أنا مبعوث اليكم أنس مولاتى لديك
صنعتنى بيديها فامسحى بى شفتيك

وكتب آخر على منديل اهداه

انا منديل محب لم يزل ناشفا بى من دموع مقلتيه
ثم أهدانى الى محبوبة تمسح القهوة بى من شفتيه

وقرأت على منديل لبعض الظراف

ان يكن حبلك من حبلى وهى والى شوقى اليك المنتهى
لم يذكرنيك شوقى حادث انما يذكر من كان سها

وكتبت أسماء بنت غضيض جارية حمدونة ابنة المهدى على تكتها من الوجهين

جلد على أعظم دقاق مسكن أنفاسه التراقى
توقد أحشاؤه فيطفى حرقتها هاطل المآقى
لولا تسليه بالتبكى اذا جنيناه بالحراق

يارب عجل وفاء روحى قبل هجومى على الفراق

وكتبت على منديلها اليك أشكو رب ما حل بى من صد هذا العاتب المذنب

صد بلا جرم ولو قال لى لا تشرب البارد لم أشرب

وكتب آخر على منديل اهداه

أيا من لا أرجى منه رفقا ولا من رقه ما عشت عتقا

لقد أنفدت دمع العين حتى بكيت دما لفقدك ليس برقا

وكتبت عنان جارية النطاف على منديل وجهت به الى أبى نواس وكانت تحبه

أما يحسن من أحسن أن يغضب أن يرضى

أما يرضى بأن صر ت على الارض له أرضا

باب ماوجد على الستور والوسائد

والبسط والمرافق والمقاعد

وقال على بن الجهم قرأت على ستر لبعض أمهات ولد المأمون

هجرتنى كى أجاريكم بفعلكم لا تهجرينى فانى لا أجاريك

قلبى محب لكم راض بفعلكم أسترزق الله قلبا لا يجانيك

أصبحت عبدا لادنى أهل داركم وكنت فيما مضى مولى مواليك

وكتب بعض ولد المتوكل على ستره

يا أيها اللائم فيها لأصرفها أكثرت لو كان يغنى عنك اكثار

أرجع فلست مطاعا ان وشيت بها لا القلب سال ولا في حبها عار

وكتب موسى الهادى بن المهدى على ستره

يا أيها الزاعم الذى زعما أن الهوى ليس يورث السقما

لو أن ما بى بك الغداة لما لمت محبا اذا شكا المـا

وكتب بعض الظرفاء على مخدة له

يا راقد الليل ممن شفه السقم وهده قلق الاحزان والالم

جد بالوصال لمن أمسيت تملكه يا أحسن الناس من قرن الى قدم

أخبرنى من قرأ على مخدة لبعض الظرفاء

لم أذق ياسول قلبى للكرى مذغبت طعما

ترك الدمع على خــــدى لما فاض رسما

وقرأت على وسادة لبعض الكتاب

تشكى المحبــون الصبابة ليتنى تحملت مايلقون من بينهم وحدى
فكانت لروحى لذة الحب وحدها فلم يلقها قبلى محب ولا بعــدى

وأخبر بعض الكتاب أنه قرأ على بساط لبعض أهل الهوى

أحسن من قهوة وعود توريد خديك يا وحيد
نأيت عنى فذاب جسمى وهدنى الشوق والصدود
وطال سقمى لبعــد حبى وملنى الاهــل والبعيــد

وكتب بعض الظرفاء على مصلاه

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخــر عنــه ولا متقــدم
أجــد الملامة في هــواك لذيذة حبــا لذكرك فليلمــنى اللــوم
وأهنتنى فأهنــت نفسى عامــدا ما من يهون عليــك ممن أكرم
أشبهت أعــدائى فصرت أحبهــم اذ صار حظى منــك حظى منهم

وكتب سعيد بن قيس على مصلاه

سأمنع عينى أن تلذ بنظرة وأشغلها بالدمع عن كل منظر
وأشكر قلبى فيك حسن بلائه أليس به ألقاك عند التذكر

وكتب بعضهم على بساط

كتمت حبهم صــونا وتكــرمة فما درى غــير اضــمارى به وهم
قوم بذلت لهم صفــو الوداد فما جازوا عليه ولا كافوا ولا رحموا
هم علمونى البكا لا ذقت فقدهم يا ليتهم علمــونى كيف أبتسم

باب ماوجد على المناص والحجل

والاسرة والكلل

قرأت على كلة معصفرة لبعض الكتاب بالذهب

من قصر الليل اذا زرتنى أبكى وتبكين من الطــول
عــدو عينيك وشانيهما أصبح مشغولا بمشــغول

وأخبرنى بعض الظرفاء أنه قرأ على منصة لبعض المجان

تقــول وقد جــردتها من ثيابها ألست تخاف اليوم أهلك أو أهلى
فقلت كــلانا خائف بمــكانه فهل هوالا قتلك اليــوم أو قتلى

وقرأت على كلة حرير اسمانجونى بالذهب

سـهرت وعانقتها ليـلة على مثلها يحسد الحاســد
كأنا جميعا وثوب الدجا علينــا لمبصرنا واحــد

وقرأت على كلة لبعض الظرفاء

فبتنا على رغم الحسود وبيننا حديث كريح المسك شيب به الخمر
حديث لو ان الميت يوحى ببعضه لاصبح حيا بعد ما ضمه القبر

وقرأت على وجه أريكة لبعض الهاشميين

جعلت محلة البلوى فؤادى وسلطت السهاد على رقادى
دعينى لاأبوح بكل وجــدى أليس النار من طرفي زنادى
وبت خليــة وسلبت نومى اما أستحيا رقادك من سهادى

وكتب بعض الظرفاء على حجلة له معصفرة بالذهب

دعينى أمت والشمل لم يتشعب ولا تبعدى أفديك بالام والاب
سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تشرب

وأخبرنى بعض الكتاب انه قرأ على حجلة مكتوبا

نشرت على غدائرا من شعرها حذر الفضيحة والعدو الموبق
فكانه وكــأننى وكانهــا صبحان باتا تحت ليل مطبق

ودخلت على بعض الكتاب في يوم شديد الحر وهو على دكان ساج مكتوب في وجهه باللازوزد حر حب وحر هجر وحر أى شئ يكون من ذا أمر

وعلى الجانب الآخر

ثلاثة أحباب فحب علاقة وحب تملاق وحب هو القتل

وأخبرنى بعض من قرأ حول سرير لبعض الظرفاء

ومجــدولة أما مجال وشاحها فغصن وأما ردفها فكثيب
لها القمر السارى شقيق وانها تطلع أحيــانا له فيغيب
أقول لها والليل مرخ سدولها علينا بك العيش الخسيس يطيب

فقالت نعم ان لم يكن لك غيرنا ببغداد من أهل القصور حبيب

وكتب بعض الظرفاء على سرير له آبنوس بعاج

ان طيف الخيال أرق عيني مالعيني وما لطيف الخيال

جمع الله بين كل محب قد جفاه الحبيب بعد الوصال

وكتب على منصته بالذهب

ينام المسعدون ومن يلوم وتوقظني وتوقظها الهموم

صحيح بالنهار لمن يراني وليلي لا أنام ولا أنيم

باب مايكتب على المجالس والابواب

ووجوه المستنظرات وصدور القباب

قال علي بن الجهم رأيت في صدر قبة مكتوبا بألوان فصوص منضدة

لاتطمع النفس في السلو اذا أحببت حتى تذيبها كمدا

من لم يذق لوعة الصدود ولم يصبر على الذل والشقا أبدا

فذاك مستطرف الفؤاد يرى في كل يوم أحبابه جددا

وأخبرني أبو جعفر القارئ قال أخبرني بعض شيوخنا انه قرأ في صدر مجلس لامير المؤمنين المأمون

صل من هويت ودع مقالة حاسد ليس الحسود على الهوى بمساعد

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا من عاشقين على فراش واحد

متعانقين عليهما أزر الهوى متوسدين بمعصم وبساعد

يامن يلوم على الهوى أهل الهوى هل تستطيع صلاح قلب فاسد

وقرأت على وجه مستنظر لبعض الكتاب

هبت شمال فقلت من بلد انت به طاب ذلك البلد

وقبل الريح من صبابته هل قبل الريح قبله أحد

وأخبرني أحمد بن الحسين بن المنجم المقرئ انه قرأ على مستنظر لبعض الكتاب

لي الى الريح حاجة لو قضتها كنت للريح ماحييت غلاما

حجبوها عن الرياح لاني قلت ياريح بلغيها السلاما

لورضوا بالحجاب هان ولكن منعوها يوم الرياح الكلاما

أخبرني عبد الحميد الملطي انه قرأ على باب مجلس بملطية

لا يمنعنك خفض العيش في دعة ... نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها ... أهلا بأهل وجيرانا بجيران

وفي صدر المجلس أيضا مكتوب

اذا كنت في أرض غريبا فرجها ... ولا تكثرت فيها نزوعا الى الوطن
فما هي الا بلدة مثل بلدة ... وخيرهما ماكان عونا على الزمن

وقرأت على باب دار خدشا في الجص بعود

هلا رحمتم موقفي بفنائكم ... متعرضا لنسيمكم أتنشق
متلددا أبكي لما قد حل بي ... مثل الغريق بما يرى يتعلق

وأخبرني صديق لي انه قرأ على باب دار بالحجاز

يادار ان غزالا فيك عذبني ... لله درك ماتحوين يادار
الدار تملكني ويحي وصاحبها ... قلبي مليكان رب الدار والدار
يادار لولا غزال فيك تعلقني ... ما كان لي فيك اقبال وإدبار

وأخبرني من قرأ على باب دار باصطخر منقوشا بحجر

أرى الدار من بعد الحبيب ولا أرى ... حبيبي مع الباقين في عرصة الدار
فيا عجبا اذ فارق الجار جاره ... أليس شديدا فرقة الجار للجار

باب ماوجد للمتظرفات والظراف

مكتوبا على النعال والخفاف

قال الماردي كتبت جارية للمارقي على نعلها بالذهب

لم الق ذا شجن يبوح بحبه ... الا حسبتك ذلك المحبوبا
حذرا عليك وانني بك واثق ... أن لاتنال سواي منك نصيبا

وكان على نعل جارية سعيد الفارسي

لاتأنفن من الخضوع لمن تحب وداره ... اخضع له فلطالما ملكت حل ازاره

وكتبت ملك جارية ابن عاصم على خف لها رهاوي بذهب

واني لاشفاقي عليك وصبوتي ... اليك كاني في المنام أراكا
تحدثني نفسي اذا غبت ساعة ... بأن لقاء الموت دون لقاكا

وكتبت متيم المغنية على نعلها

أقسمت مقلته لا تنثني عن فؤادي أو تراه قطعا
فلقد برت فهل من مطمع أن ترى ما قطعت مجتمعا

واهدى سعيد بن حميد نعلا الى صديق له وكتب عليها

نعل بعثت بها لتلبسها قدم بها تسعى الى المجد
لو كان يصلح أن أشركها خدي جعلت شراكها خدي

وكتبت جارية على بن عيسى بن يزداد كاتب اسحاق بن ابراهيم على خفها

تؤلمه الالحاظ لما بدا محتجبا عن لحظات العباد
منزله نائي ولكنه يسكن مني في سواد الفؤاد

وأهدى بعض الكتاب نعلا وكتب على شراكها

لي فؤاد شفه الحز ن وأضناه الصدود
وهواي كل يوم هو ينمى ويزيد

وكتب بعض الظرفاء على خف له محالسي بالذهب

لولا شقاوة جدي ماعرفتكم ان الشقي الذي يشقى بمن عرفا
طاف الهوى بعباد الله كلهم حتى اذا مر بي من بينهم وقفا

وأخبرني من رأى نعلا من فضة أهديت لبعض الظرفاء عليها مكتوب

بأبي أنت سيدي ومناي جعل الله والدي فداكا
لك خدي من الثرى لك نعلا قد للنعل من فؤادي شراكا

وقرأت على نعل سندي مدهون

جعلت خدي له أرضا فقلت طأ من فوقها وارضا
فقال لا قلت بلى سيدي صبرا على الحب وان مضا

باب ما يكتب بالحناء في الوطأة والوشاح

وعلى الاقدام والراح

كتبت ذويت جارية حمدونة على وطأتها اليمنى

اعلمي يا أحب مني اليا أن شوقي اليك يقضي عليا

وعلى اليسرى

ان قضى الله لى رجوعا اليكم   لم أعد للفراق مادمت حيا

وكتبت لبنى جارية عباس النديم على راحتها بسك وعنبر في اليمنى

قالوا تمن وقل فقلت لهم   ياليتها حظى من الدنيا

وعلى اليسرى

لا أبتغى سقيا السحاب لها   في عبرتى خلف من السقيا

وكتبت جارية السعدية على راحتها اليمنى بالحناء

رفعت للوداع كفا خضيبا   فتقلبتها بدمع خضيب

وعلى اليسرى

وأشارت الى غمزا بحق   نعته مثل فعله في القلوب

وكتبت جارية ابن الساحر على وطأتها اليمنى

وما أنا عن قلبي براض لانه   أشاط دمى مما أتى متطوعا

وعلى اليسرى

تمنى رجال ماأحبوا وانما   تمنيت أن أشكو اليها وتسمعا

قال الماردى رأيت على راحة قائد جارية لبعض جوارى المأمون اليمنى بالحناء

فديتك قد جبلت على هواكا   فقلبي ماينازعنى سواكا

وعلى اليسرى

أحبك لا ببعضى بل بكلى   وان لم يبق حبك من جراكا

وقرأت في كفى جارية بالنقش

اذا قيل ماتشكو أشار الى الحشا   فاول ماتشكو وآخره الهجر

فياليت قلبى صار صخرا كقلبه   ولم يبله الشوق المبرح والفكر

وأخبرنى من رأى جارية لبعض آل طاهر قد كتبت في وشاحها وقدمها

عزموا المقامة أم تراهم أزمعوا   ياطول وجدى انهم لم يربعوا

ومراعة اللبين تحسب أننا   شمس على غصن يغيب ويطلع

كتبت الى على شقائق خدها   سطرا من العبرات ماذا تصنع

فاجبتها بلسان صدق ناطق   مافي الحياة من التفرق مطمع

وكتبت الماهانية على كف جاريتها شماريخ بالحناء

أبى الحب الأن أكون معذبا   ونيرانه في الصدر الا تلهبا

فوا كبدا حتى متى أنا واقف بباب الهوى ألقى الهوان وأنصبا

باب ما يكتب على الجبين والخد

ويطرف به ذوو الصبابة والوجد

قرأت على جبين جارية لنخاس بالغالية وقد أخرجها للعرض

وشادن أحسن خلق الله في كفه سيف رسول الله
قد كتب الحسن على وجهها سطرين بالعنبر باسم الله
على يدى رضوان منسوجة صنعة حسن في طراز الله
أنا غريق في بحار الهوى شبه قتيل في سبيل الله

وأخبرنى من رأى على جبين جارية نخاس مكتوبا في سطرين

اذا حجبت لم يكفك البدر فقدها وتكفيك فقد البدر ان حجب البدر
وحسبك من خمر نفوتك ريقها ووالله مامن ريقها حسبك الخمر

وقال علي بن الجهم رأيت على خد جارية لفاطمة بنت محمد بن عمران الكاتب مكتوبا بالمسك

رضيت على رغمى بحبك فاعدلى ولا تسرفي اذ صار في يدك الحكم
متى يظفر المظلوم منك بحقه اذا كنت قاضيه وانت له خصم

قال المازنى كان على جبين جارية شريط مكتوب بالغالية

صرمتنى ثم لا كلمتنى أبدا ان كنت خنتك في حال من الحال
ولا هممت ولا نفسي تحدثنى قلبي بذاك ولا يجرى على بال

وقال الجاحظ كتبت مؤلف جارية الصخرى على جبينها

ومحسودة بالحسن كالبدر وجهها وألحاظ عينيها تجور وتظلم
ملكت عليها طاعة الشوق والهوى وعلمتها مالم تكن منه تعلم

قال وقرأت على جبين قينة بالعسكر مكتوبا بغالية وعنبر

ياقمرا لاح في الظلام عليك من مقلتى السلام

وكتبت ظلوم على جبينها بالمسك

العين تفقد من تهوى وتبصره وناظر القلب لايخلو من النظر

وظلوم هذه كان يحبها العباس بن الاحنف وفيها يقول

ان بالكرخ منزلا لغزال   بين قصر الامير والخيزران
والهوى قائدى اليه وشوقى   ليس بالشوق والهوى لى يدان
لست أنساك ياظلوم وعهد الـــله حتى ألف في أكفانى
فثقى بى فانت أعرف منى   بحفاظى في السر والاعلان

باب مايفلج به التفاح والاترج والدستبويات

ويعدل به تنضيد الورد والياسمين والخيريات

أخبرنى بعض شيوخنـــا من الكتاب بالعسكر قال قرأت على طبقين اهداهما بعض الفرس الى بعض الكتاب قد نضد بأنواع من السوسن والياسمين والشقائق والرياحين على أحدهما مكتوب

شادن راح نحو سرحة ماء   مسرعا وجنتـــاه كالتفاح
ورد الماء ثم راح وقد أصـــــدره الماء في غـــلالة راح

وعلى الآخر

رق حتى حسبته ورق الور   د نديا يزف بين الرياض
ورد الماء ثم راح وقـــد ألـــــبسه الماء حمرة فى بياض

قال ورأيت بين يدى بعض الكتاب طبق ورد أحمر مكتوب فيه بالابيض

لم يضحك الورد الا حين يعجبه   زهر الربيع وصوت الطائر الغرد
بدا فأبدت لنا الدنيـــا محاسنها   وراحت الراح في أثوابها الجدد

وأخبرنى من رأى طبق ريحان مكتوب في دوره بياسمين ونسرين

فما ريح ريحان بمسك وعنبر   بنـــد وكافور بدهنة بان
بأطيب ريا من حبيبى لو اننى   وجدت حبيبى خاليا بمكان

وقرأت في تفليج أترجة أهديت لبعض الظرفاء

هى في العالم كالشمـــــس أضاءت في البلاد
وهى في كل كمـــال   قد علت فوق العباد

وأخبرنى من قرأ في تفليج تفاحة

أنا الي العاشق منسوبة   أهدى لمحبوب ومحبوبه

وعلى تفاحة أخرى مفلجة

خطت يمينى فوق تفاحة   أقلقنى هجرك يا قاتلى

وحضرت هدية لبعض متظرفات القيان الى بعض ظرفاء الكتاب وفيها تفاحة في تفليجها مكتوب

ليس تفاحة بأطيب طيبا ... من حبيب معانق لحبيب

وأترجة في تفليجها مكتوب

أهدى هلال لكل يوم ... اذا بدا الثغر بابتسام

وطبق خيريات مكتوب في تعديله

يا طيب رائحة فاحت لبستان ... من بين ورد ونسرين وريحان

ويا سمين ذكي زادني طربا ... حتى تكشف عني كل أحزان

باب ما يكتب على القناني والكأسات

والاقداح والارطال والجامات

قرأت على كأس لبعض الظرفاء

اذا فكرت خاطبني مثال ... وان أغفيت نبهني خيال

ولي حال اذا ما الكاس طابت ... لشاربها وللندمان حال

وقرأت على كأس لبعض الكتاب

أشرب على ذكرهم اذ حيل دونهم ... عيناك منهم على بال اذا شربوا

تدعو المنى قربهم والدار نازحة ... حتى يناجيهم قلبي وما قربوا

وعلى كأس

اذا لم يمزج الندمان كأسي ... جعلت مزاجها ماء الجفون

وان ضحكوا بكيت وان تغنوا ... أجبتهم بألوان الحنين

وكتب عبيد الماجد على كأسه

اشرب هنيئا لا تخف طائفا ... قد آمن الطواف أهل الطرب

وكتب بعض الكتاب على قدح له

وما لبس العشاق ثوبا من الهوى ... ولا أخلقوا الا بقية ما أبلى

ولا شربوا كاسا من الحب حلوة ... ولا مرة الا وشربهم فضلي

وبعث نشوان الكراعة الى على بن عيسى بن عبد الله الهاشمي برطلي عليه مكتوب

يا باعث السكر من طرف يقلبه ... هاروت لا تسقني خمرا بكاسين

ويا محرك عينيه ليقتلنى　　أنى أخاف عليك العين من عينى

وأخبرنى من قرأ على قنينة بين يدى أبى دلف العجلى

وقهوة كوكبها يزهر　　يفوح منها المسك والعنبر

يسقيها من كفه أحوو　　كأنها من خده تعصر

وكتب آخر على طاس

لاتحسبى أن طول الدهر غيرنى　　بل زادنى كلفا ياأملح الناس.

لم يجر ذكرك فى لهو ولا طرب　　الا مزجت بدمعى عنده كاسى

كم عاذل قد لحانى فيك قلت له　　شلت يمينك هل بالحب من باس

وأخبرنى يحيى بن محمد المسلمى انه قرأ على كأس لقينة

اشرب الكأس على صرف الزمن　　قل مادام سرور أو حزن

انما كان لمثلى سكن　　من جميع الخلق طرا فظعن

وقرأت على قدح

اشرب وسق حبيبك الراحا　　وبح من الوجد بالذى باحا

وعلى آخر

اشرب وسق الحبيب ياساقى　　وسقنى فضل كأسه الباقى

وسقنى فضل ماتخلف فى الـكأس بعمد بغير اشفاق

وعلى آخر

فديت من لم يزل على طرب　　يدير بينى وبينه الكاسا

ألثمنى خده وقال ألا　　دونك ماقد منعته الناسا

وكتبت بنت المهدى على قدح بالذهب

اشرب على وجه الغزال　　الاغيد الحسن الدلال

اشرب عليه وقل له　　ياغل ألباب الرجال

وكتب بعض الظرفاء على قنينة

فقلت لها وقد أبديت سكرى　　ألا ردى فؤاد المستهام

فقالت من فقلت أنا فقالت　　متى ألقيت نفسك فى الزحام

وقرأت على قنينة مدهونة مكتوب عليها بالذهب

أحسن من موقف على طلل　　كأس عقار تجرى على ثمل

يديرها أهيف به حور معتدل الخلق راجح الكفل
اذا تمشى بها مصفقة رأيت فيها تلهب الشعل

وعلى جام

اشرب هنيئا في أتم النعيم طاب لك العيش بطيب النديم

وعلى آخر

وكؤوس كأنهن نجوم طالعات بروجها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا فاذا ماغربن يغربن فينا

باب مايكتب على اوانى الفضة والذهب

ومدهون الصينى والمذهب

قال العباس بن الفضل بن الربيع حدثنى أبي قال رأيت على صينية بين يدى المأمون مكتوبا فيها

لاشىء أملح من أيام مجلسنا ان تجعل الرسل فيما بيننا الحدقا
واذ جوانحنا تبدى سرائرنا وشكلنا في الهوى تلقاه متفقا
ليت الوشاة بنا والعاشقين لنا في لجة البحر ماتوا كلهم غرقا
أوليت من ذمنا أوعاب مجلسنا شبت عليه ضرام النار فاحترقا

وأخبرنى بعض الكتاب انه قرأ على صينية بين يدى الحسن بن وهب مفصلة بالفصوص بألوان شتى

من كان لايزعمنى عاشقا أحضرته أوضح برهان
انى على رطلين أسقاهما أروح في أثواب سكران
وكنت لاأسكر من تسعة يتبعها رطل ورطلان
فصارلى من غمرات الهوى والسكر سكران عجيبان

والشعر للحسن بن وهب وكتب بعض الظرفاء على صينية له صينى

حث الندامى بعاجل النخب وحث كأس الندمان يا بأبى
از لم تدرها والكأس مترعة حتى تميت الهموم لم تطب

وكتب آخر على صينية له

قد قلت لما صبابى اللعب وباكرتنى الشمول والطرب

وكتب آخر على قضيب مدهون

أصبحت يشبهني القضيب   وأنت يشبهك القضيب
غصنان الا أن ذا   بال وذا غصن رطيب

وقرأت على مذبة لبعض الكتاب

تعلمت أنواع الرضى خوف سخطه   وعلمه حبي له كيف يغضب
ولي ألف وجه قد عرفت طريقه   ولكن بلا قلب الى أين أذهب

وعلى آخر

دل البكاء على عيني فأرقها   ظبي يطيل البكا من ظله فرقا
لو مس غصنا من الاغصان منجردا   لاخضر في كفه واستشعر الورقا

وأخبرني أبو جعفر القارئ قال أخبرني من قرأ على مروحة بيتين للقطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات بعض القوم أمرهم   مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

قال فحضرني بيتان فكتبت على الجانب الآخر

لا ذا ولا ذاك في الافراط أحمده   وأحمد الامر ما في الفعل يعتدل
افراط ذا في التأني فوت حاجته   وليس يعدم عثرا دونها العجل

وقرأت على مروحة لبعض الظرفاء

محتمل حسبك لي ساعة   ذاك اذا أجهدك الحر
غيرك مني طالب مثل ما   تطلبه يا أيها الحر

وكتب بعض الادباء على مروحة

ان روح الحياة في   حركات المراوح
كم بنان لطيفة   من ظباء سوانح
حركتها فنفست   عن حدود درواشح

وقرأت على قوس جلاهق مكتوبا بالذهب

بينما الطير في الهوى يتكفى   اذ سقيناه جرعة الموت صرفا
ونزعنا من القرين قرينا   وجعلنا هناك بالالف ألفا

وكتبت على قوس أهديتها بعض اخواني

لما رأيت الطير عالي المرتقا   هيأت قوسا يا لها وبندقا

ثم غدونا اذ غدونا حلقا فلم يحم حتى هوى ممزقا

باب ما يكتب على العيدان والمضارب والسرنايات

والطبول والمعازف والدفوف والنايات

كتبت قصعة المغنية على عودها

ما طاب حب لانسان يلذ به حتى يكون به في الناس مشتهرا

فاخلع عذارك فيما تستلذ به واجسر فان أخا اللذات من جسرا

وكتب مخارق على عوده

كم ليلة نادمني ذكره يسعدني المثلث والزير

حتى اذا الليل جلا نفسه على الدجى ابتسم النور

أصبحت مستورا لجيرانه والوصل بالهجران مستور

وكتب بعض المغنين على عوده

سقوني وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقوني لغنت

تجنت على الخود ذنبا علمته فيا ويلتى منها ومما تجنت

وأهدى بعض الكتاب الى قينة كان يهواها عودا وكتب عليه

من ذا يبلغ نحلة عن عبدها أني اليك وان بعدت قريب

تستنطقين بحسن صوتك أعجما يدعو بذاك صوابه فيجيب

فالعود يشهد والغناء بأنه لولاك لم يك في الانام مصيب

وقال على بن الجهم قرأت على مضراب لقينة

أحبك حبا لست أبلغ وصفه ولا عشر ما أصبحت أضمر في صدري

وأكتم ما ألقاه منك تشجعا لعل إله الخلق يدنيك من نحري

وعلى مضراب آخر

ياذا الذي أنكرني طرفه اذ اذاب جسمي وعلاني شحوب

ما مسني ضر ولكنني جفوت نفسي اذ جفاني الطبيب

وعلى آخر

نضو هموم بكا وحق له دمع حداه الضنى فاسبله

وطال ليل الهوى عليه وما أمر ليل الهوى وأطوله

وكتبت كراعة على طبل لها

يانفســا ليس ينقضى أمده ويافؤادا اذابه كمده

ويامحبا جفاه سـيده تقطعت من جفائه كبده

وكتبت أخرى على ناى

فكيف صبرى وبئس الصبر لى فرج والطرف يعشق من في طرفه غنج

وقرأت على معزفة

ان كنت تهوى وتستطيل فانني عبدك الذليل

أعرضت عني وخنت عهدى وجرت في الصد يا ملول

كيف احتيالى وليس ياتى منك كتاب ولا رسول

وعلى آخر

ألذ ندى من الشراب تقبيل أنيابك العذاب

ولثم خد كلون خمر قد شفه كثرة العتــاب

وقرأت على دف

يا بدعا في بدع جارت على من ملكت

ارثى لصب نفسه ممـا به قـد تلفت

وعلى آخر

ماسرنى أن لسانى ولا أن فؤادى منك يوما خلا

وأن لى ملك بنى هاشم يجبى الى أولا أولا

وقرأت على طنبور

ياأول الحسن يامن لا نظيرله هلت سحائب عينى نغمة الزير

وأى مزنة غرب لاتسح دما من عاشق عند نغمات الطنابير

وعلى طنبور آخر

بكيت من طرب عند السماع كما يبكى أخو قصص من حسن تذكير

وصاحب العشق يبكى عند شجوته اذا تجاوب صوت البم والزير

باب مايكتب على الاقلام

من مستظرف الكلام

كتب بعض الكتاب على قلم اهداه

اني لاعجب أن يزهو به قلم أن لايلين فيبدى حوله ورقا
ياليتنى قلم في بطن راحته ألتذ باطن كفيه اذا مشقا

وعلى آخر

اذا دخل الديوان أشرق نوره ولم يك للشمس المضيئة نور
فياليت أني كنت في بطن كفه له قلماً ان المحب شكور

وكتب عمر بن ابراهيم البصرى على قلم اهداه لبعض غلمان ديوان الخراج

ياقمر الديوان يا ملبس قلبي سقما
كانما في كبدى أنت تخط القلما
ياأحسن الناس معا جيدا وعينا وفما

وأخبرنى من قرأ على قلم لبعض الكتاب بالديوان

اذا دخل الديوان حارت عيوننا وقلنا كما قالت صحابات يوسف
فيمشق والتشوير في حركاته فيورثنا من ذاك ماليس يوصف

وقرأت على قلم

اذا دخل الديوان حارت عيوننا وكادت قلوب الناظرين تطير
فيا نعمتا ان لم تصبك عيونهم لك الله من تلك العيون مجير

وعلى آخر

أفدى البنان وأفدى الخط من علم وقد تطرف بالحناء والعنم
كانما قابل القرطاس اذ مشقت فيه ثلاثة أقلام على قلم

باب ما يكتب على الدراهم والدنانير

التى ضربت للملوك في المقاصير

قال علي بن الجهم قرأت على دينار في خلافة المتوكل من ضرب الدار

وأسفر صاغته الملوك تطربا باسمائها فيه المروة والفخر

باسم أمين الله زينت سطوره كما زين بالتفصيل في نظمه الدر

هو الملك المأمون من آل هاشم بهم ان أغب القطر يستنزل القطر

له غرة فينانة جعفرية بها تضحك الشمس المضيئة والبدر

قال ورأيت على دينار من ضرب المتوكل أيضا ••••• درهم ودينار مكتوبا عليه

وأصفر من ضرب دار الملوك يلوح على وجهه جعفر

وقرأت على درهم من ضرب المنتصر

درهم أبيض مليح المعانى بسطور مبينات حسان

صاغه الصائغ المنمق بالحسن ليهدى صبيحة المهرجان

فيه اسم الامام أكرمه الله ووقاه نائبات الزمان

وقرأت على درهم

أخى درهمى مادام والناس اخوتى فان غاب عنى غاب كل صديق

هذه جملة مما بلغنا وفيها كفاية لمن اكتفى وبيان لمن تبين واقتفى وما استوعبنا كل ماانتهى الينا ولو قصدنا الى تكثير لما استصعب علينا وانما قصدنا التخفيف لا التأليف والاقتصار والاختصار وليس كل ماسمعناه ذكرناه ولا كل ماقيل في ذلك سمعناه وقد أدينا بعض مابلغنا ووصفنا بعض مااستحسنا وخلطنا جدا بهزل واعوجاجا بقصد وجعلنا كل ذلك في نظام والى الله نرغب في السلامة والسلام

والحمد لله بجميل التسديد وهو المتفضل بالاعانة والتوفيق

واياه نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل كمل الكتاب

وتم بقوة الله ومنه والحمد لله رب العالمين وصلى

الله على خيرته من خلقه محمد وآله

وحسبى الله وعليه أتوكل


Bibliotheca Alexandrina
04334461